المشرق

السنة السادسة والاربعون — ايلول - تشرين الاول ١٩٥٢

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

بعد الراشد المقتفي عمّه ابن المستظهر

تولّى اربعاً وعشرين سنة وشهرَين . بعدما خُلع الراشد استدعى السلطانُ الوزيرَ شرفَ الدين زيني وفوّض اليـه امر انتخاب خلف له . فاختار عمّ المعزول لكونه صهره زوج ابنته. وسار السلطان مسعود الى البلاط في اقطابه وأحضروا المقتفي ووافقوا عليه بعد ما قرّر ان يدفع للسلطان مائة (٣٠٠) وعشرين الف دينار. ولم يكن يومئذٍ في خزانة الخليفة دينار واحد . انما كان للمقتفي قبل خلافته عشرة آلاف دينار انفقها في حفلة مبايعته بالخلافة: والتفت الخطبة للراشد وللسلطان داود وتأيدت للمقتفي وللسلطان مسعود . قيل ان

السلطان لما غادر البلاط استدعى الوزير زيني وعاتبه بسبب انتخابه للمقتفي وقال له : لقد اسأت بانتخابك رجلاً كاملاً كهلاً عاقلاً . فلو انتخبتَ فتى وربّيته لنظرَ اليك نظرة امتنان وشكر وأصبح أمر الخلافة وسياستها بيدك زماناً مديداً ريثما يبلغ الرشد . والآن فكن على ثقةٍ من ان زمان وزارتك لن يطول مع هذا الذي اصطفيته وسترى حقيقة ذلك .

ولما دخلت السنة ٥٣١ للعرب (١١٣٦ م) ارسل ابن دنشمند صاحب ملطية سفيرًا الى السلطان في بغداد يتوسّل اليه ان يعيده الى منصبه . ولمّا مضوا بالسفير ليقبّل الاعتاب كالعادة تمنّع وأبى وقال : لستُ أقبّل اعتاب دارٍ طُرد منها صاحبها .

امّا زنكي فقد حشد جيشاً وسار الى تكريت وناوش قطيع السلطان مسعود وانقلب الى الموصل . فأرسل اليه المقتدي ووعده بعشرة اماكن معتبرة بشرط ان يكفّ عن معاضدة الراشد . فقال زنكي : لقد أقسمتُ بان لا اسلّمه اليكم ولكن اذا اعطيتموني تلك الاماكن خطبتُ باسمكم وكففتُ عن مساعدته ولكنّي لن اسرّحه من عندي . فاعطاه الخليفة تلك الاماكن العشرة ومنها حربي وحاصيرة وصاريفين والحلّة وغيرها . وقد خطب زنكي للمقتفي وللسلطان مسعود وترك الراشد لديه في دار الذهب بالموصل .

وظهر في تلك الاثناء عجوز تخدم بيت تاجر بجانب باب الأزَج ببغداد . وسافر التاجر لتاجر (٣٠١) وظلّت امرأته وابنته والعجوز المذكورة في البيت . ثم اتفقت العجوز مع ابنها وبعض السرّاق فأقبلوا ليلًا ودخلوا الدار ونهبوا كلّ ما فيها . ولمّا خرجوا قالت العجوز وامرأة التاجر : نشكر الله تعالى الذي أعمى عيونهم ولم يفتحوا الصندوقة . فسمع السرّاق وانقلبوا ففتحوها وأخذوا منها اربعة آلاف دينار وحجارًا كريمة ولآلئ وانصرفوا .

وتبارز مسعود وداود فانكسر مسعود وقُتل الكثير من رجاله .

وفي السنة ١٤٤٨ لليونان (١١٣٧ م) سار ايونيّ ملك اليونان الى قيليقية ساخطاً على لاون الارمني ودوّخ طرسوس وآطنة والمصيصة وقبض على لاون وعلى امرأته واولادهما ورحّلهم الى قسطنطينية . ثم توجه الى انطاكية فامتنعت

عليه . وأقبل اليه جوسلين وتمَّ الاتفاق بان الفرنج يعطونه انطاكية متى احتلَّ حلب وسورتَّة وتخلّى لهم عنها . ثمَّ زحفا معاً الى حلب واحتلّا بزاعة واقاما محاربين يحاصرون شيزر .

واقبل حين ذاك مسعود سلطان قونية الى قيليقية واحتل آطنة وأجلى اهاليها جميعاً مع اسقفهم واساقيهم الى ملطية. فسمع ايونيّ واحرق المنجنيقات وانقلب الى قيليقية وهادن مسعوداً وعاد الى عاصمته .

امَّا محمود صاحب ملطية فقد طرد اخاه دولة وانتزع من يده ابلستين وجيحان . وسار دولة الى هنزيط فآمد وزار جوسلين وجعل يطوف البيوت بيتاً بيتاً .

وظهر يومئذ الامير عيسى صاحب سويرك وكان يمتُّ بصلة الى بوغوص الارمنيّ الذي سار الى بغداد ودخل في دين الاسلام . فحشد الجند وانطلق الى جرجر ليغزوها فشاهدها خربةً . فوجّه انظاره الى الاديار والصوامع وانقضَّ على دير مار (٣٠٢) ابحاي المعروف بدير السلالم ولم يتيسَّر له الوصول اليه من ناحية شاطئ الفرات فتسلَّق الصخر وأحدرَ اليه رجاله فانهزم الرهبان فاحتلَّ الدير واحتوى على ما به من امتعة وكؤوس واطباق فضيّة وصلبان واقتلع قناة الماء التي وضعها البطريرك يوحنا بن عبدون(١٠٠٤ — ١٠٣٠) وبعث الربَّان داود الناسك الى دير شيرا ولم ينجُ سوى دير ابي غالب المعروف بدير مائدة الملوك وهو باطراف آمد .

وفي السنة ٥٣٢ للعرب (١١٣٧ م) انطلق الراشد الخليفة المعزول من الموصل الى خراسان ليزور السلطان داود . فتحفَّى له السلطان وسارا معاً الى همذان وانتزعاها من يد السلطان مسعود . ثم توجّه الراشد الى اصفهان فادركه داءٌ عضال ووثب اليه وهو طريح الفراش اربعة خراسانيين وفتكوا به . ولو لم يفتكوا به على ما قيل لعاجلته المنيّة بسبب دائه وقد سُقِي سمّاً ثلاث مرّات. ودفنوه بباب اصفهان حيث صُرع . وقد قُتل والده كذلك عند باب مراغة .

ولمّا كان الاتراك يحاصرون الرها عام ١٤٤٩ لليونان (١١٣٨ م) حشد الفرنج ثلاثمائة فارس واربعة آلاف راجل وساروا من سميساط لينقلوا المؤونة

الى الرهاويين . فوثب اليهم كنا . تيمورطاش صاحب ماردين وفتكوا بكثيرين من المسيحيين واستاقوا البقية عبيدًا وفي جملتهم الشماس ابو سعد الطبيب الفيلسوف وميخائيل ابن شومنا وابنه . وانتزع تيمورطاش كذلك قلعة كسوس من الفرنج . ودخل مسعود سلطان قونية بلد الكيسوم وغزاه وأحرق القرى .

وفي الشهر الثاني من السنة ٥٣٣ للعرب (١١٣٨ م) حدثت زلزلة هائلة في غزنة ببلاد العجم واهلكت مائتين وثلاثين الف نسمة وقوّضت المدينة برمّتها وانبثق من أرضها مياه سوداء . وخرج الذين نجوا من الغائلة (٣٠٣) وأقاموا في المقابر يندبون اهاليهم .

وفي السنة ١٤٥٠ لليونان (١١٣٩ م) زحف الملك محمد صاحب ملطية الى قيليقية واحتلّ حصن هاجاي وحصن جينوفيرت وسار الى قاسينوس وهي على ساحل بحر بنطس فنزاها وأجلى اهاليها جميعًا وباعهم عبيدًا .

وفي السنة التالية انفخت ارض الرقّة وبلعت اربعين فارسًا مع افراسهم ونجا احدهم كان قد ذهب يتغوّط . وظلّت اصوات البشر وزمجرة خيلهم تدوي مدّة مديدة .

وفي السنة ٥٣٤ للعرب (١١٤٠ م) صحّ ما قاله السلطان مسعود للوزير شرف الدين وهو انه لم يُصِب في انتخاب الخليفة المقتفي اذ نمّ هذا يتصرّف في شؤون السياسة دون استشارة الوزير وانزوى الوزير في بيته . فاستحضره الخليفة وانترى في حقّه نيّة خبيثة وكفّ يده عن اعمال شتّى وما عتّم ان عزله بالمرّة .

وفي تشرين الاوّل ٥٣٥ للعرب وهي السنة ١٤٥٢ لليونان (١١٤١م) سار اتراك ملطية الى اديار زابار وهي اديار قنايا ونهبوها . واقبل الفرنج في ايّار ليثأروا ووصلوا الى زبطرة وعَرقة ونهبوا اموال المسيحيين كما نهبها الاتراك . ثم زحف الفرنج الى أبلستين ونهبوا المسيحيّين وفتكوا بكثير من الاتراك واعتقلوا اولادهم ونساءهم فسخط الاتراك وزحفوا من هتزيط وصادفوا مطران قليسورا القدّيس في جبل ابدهور فقبضوا عليه واعتقلوه هو ومن معه وحاولوا ان يغتالوهم فباغتهم الفرنج وهزموهم وفكّوا المعتقلين وسرّحوهم .

وتولى الفتى المملكة في نيسان ١٤٥٥ لليونان (١١٤٤ م) ولمّا دخل العاصمة رحب به اخوه وادّى له التحية والاكرام وايده في منصبه .

وكان ملك اورشليم الفرنجي كذلك يقتنص وسقط عن الحصان فقضى . وخلفه بغدوين الثالث ابنه الصغير وتولّت امه سياسة المملكة بسبب حداثته .

وفي السنة المذكورة مات داود صاحب حصن زياد وخلفه قرا ارسلان ابنه الصغير . وكان ارسلان طغيش ابنه الكبير عند زنكي بالموصل . فاقبل زنكي ليبعد قرا ارسلان ويقيم مكانه اخاه . فاستنجد قرا ارسلان بالسلطان مسعود في قونية فانجده بعشرين الف فارس عاد بهم ليبارز خصمه فانقلب الى الموصل بلده . ثم اقبل مسعود المذكور الى ملطية وحاصرها ثلاثة اشهر ثم تركها وارتحل .

انتزاع الرها من يد الفرنج

في السنة ١٤٥٦ لليونان (١١٤٥م) كان جوسلين صاحب الرها في انطاكية. فكتب الحرّانيون الى زنكي بان المدينة لا عسكر فيها . فاقبل زنكي في جيش جرّار الى الرها يوم الثلاثا ٢٨ تشرين الثاني وحلّوا في ضواحيها وخيموا عند باب الساعات قرب كنيسة المعترفين . واقاموا سبعة منجنيقات ضخمة وصغيرة . واقام رهبان الجبل على السور يحاربون . والنساء هناك يقدّمن لهم الحجار والماء والطعام . وحفر الاتراك تحت الارض حتى بلغوا السور (٣٠٦) وحفر الرهاويون كذلك وبرزوا لمقاتلتهم وفتكوا بمن صادفوه في الحفرة . وعادوا فابتنوا سورًا ثانياً تجاه الحفرة . امّا الاتراك فحفروا برجين . ولمّا تخلخلت سائر الابراج وكادت تسقط ارسل زنكي يقول للرهاويين : خذوا منّا رجلين وابعثوا لنا رجلين ليشاهدا الابراج قد تداعت وسلموا المدينة قبلما تؤخذون بالسيف .

غير ان (المطران) پيپوس رئيس الفرنج في الرها سخر بزنكي واتّفقا بان جوسلين وملك اورشليم يوافيان قريباً لمساعدة المحاربين : وعند ذلك اضرم الاتراك النيران باخشاب الابراج فسقطت وجعلوا يدخلون الثرعة ووقف هناك

الرهاويون وپيپوس والاساقفة معهم ليصدّوهم عن الدخول . وامتلأت تلك الثرعة من جثث القتلى الاتراك والرهاويين . وتجمهر الرهاويون جميعاً عند الترعة ورأى الاتراك ان المحاربين قد غادروا السور فوضعوا السلالم وتسلّقوا فارتخت عزائم الرهاويين وجعلوا ينهزمون الى القلعة . لعمري ايّ فم يمكنه ان يتكلم ام اي اصبع لا ترتعد اذا حاولت ان تخط ما جرى من الغوائل والاهوال في الساعة الثالثة من يوم السبت ثالث كانون الثاني ! فقد دخل الاتراك وسيوفهم مسلولة تشرب دماء الشيوخ والفتيان والرجال والنساء والكهنة والشمامسة والرهبان والنسّاك والراهبات والعذارى والرضعان والعرائس . يا لها رزيئة اليمة مرّة ! مدينة ابجر خليل السيد المسيح أمست موطئاً للاقدام بسبب اثمنا ! يا للضيق والشدة ! كفر الابناء بآبائهم والآباء بابنائهم . نسيت الام عطفها على صغارها وسارع كل واحد الى قمة الجبل .

امّا الكهنة الشيوخ فكانوا حاملين صناديق ذخائر الشهداء. وهم يقولون مع ميخا النبي : « اني احتمل غضب الربّ لاني خطئتُ اليه » (ميخا ٧ : ٩) فواظبوا على الابتهال ولم ينهزموا حتى اسكتهم (٣٠٧) السيف . وشوهدوا بعد ذلك وقد تضرجت بدلاتهم بدمائهم . وهناك امهات كثيرات جمعن اولادهن كما تجمع الدجاجة فراريجها ينتظرن الموت جميعاً بالسيف او السوق الى العبودية.

امّا الذين انهزموا الى القلعة فقد اغلق الحراس ابوابها تجاههم وهم يقولون: لن نفتحها لكم إلّم نشاهد وجه پيپوس . ولكن پيپوس تعذر عليه القدوم مع الاولين وقد اهلك الازدحام كثيرين وتراكمت الجثث كوماً كوماً عند باب القلعة ولما وصل پيپوس اصيب بسهم ارداه .

ولمّا شاهد زنكي تلك الاهوال امر بالكف عن القتل . وشوهد المطران باسيليوس عرياناً حافياً يجرّه تركي بالحبل . وما ان رآه زنكي ولمح النعمة التي على وجهه حتى سأله من انت ؟ ولمّا عرف انه هو المطران أمر فالبسوه ثوباً ومضى به الى خيمته وجعل يعاتبه ويلومه لان الرهاويين لم يشفقوا على انفسهم ويسلموه المدينة . فقال له المطران : ان العناية الربّانية شاءت ان تمنحك الغلبة وتذيع اسمك بين الملوك رفاقك وتولينا نحن الاذلاء دالةً لديها لاننا ما غدرنا

ولا حنثنا بأيماننا . فاستحسن زنكي كلامه وقال له : قد صدقت في ما قلت ايها المطران . فان الله تعالى والبشر كذلك يكرمون من يحافظون على أيمانهم ولا سيما اذا ثبتوا بها حتى الممات .

وبعد يومين طلب الامان من كان في القلعة وسلّموها . وفتك الاتراك بكل من شاهدوا من الفرنج واغمضوا عن السريان وعن الارمن . على ان لساننا قاصر عن الاسترسال في ذكر تلك الداهية الدهياء . ولارميا النبي ونظرائه ان يفيضوا في المراثي ويستدعوا النائحات النادبات لينظمن مثلهم وينحن على الشعب المستحق العطف والشفقة .

وقد التهمت النيران يوم فتح الرها دير القراريط ببلد خرشنة واتلفت غرفه باسرها واجهزت على راهب شيخ وأفلت سائر الرهبان افلاتهم من كور النار. واحترقت في اليوم ذاته قرية ببلد مرعش . وسقطت نار في دير (٣٠٨) مار برصوما واتلفت ثلاث غرف ريثما تمكنوا من اطفائها . وقد نظم في فتح الرها هذا ديونيسيوس ابن الصليبي قصيدتين وباسيليوس مطرانها ثلاث قصائد وخمستها يوزن مار يعقوب .

وبعد ما احتل زنكي الرها سار الى البيرة وهي قلعة حريزة للفرنج تطلّ على الفرات وحاصرها حصارًا شديدًا . ووافاه اذ ذاك الخبر بان فتنة وقعت في الموصل وقُتل نائبه ناصر الدين . فترك البيرة وانقلب الى بلده . اما الفرنج فخافوا ان يعود زنكي فكتبوا الى حسام الدين تيمورطاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين وسلّموه اياها . وخاف ايلغازي ان يزحف زنكي الى بلاده ويحتلّ قلاعه وسائر ولايته فقوّض قلاعاً كثيرة منها قلعة حور عبار وقلعة تلبسما وقامة توما وقلعة تل شيح وقلعة المرأة التي بجانب دير مار حنانيا. واقام تيمورطاش يحاصر قلعة الهتاخ سنة واربعة اشهر حتى انتزعها من صاحبها الكرديّ وهادنه ودفع له كمية من الذهب وتخلى له عن بعض القرى .

وخرج ارسلان طغميش بن داود صاحب حصن زياد من عند زنكي وسار الى بلد تل ارسانيوس وسأل اصحابه ان يسلّموه اياه فأبوا لان اولادهم كانوا رهائن في حصن زياد . فحارب البلد واحتله واستعبد اهاليه وهم خمسة عشر

الفاً مع اسقفهم طيمثاوس وباعهم .

وفي السنة ٥٤٠ للعرب (١١٤٥م) وجه زنكي جنوداً الى قلعة فنك المجاورة لجزيرة قردو او هي جزيرة ابن عمر . وهي قلعة حريزة تطل على دجلة احتلها الاكراد البشنويون منذ ثلاثمائة سنة .

وفي السنة ٥٤١ للعرب (١١٤٦م) اصلح زنكي ذات البين في الموصل (٣٠٩) على اثر مقتل نائبه ناصر الدولة واقبل الى حلب وهي له وحشد الجنود وزحف الى قلعة جعبر . ولما كان يوماً في خيمته احضر اليه الصنّاع طبقاً ذهبياً لينظره فحنى رأسه وجعل يتأمله فامتشق احد حملة سلاحه سيفه وضربه من ورائه وحزّ هامته . وكان فيما قيل سكراناً غارقاً في النوم ليلاً . وان ثلاثة من عبيده اسرعوا الى اسفل القلعة وقالوا للحراس : اسحبونا اليكم لنبلغكم بشرى تبهجكم . فدلّوا زنبيلاً وسحبوهم واحداً فواحداً فأخبروهم بما صار وقالوا لهم : انفخوا بالابواق ونادوا من في اسفل القلعة وقولوا لهم انهضوا واذهبوا فاقبروا مولاكم قبل ان ينتن. فسارعوا اليه وشاهدوه مذبوحاً .

امّا محمود بن زنكي الذي دُعي نور الدين وكان مع ابيه فقد شدّد القتال على القلعة حتى كلّ هو والمحاصرون . ثم قال لهم : سلّموني قَتَلة ابي وانتم كونوا في طمأنينة. فسلّموه اولئك الثلاثة فاجهز عليهم واحرق جثثهم . وخلّف زنكي اربعة بنين وابنة واحدة وهم : سيف الدين غازي ونور الدين محمود وقطب الدين مودود ونصرة الدين امير اميران واختهم . وشاد في الموصل دوراً ملكية اذ لم يكن بها قبله الّا دار ملكية واحدة تجاه الميدان . وقد عمق اساسيا ووطّد اسوارها . وفتح باباً يقال له باب عمادي غرس الحدائق حوله . وكانت الثمار ولاسيما العنب قليلة جداً في الموصل قبل زمانه حتى ان الحانوتي كان اذا باع عنقود عنب قطعه بالموسى لئلا تقع عنبة منه على الارض (٣١٠) . وقد ازدادت الثمار في الموصل بعد ذلك . وكان لزنكي اصحاب في بلاط السلطان يخبرونه سراً بما يجري هناك ليل نهار . وكان اذا وافاه سفير ما، نهاه عن محادثة الجنود والاهالي.

ودفع يوماً لاحد عبيده طبيخاً وقال له احفظه لديك . فاخذه ولفّه بمنديل

ووضعه في عبّه وظلّ معه سنة كاملة وعند انتهائها سأله زنكي : اين الطبيخ ؟ فأخرجه فورًا من عبّه وقدمه له . فاعجبه ذلك العمل وقال : الى مثلك ينبغي ان افوّض حراسة البلد . ثم ولّاه قلعة كواشي وسيره اليها .

ولزنكي صفات اخرى تدلّ على زهده وعلى بطشه بالمجرمين انَّا كانوا ضربنا الصفح عنها حبًّا للاختصار . وقد مَلَك سورية تسع عشرة سنة . وكان لديه حينما قُتل في قلعة جعبر امير كبير عاقل اسمه اسد الدين شيركوه . هذا قال لنور الدين بن زنكي : يلوح لي ان وزير ابيك يحاول ان يستميل الجيوش الى اخيك سيف الدين ويأتي به الى الموصل . فالاجدر ان اذهب بك الى حلب لتتولّاها انت وتتولى سورية معها . وبعد هذا يسهل عليك احتلال الموصل واقليمها وبلاد المشرق .

ولما تمّ ذلك اجتمع نور الدين بجيوش سورية ومضى بهم الى حلب وتولّاها مع قلعتها . ثم ارتحل اخوه سيف الدين الى الموصل وتولّاها وأيّده السلطان مسعود اذ كان يُخلص له المودّة . وسبق نور الدين فأدّى له كذلك خدمًا جلّى يوم كان والده حيًّا يُرزق . وارسل السلطان الى سيف الدين حلّة ملكيّة تأييدًا له في منصبه . وكان نور الدين يخاف اخاه المذكور (٣١١) فيبعث اليه بالهدايا معربًا له عن اخلاصه متحذرًا ملاقاته . وبعد ما حلف احدهما للاخر سار سيف الدين الى سورية وبادر نور الدين اليه فانحدر لما شاهده وقبّل الارض امامه . وانحدر سيف الدين كذلك وتعانقا وبكيا . وقال سيف الدين لاخيه : لماذا لم تأتِ اليّ هل خفت مني ؟ ثق يا اخي بانه لم يخطر ببالي ما خطر ببالك . وماذا تنفعني الحياة والبلاد اذا اسأتُ الى اخي ؟ هكذا اتفق الاخوان وعاد كل منهما الى بلده .

وعلى اثر مقتل زنكي سار ريمند صاحب انطاكية الى اطراف حلب وحماة وفتك بكثيرين من العرب وغنم غنائم وافرة . وعند عودته ادركه شيركوه واستردّ منه الغنائم . وسار مجيد الدين صاحب دمشق الى بعلبك وشدد عليها حتى انتزعها من نجم الدين ايوب والد صلاح الدين وترك له بعض القرى وعاد الى دمشق .

وفي تشرين الاول من السنة ١٤٥٨ لليونان (١١٤٧ م) شخص جوسلين وبغدوين صاحب الكيسوم الى الرها وتسلّق رجالة الفرنج البرجين ليلا بحيلة عقداها مع بعض الارمن حارسي السور . فانهزم الاتراك الى القلعة . وعند الصباح فتح باب الماء ودخله جوسلين . وما كاد يمر على ذلك ستة ايام حتى باغتهم نور الدين قادماً من حلب في عشرة الاف تركي . فشدّ جوسلين على الرهاويين المساكين واستاق الرجال والنساء والفتيان والفتيات قسراً في الساعة الثانية من الليل . ولما اصبح الصباح ادركهم الاتراك ووضعوا فيهم السهام كالبرَد وهم يرشقونهم رشقاً أليماً . فيا لسحابة السخط والغضب ! تبّاً ليوم خال من الرحمة ! تبّاً لليلة جانحة وصباح جهنمي ! فقد انقضّ الاتراك على الرهاويين الاذلاء ابناء المدينة المغبوطة ! وتركهم الفرسان الفرنج وانهزموا اذ عجزوا عن المقاومة (٣١٢) اما رجّالتهم فتعذرت عليهم الهزيمة وقصدوا حصناً خراباً يُدعى حصن كوكب واستجاروا به . وظلّ الرهاويون المظلومون والسيف يسحقهم سحق النار للهشيم . ولم يكتفوا بالقتل بل اخذوا ينزعون احذية الباقين وثيابهم ويوثقونهم بالحبال ويستعجلونهم على الركض حفاة عراة رجالا ونساء ويضطرونهم ان يتبعوا الخيل . وقد أوفى عدد القتلى في المرّتين الاولى والثانية على الثلاثين الفاً . واستعبد الاتراك ستة عشر الفاً ولم يُفلت مع الرّجالة الفرنج الذين انهزموا الى حصن كوكب سوى الف رجل فقط . وقد باع الاتراك كل من استاقوهم في مختلف البلدان وأمست الرها خاوية خالية مخضّبة بدماء اولادها ممتلئة من عظامهم تهجم عليهم وحوش القفر ليلا وتتغذى بلحومهم . وامست مأوى لبنات آوى .

وقد فُقدت جثة بغدوين صاحب الكيسوم وأفلت جوسلين اللعين الى سميساط . وانهزم باسيليوس مطراننا وقُبض على مطران الارمن مع كثيرين من جماعته . ولما سمع سائر الفرنج بما جرى من الغوائل في الرها تدفقوا من ايطالية واقبل ملك الالمان[1] في تسعين الف فارس وملك فرنسا[2] الذي يدعوه

١) كونراد ملك النمسة

٢) لويس السابع (١١٣٧–١١٨١)

العرب فوتش في خمسين الفاً سوى الرّجالة الذين بلغوا حد الكثرة . وتوجهوا في السنة ١٤٥٩ لليونان (١١٤٨م) الى قسطنطينية وحاربوها حرباً شديدة اذ اطّلعوا على خيانة اليونان وغدرهم. وبعد ما دفع لهم الملك منوئيل ذهباً وافراً وأقسم ان يهديهم الطرق بامانة غدر بهم وارسل مَن دلّهم على طريق وعرة وجبال قاحلة لا ماء فيها. وظلّوا تائهين خمسة ايام وانهزم اليونان هداتُهم فقضى ربواتٌ منهم عطشاً هم وخيلهم . وسمع الاتراك فانقضوا على المشتّتين (٣١٣) في الجبال وجعلوا يفتكون بهم فئةً فئةً حتى امتلأت بلادهم من الغنائم وبيعت وزنات الفضة في ملطية بيع الرصاص .

اما الفرنج الذين افلتوا وعادوا الى سواحل بحر بنطس فقد اخذ اليونان الجبْس يخلطون كلساً في القمح ويطعمونهم . فكانوا اذا اكلوا سقطوا كوماً كوماً وقضوا . وقد نجا ملك الالمان في ثلاثة من القلمصة لا غير وسار الى اورشليم وصلّى وتبرّك بقبر المخلّص واقام بضعة ايام ثم زحف الى دمشق في عشرة آلاف فارس وستين الف راجل . وكان عدد الاتراك والعرب نحو مائة وثلاثين الف راجل سوى الفرسان . ولما عرف الفرنج انهم على كثرتهم لا قوّة لهم اخذتهم النخوة والشجاعة فحملوا عليهم حتى وصلوا الى الانهار ودخلوا الجنائن .

أيس المُعين صاحب دمشق فارسل سرّاً الى ملك اورشليم وخدعه بالكلام والذهب وقدّم له مائتي الف دينار من نحاس ملطوخة بذهب مصري. وارسل كذلك الى صاحب طبرية خمسين الفاً من الذهب المزيّف وقد اطّلع الفرنج على ذلك وادركوا الخيانة . على اني طالعت خمسة كتب عربية مختلفة لم اعثر فيها على حكاية هذا التزييف . غير ان البطريرك ميخائيل المغبوط ذكرها في تاريخه. ولما اطّلع ملك الفرنج على الغش والخداع ترك دمشق وعاد الى وطنه يتفطّر قلبه غمّاً واسفاً . تلك كانت عاقبة اولئك الجنود الفرنج الكثيري العَدَد والعُدَد .

له صلة

كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان (مخطوط)

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني
شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق
الاب اغناطيوس طنوس الخوري
الراهب اللبناني

(تابع)

[٤٧] تواريخ بعض الحوادث في ايام حكومة الامير يوسف الشهابي

١ً تاريخ ابو الذهب

المذكور كان اولاً من اكبر المقدمين عند علي بيه (لعلها بيك) عزيز مصر. فارسل ابو الذهب المذكور ، الذي كان يسمى احمد بيك ، على اخذ الديار الشامية . بقصده ان يتبعها الى تخت مصر ، كما كانت سابقاً ، ان حدود حكومة مصر كانت الى شغر (جسر الشغور) حلب . فالمذكور توجه من مصر بعساكر لا تعد ، بترتيب وطقم واتقان ، كمثل عرضي همايون. وتوجه الى ديار الشامية ، واخذ الشام ودخل اليها ، واستقام بها خمسة ايام . وارتجت منه كافة اقطار الشامية والحلبية .

وبعد الخمس ايام المذكورة ، قام ليلاً ورجع الى مصر ، بالطريق التي اتى بها . ولم علم احد ما هو سبب رجوعه ، لكونه من غير سبب محوج . وكان دخوله الى الشام ، ورجوعه ، سنة ١٧٦٢م . واستقام في مصر سنتين . وبعده جهز العرضي الذي كان حضر فيه سابقاً عينه ، وقام به قاصداً الديار الشامية ، كمقصوده السابق . واما هذه الخطرة ، جعل دربه بحراً ، واخذ غزه والرملة ويافا ، ووصل الى سهل عكا . وكان حاصل بينه وبين ضاهر العمر وسيلة

(صلة صداقة) . ولاقاه المذكور هو واولاده الى العرضي برات (خارج) عكا . واستقام مدة وجيزة ، وصار له سطوة ورهبة زايدة ، في كافة امصار الشامية والحلبية .

ومن الجملة الامير يوسف الشهابي ، حاكم تحت جبل الشوف ، ارسل تقادم وهدايا يستعطف خاطره عليه . وبعد هذه المدة الوجيزة مات المذكور (ابو الذهب) في العرضي . وسبب موته ، وهو مار في الطريق ، على القديس مار الياس في الكرمل ، امر بنهبه والاهانة الى سكان الدير ، ونهب جميع ما به . وبعد وصوله الى سهل عكا امر ثانياً في هدم الدير المذكور ، ووجه من قبله معتمد لكي يهدمه . وبعد توجه المعتمد في تلك الليلة عينها ، ظهر له القديس مار الياس ، وخنق ابو الذهب عياناً . وفي ذلك الحين قد تشتت شمل عسكره ، واخذوا من العرضي ما هو خفيف الحمل وغالي الثمن . وما بقي من ذلك العرضي ، اغتنمه ضاهر العمر ، وجابه الى عكا . وكان حضور ابو الذهب وموته سنة الف وسبعماية وسبعين .

[٤٨] ٣ً تاريخ هوشة (معركة) اميون مع التفكجية

في تاريخ سنة ١٧٦٩ م حصل نزاع ما بين محمد باشا ، وسعادة الامير يوسف (شهاب) . وسبب ذلك انه قتل قتيل في قرية داريا من ابن عمه . والقرية المذكورة تابعة الزاوية ، التي كانت يومئذ تابعة الدولة . وهذه القرية نفسها كانت بكلبك للشيخ اسماعيل حماده . فحين قتل القتيل ، قصد محمد باشا بانه ياخذ جنية ، ويغرّم اهالي القرية ، كما كانت جارية العادة عن الدولة سابقاً .

فمنعه الامير يوسف عن ذلك ، وترايدت النزاعات بينهم ، وتماظت الفتنة . وارسل محمد باشا واحضر بيت حماده الى عنده لطرابلس . وكان مراده ان يلبسهم (يعينهم في الحكم) ، ويرفع يد الامير يوسف عن مقاطعة بلاد جبيل . وجمع عسكر الى طرابلس من كافة المقاطعات الباقين تحت امره . ووقتئذ طلع الشيخ سلمان من بيت الشيخ احمد ، بزعمه انه يعتّب اهالي مقاطعة بلاد جبيل ، ويخدعهم ، وينزل منهم اناس لعند الوزير . فالتقوه رَبع (جماعة)

الامير يوسف في قرية كفرعقا ، في الكورة ، ومسكوه ولمن معه ، وتوجهوا به الى عند الامير ، لعين الحمام في اللقاوق . لان وقتيذ كان حضر الامير المذكور ، من دير القمر جردي (عن طريق الصرد) ، ومعه عسكر مقدار عشرة الاف ، من بلاد الشوف وتوابعها ، لكون بلغه ما حصل من الوزير ، اي احضار المتاولة ، وجمع عسكر في طرابلس .

ولما كان قصده (قصد الوزير) مجي المرابيط من عند الامير يوسف ، تاني يوم شنقهم (الامير) جميعهم ، وتوجه بالعسكر الى مقاطعات طرابلس الذين ما هم بيده . فوصل اولاً الى قرية اميون . فوجد بها تفكجية الوزير، وكانوا مقدار ثلاثماية رجل . وسبب حضورهم لاجل احتفاظ الكورة ، لان يومها كانت تابعة الدولة . وكان عقيد العسكر التفكجية حاج عبد تفكجي باشا . وحين وصل عسكر الامير ، وقع الشر بينهم من قبل الظهر ، الى ساعتين بالليل . وقتل من التفكجية جملة قتل . وان لم يكونوا محاصرين في البرج الذي في وسط القرية ، لما كان احد بقي منهم . فطلبوا الغيرة والامان ورفع النزاع والعدوان .

فاعطاهم (الامير) الامان ، وفك عنهم العسكر ، وانهزموا ونزلوا في الليل الى طرابلس . فما صمد منهم الا القليل . وفي تاني يوم قطع الامير في عسكره الى ارض الزاوية ، ووصل بنفسه الى كتف نهر جوعيت . وعسكره تلّي (ملأ) الزاوية لحد نهر البارد . فطلعت له مكاتبة من المدينة . ورجع تاني يوم الحد (الاحد) تطلعت (ارسلت) له الخلاع (اثواب الولاية) وشرطنامات البلاد ، عن يد الشيخ يوسف شمر . ورجع في العسكر لمقر حكومته في دير القمر .

[٦٩] ٣ ناريخ هوشة العاقورة ، (والكورة)

انه في سنة الف وسبعماية واتنين وسبعين ، صارت هوشة عظيمة في العاقوره، بين الامير بشير ، عم الامير يوسف ، وبين المتاولة . لان المتاولة نزلوا الى الامير بشير ، الى العاقورة ، وعملوا معه شر عظيم . واستقام بينهم الحرب ، من شروق الشمس الى غروبها . وكان مع الامير وقتئذ ، من الجبة ، الشيخ

عيسى الخوري من بشري ، والخواجه يوسف كرم[1] من اهدن ، ومعهم رجال قلال. فانكسرت المتاولة. وتاني يوم انطرح الصوت على الجبة. فضى الشيخ ابو سليمان عواد ، والشيخ حنا ضاهر ، وكامل رجال قاطعهم .

وحين شاهدوا المتاولة ان الرجال عند الامير بشير قد صارت زايدة ، ما عاد لهم (للمتاولة) قدره عليه . فالتزموا في الليل قاموا ، في (مع) جميع حريمهم وسحتهم (امتعتهم) ، مشايخ وطوايف (عائلات) ، من جبة المنيطرة ، ومن وادي علمات ، ونفذوا الى قرية درب عشتار التي في الكورة .

فحين علموا مشايخ جبة بشري ذلك ، وهم : الشيخ يوسف بولس (الدويهي — اهدن) ، والشيخ ابو يوسف الياس (اسطفان — كفرصغاب) ، والشيخ ابو خطار الشدياق (عينطورين ، والد المؤلف) ، جمعوا رجال الباقين من البلاد ، وتوجهوا الى دير مار جرجس حماطورة (للملكيين المنفصلين). وفي ذلك الليل ، وصل الشيخ سعد الخوري ، كاخية الامير يوسف ، ومعه عسكر مغاربة. وعلق الشر فيما بينه وبينهم (بين المتاولة) ، في درب عشتار ، من الظهر الى غروب الشمس . فقتل من عسكر سعد الخوري ، من المغاربة ، خمسة عشر قتيل ، ومن المتاولة قتيلين . فرجع (الشيخ سعد) بات ذلك الليل في بزيزا . وطرح الصوت على الجبة . فنزلوا المشايخ الذين كانوا في حماطورة ، وتوجهوا مشايخ الجبة الذين كانوا في العاقورة . والفريقين وصلوا الى بزيزا نصف الليل .

فحين عرفوا المتاولة بوصولهم ، هربوا في الليل ، ونزلوا بحرًا (بطريق البحر) . تاني يوم لحقهم الشيخ سعد الخوري ، والعسكر الذي معه من المغاربة ، ومن الجبة. واصطلى الشر بينهم من برغون التي فوق انفة ، ولا زالوا وراهم ، والشر بينهم مشتغل ، الى حد القلمون . وحين دخلوا الى قرية المذكورة ، برجا اهليا ، رجّع سعد عنهم العسكر ، بعد ان راح من المتاولة جملة قتلى ومجاريح . وغنم العسكر في اسحاتهم (امتعتهم) واسبابهم وطرشهم (ماشيتهم). وانمسك منهم الشيخ علي بَنْصَر (حمادة) ، في قرية قلحات .

---

١) هو جد بطل لبنان الكرمي ، والد ابيه .

واما عسكر الشيخ سعد ، قتل منه واحد من حصرون ، لا غير. والمتاولة جاءوا من القلمون على طرابلس . وموضع الذي تبقى معهم شي من السحت [٥٠] اخذوه اهالي طرابلس ، وصاروا يراي (كذا) لها . واما الشيخ سعد الخوري اخذ الشيخ علي مربوط (اسير) ، ومعه سبعة مرابيط ، الى جبيل . ثم بعده حضر الشيخ ميلان الخازن ، وترجى في الشيخ علي ، وفكه ، واخذه معه ، وسكنه في ساحل علما .

تاريخ احمد باشا الجزار

ان هذا كان اولًا كاشف في مصر . وكان جبار قهار ذو بطش ، سفاك دما . ولاجل ذلك سمي « الجزار » اي دبَّاح . ومن جرا افعاله ، قاموا عليه سناجق (حكام) مصر ، وراموا قتله ، فهرب سرًّا وحضر للشام ، ومعه خادم لا غير ، يسمى سليم . ومن الشام حضر لطرابلس بحال الذل . ومنها نقل الى بيروت ، وسكن مدة في حالة يرثى لها . فشفق عليه الامير يوسف ، والد الامير ملحم الشهابي ، لان وقتئذ كان (الامير) حاكم جبل الشوف ، وعين له خرج يومي من الديوان .

وبغضون ذلك ، حصلت فتنة بين الامير يوسف ، وعمه الامير منصور . فارسل ولَّج الجزار ، وسلمه بيروت ، بنوع محافظ . واستقام في طاعة الامير يوسف مقدار سنة. وبعده تمرد على من كان سبب نعمته ، وبدا يحصن بيروت ويمنع دخول اهل الجبل . وعمل جملة قضايا ضد الامير يوسف ، وضبط جميع مداخيل بيت شهاب ، في بيروت . وقتل جملة اناس من اهل الجبل وغيره ، وضبط ضد التجار ، وابدع كامل البغو والعدوان .

فالتزم الامير يوسف ، جاب مراكب المسكب ، وحاصره في بيروت جملة ايام . وبعده طلع من بيروت ، بواسطة الشيخ ضاهر العمر ، الذي كان وقتئذ حاكم عكا. وحين طلع الجزار من بيروت ، توجه للشام ، ومنها الى اسلامبول. ورجع مع وزير البحر وحاصر ضاهر العمر !!... وبعده اخذ تواك (كذا) صيدا ، وصار وزير في صيدا ، في سنة ١٧٧٣ م. وصار اغلب سكنته في

عكا . وطلع (صار) اكبر وزير جبار قهار ، لا يصطلى له نار . رجل غضوب حقود ، عنيد سفاك دما ، ناشي الظلم والتعدي . وما حضر وزير من الدولة الى عرب بستان (لبنان وسوريا وما اليها) مثله .

ومن خيانته قتل الامير يوسف وكاخيته الشيخ غندور (سعد) الخوري ، اللذين كانا سبب نعمته . وابدا احوال واشغال يطيل شرحها . وكان دايماً يمشي عساكره الى جبل الشوف ، ولا يدعه يهدا ، ولا سنة واحدة من غير فتوح . وسكن عكا وحصّنها غاية ما يكون . حتى انه لقي (قاوم) فيها حرب الفرنساوي وابونابرت ، جملة ايام ، ورجعوا وما قدروا اخدوها .

وبهذا الشرح ، اختصرنا عن كامل احواله واشغاله ، واهملنا عدتها لزيادة كثرتها . وان بدينا نشرح كافة اشغاله واطواره وتسطيه (اعتداؤه) على ايالة الوزر اقرانه ، شي يطيل شرحه . ولا يمكن نقدر [٥١] نصِفه على حقيقته ، مثل حصار جبيل ، وحصار محمد باشا ابو مرق في يافا ، وتمشي عساكره على ايالة طرابلس ، ضد خاطر اصحاب المنصب ، وعلى ايالة الشام ، واشيا مثل هذه وغيرها ، التي بدها (يلزمها) مجلد كبير ليحصيها . ولكن عملنا هذا المختصر نقطة من بحر ، لكونه تعدّاً اشيا ما سلفت من وزر غيره . وتوفي في عكا سنة ١٨٠٤ م (الف وثمانمائة واربع) .

صورة بولوردي (مرسوم) من احمد باشا الجزار

ارسلها الى جبل الدروز (الشوف) تهديد الى اهل الجبل المذكور ، في حكم الامير حيدر والامير قعدان (شهاب)

سنة ١٢٠٥ هـ. (الف وسبعمائة وتسعين م.)

صدر المرسوم المطاع ، الواجب القبول والاتباع ، الى امرا ومشايخ عقل ، وعقال ورعايا ، وسائر سكان الشوف والمتن وكسروان ، بوجه العموم ، يحوطون علماً .

نعرفكم انه لما عزمنا على مسير طريق الحج الشريف ، وزيارة نبينا السيد البشير النذير — عليه افضل الصلاة والتسليم من العلي القدير ، قد كشف الله

لنا عن ما هو لا بد ان يتوقع ويصير . فانذرناكم وحذرناكم غاية التحذير . وذلك قبل تحرك ركابنا السعيد من صحراء المزاريب . عرفناكم عن هذه الافعال السيئة الردية ، والطرقات المعوجة الغير المرضية . فـلا بد عن مسيركم بها وسلوككم في شوارعها . فأخذتم المشتري وهاروت (اسماء اصنام) عشيرة ودينا ، وبعدتم عن قول الحق المبين ، يا ايها الذين آمنو ، طيعوا الله والرسول واوليات اصحاب الامور . فتزحزحتم بغرور انفسكم عن ذلك . واقتفيتم ثر من تقدمكم من الظالمين ، ونسيتم ما حل بهم من العذاب الاليم . واشهرتم الجور والاعتساف . وتركتم الصواب والانصاف . وسعيتم بالارض بالفساد ، وما جزاء الذين يسعون بالارض بالفساد ، الا ان يقتلون او يصلبون ، او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف (كذا) . فكان ذلك ابدًا لنحكم بجنسكم .

وروى الله : الذين كفروا ولم ينالوا خيرًا ، فتراكت النحوسات عليكم . فما ازددتم الا شرًّا . وكنا نظن في حلول ركابنا السعيد من الخاج الشريف ، ان يتغير الخبث الذي بانفسكم ، ان الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بنياتهم . فبقيتم على ما انتم عليه من الطغيان ومزيد البهتان ، وفي غيابنا طلب منكم افتخار الامرا الكرام ، ولدنا الامير بشير شهاب ، الخدامة حكم (حسب) قولكم . فاذ كنتم بمعزل عنها ، وصدق عليكم يا ايها الناس ان بغيكم على انفسكم .

وكان يلزمكم اطاعة خليفة رسول الله ، مالك ذمة الحقيقة [٥٢] ، شمس فلك الدولة العثمانية ، السلسلة الخاقانية ، ملك البرين والبحرين ، اسكندر ذو القرنين . فاظهرتم التباعد والتنافر . ووضعتم في عقلكم اني بهذه المسافة لست راجع . فكل منجم كذاب . فاعلموا واعرفوا وتحققوا ، ان سلكتم في قدم الطاعة ، وكنتم مطيعين وخاضعين الى ولدنا الامير المشار اليه ، فعليكم من طرفنا امان الله ، وامان رسوله ، ثم اماننا ، ولم تشاهدوا منا الا المسرة . وان بقيتم وثبتم على حالكم ، وسوء اعمالكم ، فبعناية الملك القاهر ، اني بكم الظافر ، ولاتركنكم كالامس العابر ، ولادمرنكم بكل دامر . سلموا تسلموا .

وان ناندتم ، تندموا ولا تدخلوا في حيّز قوله تعالى : من نكث لا ينكث على نفسه . واياكم والمكر ومخالفة الصواب ، وايقاع انفسكم في هلكات الحساب . واعتبروا قول رب الارباب : « فوقاه الله السيئات ما مكروا ، وصبوا يا آل فرعون اشد العذاب » .

والباغي بغيه يرجع في رحله (كذا) . فانهضوا الى الطاعة والتسليم ، تحظون انشاء الله تعالى بالمرام والتكريم ، وغيروا من انفسكم هذا الوسواس الاليم . وتوكلوا على الله . واذا تنحيتم عن الاطاعة ، ننشر اعلام الحرب نحوكم . ونوجه عساكرنا الزاجرة كالبحور الزاخرة ، سالّين بواترهم بايديهم ، وسمر القنا ساحبين ، والدما ساكبين . فمن قتل منهم فالى جنة رضوان خالدين . ومن قتل منكم ففي سعير جهنم متقلبين . فانظروا الى انفسكم الخلاص . فاذا كنتم من اهل السنة والجماعة ، فادخلوا في حيّز الاطاعة . وان ابيتم ، تروا اوخم الاحوال والتنكيد . والله حسبنا ونعم الوكيل .

تاريخ حصار جبيل

انه في سنة ١٧٧٩م ، في ٤ تشرين الاول ، نهار الاثنين ، كان ابتدا حصار جبيل من احمد باشا الجزار ، براً وبحراً . عسكر البر كان عقيده الامير سيد احمد ، اخو الامير يوسف (شهاب) ، ومعه عسكر متاولة ، وعسكر من الشوف . وعسكر البحر ، كانت غلياطات (سفن) الجزار ، معهم مقدار عشرين قطعة في البحر . والعسكر الذي كان داخل جبيل ، كان عقيده الامير حيدر ، اخو الامير يوسف (ايضاً) ، ومعه داخل الحصار الشيخ عثمان شديد (المرعبي) بعسكر عكار . ومشايخ بيت رعد بعسكر الضنية . ومشايخ بيت الدحداح برجال بلاد جبيل والفتوح . ومشايخ بيت ضاهر ، ومشايخ الجبة ، ومشايخ الكورة بيت العازار ، وكامل رجال المقاطعات المذكورين .

وفي التاريخ المقدم ، ابتدا الشر براً وبحراً . وانتصب ميزان الحرب ، واشتد البلا والحرب من كل الجهات . وما عاد يعرف قواس من قواس ، من اصوات المدافع والبارود . ولم يزل الحرب والشر دايم ، ليل مع نهار [٥٣]

مقدار ثلاث عشر يوم . وفي غضون ذلك ، كان متسلم طرابلس ، اسعد آغا شديد (المرعبي) ، وجه لمساعدة الذين داخل الحصار ، عسكر من ايالة طرابلس . فصده عن ذلك العسكر الذي كان مع الامير سيد احمد ، في المدفون . وكسره ورده الى خلف . وبعد ثلاث عشر يوم المذكورة في الحصار ، رضي الجزار على الامير يوسف ، وفك الحصار عن جبيل . والذين كانوا بها ، كل منهم رجع الى محله . وحصل الامان والراحة ، في كافة المقاطعات .

تاريخ كنيسة افقا

انه في سنة الف واربعماية وثمانين م. قوي عزم المتراحية في المنيطرة ، وعزلوا اولاد قصاص من المشيخة . وبقرب من المنيطرة ، الى نبع نهر ابرهيم بارض افقا ، كانوا الحنفا من قديم الزمان ، بنوا هيكل للاصنام ويطلعوا يصيفوا هناك . ويرتكبوا كل الفواحش .

ويخبر اوسابيوس القيصري ، ان الملك قسطنطين امر بهدمه ، واقام عوضه برجاً متى (كذا) على اسم السيدة ، لكي يمنعهم عن هذا الفعل الردي .

تاريخ اخذ حصن المنيطرة

في تاريخ احمد ابن سباط ، انه في سنة ١١٤٦ م فتح نور الدين ، احمد ابن زنكي الشامي ، حصن المنيطرة وكان بيد الافرنج .

بعض تواريخ حدثت في طرابلس وما جرى بها في عصرنا هذا وغيره

اولا حصار عبدالله باشا العظم ، الذي جرى في سنة ١٨٠٢ م (الف وثمانمائة واثنتين م.) . وسببه ان مصطفى آغا بربر كان مستقيم في قلعة طرابلس ، ومتولي حكومتها . لانه قبل ذلك كان طلع على القلعة ليلًا في سنة الف وثمانماية واستقام بها ، وحكم المدينة ببطشه وشجاعته . لانه كان رجل ذو بأس ، وفروسية وشهامة . ويرغب بمجرى (اجراء) الحق والعدل من غير محاباة . ولا يقبل رشوة .

وكان اصله من قرية برسا . وله قرابة مع امارة الكراد الايوبيين ، حكام الكورة . فهذا الآغا المذكور ، حين حكومته في طرابلس ، تغير عليه خاطر عبدالله باشا المذكور اعلاه . وحضر بعسكره الى طرابلس سنة ١٨٠٢ ، وحاصر المدينة ، وشد عليها الحصار مقدار ثلاث اشهر . وبعده قام عن حصارها ، لسبب انه انعزل عن منصبيتها ، وحضر منصبها (تبعت ولاية) الى احمد باشا الجزار ، والي صيدا .

واستقام مصطفى آغا بربر متوليها من قبل الجزار . وبعد موت الجزار (سنة ١٨٠٤ م) ، صارت تابعة لوالي الشام . وفي سنة ١٨٠٨ (الف وثمانمائة وثمان) ، تغير خاطر كنج يوسف باشا ، والي الشام ، على مصطفى بربر [٥٤]. وحضر بعسكر ، وحاصر طرابلس مقدار خمسة اشهر . وكانوا اهاليها ، قبل وصوله ، طلعوا من المدينة ، وتشتتوا في الاقفار من بر ومدن . وتركوا البلاد (البلد) خالية على عروشها (كذا) . وتركوا بعض اسبابهم (امتعتهم) في المدينة . وما بقي بها سوى مصطفى آغا ومن يتبعه في القلعة .

واشتد الحصار على القلعة المدة المذكورة . وعسكر الوزير ملك المدينة ، واخذ منها اسحات وارزاق واموال ، شي لا يحصى عدده ، ولا يمكن رقمه ، يفوق ويعسر عن وصف جمعه . وبعد هذا تواسط امر طرابلس سليمان باشا (العادل) والي صيدا بعد الجزار ، واخذ مصطفى بربر من القلعة لعنده لصيدا . وتسلم يوسف باشا طرابلس وقلعتها ، وحط بها متسلم علي بك الاسعدي ، ابن شديد مرعب حاكم عكار ، الذي كان متقدم ومساعد قدام الوزير ، في حصار قلعة طرابلس .

ورجع يوسف باشا الى الشام . وبعد ذلك بسنتين اي ١٨١٠ (الف وثمانمائة وعشر) ، حضر منصب (تحولت ولاية) الشام الى سليمان باشا ، والي صيدا المذكور اعلاه . واذ لم يقدر على مقاومة يوسف (باشا) وقيامه من الشام ، استعان بمساعدة سعادة الامير بشير الشهابي ، البطل الشجيع والليث الجسور . وسعادته توجه بعسكر من الشوف ، مقدار عشرة آلاف . وتلاقى مع سعادة سليمان باشا . وتوجهوا جملةً لقرب الشام .

فطلع اليهم يوسف باشا بعسكر عمل معهم هوشة (معركة) وباتت الكسيرة عليه (انكسر) ورجع الى الشام. وفي تلك الليلة، ولّى هارباً من الشام. وثاني يوم دخل سعادة الوزير، وسعادة الامير بشير، بعساكرهم الى المدينة. وتولوا احكامها وتدبيرها. واستقام سعادة الامير بشير كم يوم في المدينة، ورجع الى مقر حكومته، الى دير القمر. وبعد مدة وجيزة، سعادة سليمان باشا رجع مصطفى آغا بربر الى طرابلس متولي بها، كما كان بها سابقاً. واما القلعة لم سلمه اياها. بل ليستقيم في المدينة، ويتولى احكامها كما شاء. وكان رجوعه الى طرابلس سنة ١٨١٠. ولم يزل حاكماً بكل عدل وانصاف الى يومنا هذا (١٨١٩). ويدوم الى وقت يريده الله.

تاريخ فتح جزيرة ارواد (وبعض حوادث)

انه في سنة ١٣٢٥ م فتحت جزيرة ارواد، التي قبال طرطوس، في البحر. حاصرت يوم واحد. وقتل من الافرنج نحو الفين. واخذوا منها الى دمشق نحو خمساية يسير (اسير).

[٥٥] وفي تاريخ سنة ١٣٣٩ م، نزلت نار سماوية، في اعمال طرابلس، فاحرقت كثير من الشجر والزرع.

اخذ جزيرة قبرس: في سنة ١٥٢٣ م السلطان سليمان اخذ جزيرة قبرس وقتل من عسكره، ومن المدينة، قتلاً كثير.

باشوية طرابلس: في سنة ١٥٧٩ م ابرز السلطان امرًا بان تكون طرابلس باشوية لتنكسر شوكة ابن عساف. وتولى بها يوسف ابن سيفا التركماني. وهو كان اول باشا قام على طرابلس. لان قبلها (قبلئذٍ) كان يحكمها سنجق. وبرها مفرق بيد حكام البر، واكثر مراجعتها لوالي الشام. لكون كان بها جملة ضيع تمارية (كذا) لعيان الشام.

تاريخ كرسي مار بطرس وغيره

اولًا قيام كرسي مار بطرس، في انطاكية سنة ٣٨ م واستقام بها سبع

سنين . ونقل كرسيه الى رومية ، سنة ٤٥ م واستقام بطرس في كرسي رومية خمس وثلاثين سنة . وتنيح (توفي) . وصار كرسي الروماني بيد خلفايه الى يومنا هذا . ويدوم بنعمة الله الى انقضاء العالم .

ويذكر ايضاً ، في كتاب « نزهة رومية » المطبوع في سنة ١٧٨٤ ، الذي وجدناه عند قدس سيدنا المطران اسطفان الدويهي ، وقدسه نقل هذا التاريخ من الفرنجي للعربي ، في ٩ آب سنة ١٨١٧ م . ويذكر في هذا الكتاب عينه عن عدد البابوات ، الذين قاموا في كرسي رومية ، من سنة سبعين ، بعد نياحة مار بطرس الى الآن ، اي الجالس يومئذ البابا بيوس السابع ، في سنة ١٨١٧ . جملتهم ٢٥٥ (مائتان وخمسة وخمسون) بابا .

ويذكر في هذا الكتاب عينه ايضاً ، عن كنيسة مار بطرس . طولها ضو ، اشبار عدة ٨٤٠ (ثمانمائة واربعون) . ادرع ٣٣٦ . وعرضها ، اشبار ٦٤١ . ادرع ٢٩٦ . وعلوها ، أشبار ٢٢٥ . ادرع تسعين .

ويذكر في هذا الكتاب عينه ، عن عدل الميل ، قصب ، عدة ٦٦٢ . وكل قصبة ، اشبار عدة ١٠ (عشرة) . تبلغ اشبار ذلك عدة ٦٦٧٠ (ستة الاف وستمائة وسبعين) . وعن كل عشرة اشبار ، اربعة ادرع . يكون طول الميل مسافة ادرع ٢٦٦٨ . تم .

تاريخ المجمع اللبناني

التأم في سيدة لويزة ، في زوق مصبح ، من اعمال كسروان . التامه في اول شهر ايلول سنة ١٧٣٦ م ، في رياسة البطريرك يوسف الخازن ، رئيس المجمع . وكان بحضور المنسنيور السمعاني الحصروني ، الذي حضر قاصد رسولي لالتئام ونظام هذا المجمع . وكان في ذلك المجمع مطارين طايفتنا المارونية عدة ١٣ . وكذلك روسا عام الرهبنات ومديرينهم ، واعيان [٥٦] الطايفة ، والمرسلين الذين انوجدوا في بلاد سوريا .

واثبت هذا المجمع الحبر الاعظم اكليمنضوس الثاني عشر ، بموجب برآت

رسولية محررة في ايلول سنة ١٧٤١ . وكذلك اعتنى بطبعه عربياً الشيخ عندور الخوري . وانطبع في مار يوحنا الصابغ الملقب بالشوير ، في معاملة كسروان سنة ١٧٨٨ .

تاريخ كراسي ملتنا المارونية

كما يذكر في المجمع اللبناني ، انه في سنة ٦٨٦ م الى سنة ١٧٣٦ ، لوقت المجمع اللبناني ، وضعت بطاركتنا كراسيها ثلاثة اماكن ، وهي ابرشية جبيل ، وابرشية البترون ، وابرشية طرابلس . فاولاً قام كرسي البطركية في دير مار يوحنا مارون ، في قرية كفرحي ، في ابرشية البترون ، في ايام رياسة البطريرك يوحنا مارون .

ثم نقلت ثانياً الى سيدة يانوح ، في ابرشية جبيل ، في ايام البطرك يوحنا ، ابن اخت البطرك يوحنا مارون . ثم نقلت ثالثاً الى دير سيدة ميفوق ، في وادي ايليج ، في ابرشية البترون سنة ١١٢٠ م (الف ومائة وعشرين) . ثم نقلت رابعاً الى مار الياس لحفد ، في ابرشية جبيل ، بايام البطرك يوحنا اللحفدي . ثم انتقلت خامساً الى دير سيدة هابيل ، في ابرشية جبيل . ثم انتقلت سادساً الى سيدة يانوح ، في ابرشية جبيل ، في رياسة البطرك ارميا سنة ١٢٠٩ م (الف ومائتين وتسع) . ثم نقلت سابعاً الى دير مار قبريانوس كفيفان . ثم نقلت ثامناً الى دير مار يوحنا مارون ، في كفرحي . ثم تاسعاً الى دير مار جرجس في الكفر ، في ابرشية جبيل . ثم نقلت عاشراً الى دير سيدة يانوح . ثم نقلت حادي عشر لسيدة ميفوق . ثم نقلت ثاني عشر الى دير مار سركيس حردين . ثم نقلت ثالث عشر الى دير سيدة قنوبين ، في جبة بشري في سنة ١٤٤٠ (الف واربعمائة واربعين) ، كما يذكر مؤلف المنارة (الدويهي) في تاريخه . وكان ذلك في ايام رياسة يوحنا الجاجي ، وهو اول بطرك سكنها (سكن قنوبين) .

تاريخ بطاركتنا الذين سكنوا هؤلاء الكراسي كما محرر اعلاه

هؤلاء اسامي بطاركة الموارنة ، منقولة من تواريخ مار بطرس في رومية ، من اللاتيني الى العربي .

[٥٧] ١ البطرك بولس تاواغان ، الذي هو الثامن والستون ، من عدد البطاركة السابقين هذا البطرك . وهو حكم اربع سنين . وتوفي سنة ٦٦٥ م .

٢ البطرك يوحنا مارون سنة ٧٨٧ ، وتوفي في سنة ٨٠٧ . هذا من رهبان القديس مارون .

٣ البطرك كوريوس ، ابن اخت مار يوحنا مارون

٤ البطرك جبرايل . هذا قطن كفرحي

٥ البطرك يوحنا من دملصا . قطن سيدة يانوح

٦ البطرك توفيلوس

٧ البطرك غريغوريوس من حالات

٨ البطرك اسطفان

٩ البطرك مرقوس من انطاكية

١٠ البطرك اوسايوس

١١ البطرك يوحنا من حمص

١٢ البطرك غريغوريوس

١٣ البطرك ثاوفيلكتوس

١٤ البطرك يشوع من الشام

١٥ البطرك ديميطوس من بيروت

١٦ البطرك يوسف من جبيل سكن سيدة يانوح

١٧ البطرك جرجس من البترون سكن ميفوق

١٨ البطرك بطرس من سار جبيل قام سنة ١١٢١ ، سكن ميفوق

١٩ البطرك اثناسيوس من عكا

٢٠ البطرك غريغوريوس من اهدن

٢١ البطرك مرقوس من صور

٢٢ البطرك اكليمنضوس من انطاكيه

٢٣ البطرك مخايل من تولة البترون

٢٤ البطرك بولس من كفر صارون الجبة

٢٥ البطرك سمعان من الشام

٢٦ البطرك زكريا من بان

٢٧ البطرك صامويل من بقوفا ، من بيت الرز

٢٨ [٥٨] البطرك يوحنا من عقتنيت

٢٩ البطرك دانيال من طرابلس

٣٠ البطرك بطرس من سار جبيل

٣١ البطرك موسى من كفرزينا

٣٢ البطرك بولس من حيفا

٣٣ البطرك يوسف من شدرا

٣٤ البطرك مارون من بكفيا

٣٥ البطرك ابرهيم من الناصرة

٣٦ البطرك حزقيال من درب السين (فوق صيدا)

٣٧ البطرك انطون من لحفد

٣٨ البطرك الياس من حاقل

٣٩ البطرك اندراوس من بيروت

٤٠ البطرك كيريللس من قبرس

٤١ البطرك اثناسيوس من صور

٤٢ البطرك يوباقيم من القدس

٤٣ البطرك الياس من البترون

٤٤ البطرك لوقا من راسكيفا

٤٥ البطرك نخايل من بيروت . هنا حتى هذا اضطهاد البطاركة

٤٦ البطرك يوحنا من حمص

٤٧ البطرك شمعون من النبيات

٤٨ البطرك ارميا من يافا

٤٩ البطرك زكريا من القدس الشريف

٥٠ البطرك يوحنا من حاقل

٥١ البطرك شمعون من انطاكية

٥٢ البطرك آشعيا من بجة

٥٣ البطرك داود من عكار

٥٤ البطرك غريغوريوس من عرقا

٥٥ البطرك الياس من تل سبعل

[٥٩]٥٦ البطرك سمان من عرجس

٥٧ البطرك فيلبوس من حصرون

٥٨ البطرك يوسف الجرجسي

٥٩ البطرك بطرس من جبيل

٦٠ البطرك جرجس من حالات

٦١ البطرك انطون من غزير

٦٢ البطرك يعقوب من رامات (البترون)

٦٣ البطرك يوحنا من لحفد . توفي سنة ١١٧٣ .

٦٤ البطرك ارميا العمشيتي . هذا القديس دخل الى رومية وحضر مجمع لاتران الثاني وتوفي سنة ١٢٣٠ (الف ومائتين وثلاثين)

٦٥

٦٦ البطرك دانيال من شامات، توفي سنة ١٢٣٨

٦٧ البطرك لوقا من بنهران

٦٨ البطرك يوحنا من اللادقية

٦٩ البطرك شمعون من بلوزا

٧٠ البطرك دانيال من حدشيت

٧١ 〃 يوحنا من الماقوره

٧٢ البطرك جبرايل من حجولا . حكم ١٠ (عشر سنين) . وتوفي شهيدًا بالنار خارج طرابلس سنة ١٣٦٧

٧٣ البطرك داود من اهدن . حكم ٧

٧٤ 〃 يوحنا من جاج

٧٥ 〃 يعقوب من الحدث (حدث الجبة بجوار الارز) ابن عيد . حكم ١٢ س .

٧٦ البطرك شمعون الحدثي (حدث الجبة) عاش ١٣٠ ، وحكم ٢٢ س .

٧٧ البطرك بطرس الحدثي ابن حسان . حكم ٤٤ س .

٧٨ البطرك موسى (سعادة) من البارده (عكار) . حكم ٤٣ ، وتوفي سنة ١٥٢٦ م .

٧٩ البطرك نخايل من بيت الرز ، من بقوفا . حكم ٢٤ س .

٨٠ البطرك سركيس اخيه الرزي . حكم ١٦ س .

٨١ البطرك يوسف الرزي من بقوفا (ابن اخي البطريركين نخايل وسركيس)

٨٢ البطرك يوحنا مخلوف هدناني (من اهدن) حكم ٢٤ س .

٨٣ البطرك جرجس ابن عَميرَه ، هدناني . حكم ١١ س .

٨٤ البطرك يوسف العاقوري (من بيت صَليب)

٨٥ البطرك يوحنا الصفراوي (من بيت البواب) من الفتوح

[٦٠] ٨٦ البطرك جرجس من بسبعل (قرب قرية ناشر الكتاب) حكم ١٣ س .

٨٧ البطرك اسطفان الدويهي . حكم ٣٤ س . وتوفي سنة ١٧٠٤ م .

٨٨ البطرك جبرايل البلوزاني . حكم سنة وخمسة اشهر

٨٩ البطرك يعقوب الحصروني (من بيت عواد) . توفي سنة ١٧٣٢ م .

٩٠ البطرك يوسف (ضرغام) الخازن . حكم ١٠ س. كان التئام المجمع اللبناني في ايامه

٩١ البطرك سمعان عواد الحصروني (ابن اخي البطريرك يعقوب عواد) قام سنة ١٧٤٣ وتوفي سنة ١٧٥٦ م .

٩٢ البطرك طوبيا الخازن (الراهب اللبناني) قام سنة ١٧٥٦ وتوفي سنة ١٧٦٦م .

٩٣ البطرك يوسف اسطفان من غوسطا . قام ١٧٦٦ ، وتوفي سنة ١٧٩٣

٩٤ البطرك ميخايل فاضل من بيروت . حكم عشر سنين و ٣ اشهر

٩٥ البطرك فيلبوس من شويّا جميّل . حكم عشرة اشهر .

٩٦ البطرك يوسف التيان من بيروت . حكم ١٣ س. هذا تنازل عن الكرسي باختياره الطوعي . قد انتقل هذا البار الطوباوي من دير قنوبين في ١٨ شباط سنة ١٨٣٠

٩٧ البطرك يوحنا الحلو من غوسطا الجالس يومئذٍ على كرسي قنوبين سنة ١٨١٦ (وفي عهده مات المؤلف .)

يقول الناشر :

انتقد هذه السلسلة البطريركية فقيد العلم والادب والصحافة ، المعلم رشيد الشرتوني ، محرر « البشير » الشهير ، في مقدمته عن سلسلة البطاركة للدويهي (ص ٩ و ١٠) ، التي طبعها سنة ١٩٠١ ، وكذلك في صفحة ٤٦ منها . واثبت في هذه الطبعة ايضاً سلسلة العينطوريني هذه . وهو لم يعتقد بصحتها « لانها توصل عدد البطاركة – كما يقول – من ابينا القديس يوحنا مارون حتى اليوم [١] الى مائة بطرك وبطرك . وهذا لم يقل به احد من علمائنا ... ولانها بالاخص مخالفة لما اتى به الدويهي والسمعاني ... » ولو كان الدويهي يقول « انه لم يظفر بكل اسماء البطاركة » .

وينعي المعلم رشيد – في طبعته هذه – على العينطوريني ايضاً ، تاريخ عهد البطريرك جرجس (كذا) من سمار جبيل ، وقد تدبره في نسخة المكتبة الشرقية العربية الحرف ، التي اثبتنا عدم اصليتها آنفاً . اما في نسختنا هذه التي ننشرها الآن – وقد بينا اصليتها المؤكدة في ما تقدم – فالمؤلف يذكر بطريرك اسمار جبيل باسم بطرس ، لا جرجس ...

١) عهد البطريرك الياس الحويك (١٨٩٩–١٩٣١) .

اما مخالفته للدويهي والسمعاني ، فلم تعم السلسلة كلها ، بل بعض بطاركة منها . واكثريتها الساحقة تتفق مع تحقيق العلامتين المذكورين .

تاريخ البطريك جبرايل (حجولا)

والي طرابلس قبض على البطرك جبرايل من حجولا — من اعمال جبيل — في اول نيسان . وامر بحرقه خارج طرابلس ، عند جامع طيلان . لانه كان تهم بتهمة باطلة ، وهو بري منها .

تاريخ ذخيرة مار سركيس عرجس

يذكر مؤلف المنارة (الدويهي) انها نقلت ذخيرة مار سركيس عرجس الى مار سركيس ايطو ، ثلاث مرات ، وترجع الى مكانها . وبعده وضعوها في حيط الكنيسة وسطوا (سدوا) عليها .

تاريخ الاذن في اكل اللحم والسمك

انه في سنة ١٦٠٨ ، البطريرك يوسف الرزي اعطى اذن الى روسا الكهنة، انهم يا كلون لحم . وكذلك اعطى اذن مطلق الى كافة طايفته ، انهم يا كلون السمك في صوم الكبير وغيره. لانه قبل ذلك لم كانوا يستعملوا الموارنة ذلك.

مختصر تاريخ جبرايل القلاعي اللحفدي

كانت الموارنة في دخول الاسلام بلد الشام ، تسكن جبل لبنان ، ويحكمون [٦١] باقتدارهم ، القرايا في الجبال والسواحل التي تجاورهم . ويعتقدون في ايمان الكنيسة الرسولية الرومانية ، سايرين بحقوق الطاعة لبطاركهم القاطن بينهم . ويحامون عن الدين المستقيم ، وينتصرون لكل من يقبل اليه، منهزماً بفرض الامانة (للحماية) من اصحاب الكفر والبدع . وكانت بلادهم من حدود الشوف ، الى بلد الدُّرَيب (في عكار) .

ولخوفهم من الدروز القاطنين بلد الشوف، ابتنوا الحصن المعروف بالقلعة الحجرية، في انطلياس ، والحصن المشهور في درجة مجز صاف . وساموا (رسموا) اسقفاً

لقرية راس المتن ، واسقفاً لقرية بجرصاف ، واسقفاً لقرية بجنس . ثم سعوا في تجديد ونشر قرى وحقول في بيروت القديمة . وغرسوا بساتين وكروم على نهر العرعر .

وكان اميرهم يسكن قرية بسكنتة . ولكثرة رجاله وابطاله ، تعظم بذاته ونزل الى ارض البقاع ، نهبها وقتل فيها كثيرين. ومكث اياماً في قرية قب الياس – سفح الجبل . فلما بلغ خبره سلطان الاسلام في الشام ، وهو عبد الملك ابن مروان ، المتملك سنة ٦٨٥ م ، في ايام يوستينيانوس الاخرم ، ارسل يخادعه بلين الكلام . واهداه هدية ، كأنه يريد مصادقته . وكان قصده اصطياده ولم يزل يمكر به ، حتى تمكن من قتله .

وذلك ان جنود الملك (ابن مروان) كانت تواكله ، وتشرب معه الخمر . واتوه بزانية ترقص قدامه ، الى ان تنشت الحاظه من الخمر ، وحينئذٍ وثبوا عليه فقتلوه ، وقتلوا من عسكره ، واحرقوا القرية ، وابعدوا الموارنة من البقاع .

وكان ابن اخت (هذا) الامير ، احد مقدمي (قواد) العسكر ، يسمى سمعان ، وكان رجلاً بطلاً شجاعاً ، صاحب مروة ونخوة . ولم يكن راضياً باعمال خاله وفواحش بذخه . فلذلك لما وقعت الواقعة ، هرب مع جملة من المقدمين ، ولم يحاموا عن اميرهم ، لشدة غيظهم منه . بل رجعوا بعد قتله دفنوا جسده في قب الياس ، وامروا ان لا يذكر احد اسمه البتة ، وليكن نسياً منسياً ، بزعمهم انه عاش ومات مرذولاً .

ثم ان العسكر والمقدمين صعدوا الى الجبل . وكانت الاسلام ترحمهم كثيرًا . وتواقعوا في البقعة المعروفة بالمروج ، فظفر المقدم سمعان براس قواد عسكر الاسلام، وقتله، وفتك بعسكره ، وهزمهم. ولم تزل الحروب من ذلك الحين ثايرة ما بين الموارنة والاسلام ، من كل الجهات ، الى نحو ثلاثين سنة. وكانت الموارنة على الاغلب غالبة . فحدث من ذلك ان الطرق بطل سعيها ، واستعصت الجبال كلها . فعجزت الموارنة عن القيام في حصن انطلياس [٦٢]، كونه طرف البلاد. فتركوه واتوا الى ناحية نهر الكلب . وابتنوا فوقه حصناً[1]

١) لم يزل محل هذا الحصن يحمل اسمه « البرج » فوق نهر الكلب ، حيث يقوم اليوم دير مار يوسف « البرج » لرهباننا اللبنانية .

استحصنوا به . وعنده صار ايضاً واقعة هايلة جدًا ، وسمع صوت بندقية ، وصراخ ابطالها ، من قرية بجرصاف . وكان المقدم سمعان يومئذٍ في بكفيا . ولما طرقت مسامعه اصوات الحرب ، انحدر اليهم حالاً ، ومعه نحو الف وخمساية رجل . فادركوا الاعداء عند نهر الكلب ، وداروا حولهم دورة الحرب ، ما بين طعن وضرب ، الى ان افنوهم بحد السيف .

ثم انطلق المقدم سمعان يزور يوسف امير مدينة جبيل . فتلقاه السيد البطريرك غريغوس الحالاتي (١١٣٠–١١٤١) ، الذي كان في عهد البابا اينوشنسيوس الثاني (١١٣٠–١١٤٣) الجالس يومئذٍ على كرسي بطرس ، قريباً من المدينة (جبيل) ، وكلّفه (ودعاه) واضافه . وبعد تمام الوليمة ، سار معه الى المدينة . فخرج الامير يتلقاهم خارج السور . وبعد استقباله البطريرك ، احتضن سمعان (عانقه) ، وسلم احدهما على الآخر . وساروا ماشيين الى دار الامير .

وبعد تمام السلام والكلام ، ارسلوا فجمعوا اساقفة البلاد ، من بلد عكار الى حدود الشوف . وكانت عدتهم نحو اربعين اسقفاً . واثبتوا بان سمعان هو الامير على العاصية ، المسماة الآن بكسروان ، وحدودها من نهر بيروت الى نهر ابراهيم . واعطوه البركات والدعا ، وانصرفوا .

وعند تمام المحفل (الاجتماع) ، اوهب امير جبيل الامير سمعان ، عدة من الخيل والجمال ، والرجال . واودعه بيد الرب . وخرج لوقته يحارب الاعداء . ولم يزل في طلب من هرب ، وصد من اقترب ، الى ان احتضنه الكفن ، وقبر في بسكنتا ، بشيخوخة مهابة مكرمة .

وتخلّف بعده كسرى . هذا كان خال سمعان واخ المقتول في قب الياس . ذا سطوة وبأس . وجرت له مع الاسلام وقايع شتى . وسار الى القسطنطينية ، وحضر على ملك الروم فاكرمه ، وحظي بغاية القبول ، واوهبه هبات جليلة ، واثبت امريته (امارته) على كسروان ، واصرفه بالسلام . وعاد راجعاً بالبحر الى ميناء طبرجا . فالتقته اهل البلاد ابهج قبول ، وهنوه بما صار له من الحظ الكريم عند ملك الروم . ودعوا بلادهم باسمه منذ ذلك الوقت « كسروان » ، نسبة لاسم الامير كسرى .

وسمع هذا الامير بخبر كامل ، مقدم لحفد ، انه رجل شجاع يغزو الاسلام ، ناحية بلد بعلبك . فاحبه ورغب مصادقته ، وارسل له هدية وسلام مع بعض غلمانه . فارتاب [٦٣] المقدم كامل منه ، وظن انه يريد ان يغدر به . ولذلك بعد ان اكرم المرسلين ، قال بشكل السر معتذرًا : اني لا اقدر اقبل منكم هدية الامير ، بسبب مولاي يوحنا امير جبيل ، لان ذلك يغيظه ويعطبني (يضربني) . واصرفهم من عنده بلطف الكلام .

ولما رجعوا الى الامير مولاهم ، واعلموه الحال ، قال : لا بد لي من مصادقة هذا الرجل . وعاد ثانية يطلب منه ابنته لابنه ، ليتزوجها . فأرسل كامل يستشير امير جبيل بذلك . فاذن له . وتمت الزيجة . بسببها امتزجت الصداقة والمحبة ما بين اهالي جبيل وكسروان . واستمروا مطانين مقبلين بالسلامة والنجاح زمانًا ليس بقليل .

وفي تلك الايام ، ابتنى مسعود ، مقدم قرية حجالين كنيسة مار اسطفان المشهورة ، في القرية المعروفة بغورفين . اما الشيطان الحاسد الخيرات ، فلم يحتمل حسن حال الناس . واهجس لراهبين خبيثين ، احدهما كان من قرية يانوح ، والآخر من دير نبوح[1] ، في سنة ١١٤٥ . وقالا : ان المسيح لم تكن له روح مخلوقة ، وان طبعه غير قابل الاوجاع والآلام . وافسدوا رأي الناس . ووقع انشقاق . وبلغت اخبارهم الى رومية . فأرسل البابا رسلًا تنذرهم عن ضلالهم . فلم يقبل البطريرك رسل البابا ، لان كان قد سقط في البدعة . وكان يسمى لوقا من بنهران[2] .

وكثر الشر في البادي (البدء) من قبل انشقاق المذهب . وافتتنوا ، حتى بلغت اخبارهم مسامع الملك الظاهر برقوق . وافتكر بانها فرصة وقعت لاخذهم ، والظفر بهم . فلم يتكاسل بارسال العساكر . واحاطت بجهات كسروان .

١) قرية في شمالي لبناني ، جنوبي زغرتا .

٢) قرية في قضاء الكورة ، شمالي لبنان ، سكانها اليوم متاولة . والبطريرك لوقا كان دخيلًا لم يقبله الشعب ، بل اجتمع للحال ، وانتخب له البطريرك ارميا الدملصاوي (١٢٨٣-١٢٩٧) .

وحاصروها اشد حصار ، مدا (مدة) سبع سنين ، وتغلب عليها . ومكث السيف والنهب والسبي ثايرًا في جبالها نحو اربعة اشهر، بلحمة حرب لا يطاق، حتى ملت وكلت العساكر من الطرفين ، موارنة واسلام .

ثم ابتدت عساكر الاسلام تحرق كسروان . واضطرمت النار في الغابات والاملاك، والقرى وكل مكان لان في السبع سنين المذكورة، صارت الارض، لعدم الفلاحة والاهتمام بها ، كلها بورًا . وارتفع الشجر والعشب البري في الحقول . وتمكنت النار من حريقها اربعة اشهر ، من اول حزيران الى اواخر ايلول . ولم ينجو من هذا الحريق مكان ، سوى حصن معراب .

واضجعت النصارا تبكي وتندب [٦٤] كسروان ، وكسرها الذي لا يجبر . لانها انقلبت قبرًا لاهلها . وصارت برية مستوحشة ، ليسكنها البوم والوحش الكاسر ، وتطرقها اللصوص والخوارج . هذا ما جرى في كسروان .

اما بلاد جبيل والبترون ، فكان اميرهم قايمًا مع رجاله، عند نهر ابرهيم، يحمي الحدود . فهالته بلوة (نكبة) كسروان ، وعظم خوفه . وايقن ان الله غضب لحال الهرطقة التي دخلت على الناس . فراسل البطريك ، واحضره لديه ، وكان يسمى ارميا [1] . وكلمه واقنعه بان يذهب الى رومية بنفسه ، ويقدم طاعة للبابا ، ويستغفر لشعبه ، ويأتيهم بالبركات .

ولان السفن كانت بدأت في ذاك الوقت ان تقلع ، ما امكن البطريك ان يذهب الى عمشيت ، قريته ، ليرتب منزله ، بل سافر حالًا بمنزلة راهب فقير يصحبه شماسه فقط . ووضع وكيلًا عوضه، المطران تادروس من كفرفو [2] .

---

١) الدملصاوي المذكور . .

٢) المؤلف هنا مسوق بالغلط الذي خبط فيه جميع المؤرخين ، قبله وبعده . وقد اعتقدوا ان ارميا العمشيتي وارميا الدملصاوي انما هما واحد، تارةً يسمونه العمشيتي، واخرى الدملصاوي ، من قرية دملصا ، وهي اليوم خراب فوق عمشيت . الى ان اهتدى الى جلاء هذا الغلط المرحوم صديقنا البحاثة القدير ، الاب طوبيا العنيسي ، من بيت شباب ، الراهب الحلبي اللبناني . فاكتشف حاشية خطية سريانية ، على ورقة ١٧ من كتاب الاناجيل، المحفوظ تحت رقم واحد، في المكتبة المادينية، في مدينة فيرنسة بايطالية، مؤداها ان هناك بطريركين باسم ارميا العمشيتي (١١٩٩–١٢٣٠) ، وارميا الدملصاوي (١٢٨٢–١٢٩٧) . والبطريركان

وتكفل له الامير بلوازم بيته ، الى ان يرجع . فوصل الى رومية سنة ١٢٠٩ . ولم يعرفه لحال فقره احد .

ولما اشهر ذاته للبابا اينوشنسيوس الثالث (١١٩٨—١٢١٦) ، بكى عليه ، ونزع وشاحه وطرحه على كتفيه . وسأله : من الذي عراك ، لانه توهم ان اللصوص سلبوه . فاخرج حينئذٍ البطريرك الانجيل الذي كان معه ، وقال : هذا سلب كرامتي ، وهذا امرني بالقدوم مسرعاً اليك ، لكيما احظى عاجلاً ببركانك والغفران عن شعبي .

فاستغرب البابا خطابه ، واتضاعه . واعرض عليه بان يقدس ، ممتحناً بذلك دلالة على صدق قداسته . وكان جميع من حضر يرقبه ، ويتميزه . فلما خدم القداس ، ورفع الرفعة ، وانزل يديه ، بقي القربان الالهي واقفاً فوق راسه . فصاح به البابا مختبراً ايضاً فضيلته : انزل بالقربان المقدس ، فهذا مجد باطل لا يفيدك . فوضع القديس (البطريرك) ثوقته (حالاً ، لامر البابا) وانزل الجسد الالهي ، واكمل الخدمة (القداس) ، واذهل الناظرين . وصار عندهم من ذلك الحين بمنزلة قديس نفيس ، وانعم عليه البابا بكل ما طلب . وابقاه عنده في رومية خمس سنين ونصف . وحضر المجمع العام المالتئم برومية .

ثم رجع الى الشرق ، ومعه الكردينال غوليلموس ، ليكشف عن الموارنة ، ويأخذ صورة امانتهم بخط ايديهم . وكان خروجهم من رومية سنة ١٢١٥ ، في ٣ كانون الثاني . فبلغوا الى مينا طرابلس الشام ، وتبادروا اليهم الناس ، واستقبلوهم اجل قبول . وصعد بهم اسقف قرية كفرفو وكيله (كما سبق) الى بيته . وفيه اظهروا ما معهم من بركات البابا .

ذهبا الى رومية ، مما ادى بالمؤرخين الى الخلط بينهما . اما ذهاب العشبقي فلحضور المجمع اللاتراني سنة ١٢١٥ ، تلبيةً لدعوة البابا اينوشنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦) . واما الدمنصاوي فقد اوفده الى رومية سنة ١٢٨٣ ، امير جبيل والاساقفة وسائر الاكليروس والشعب ، لتقديم الخضوع الى البابا مرتينوس الرابع (١٢٨١—١٢٨٥) . وقد عهد بادارة الطائفة ولبنان — في غيابه — الى المطران تادروس بن كفرفو . ومن رام زيادة تثبت من حل ذلك الاشكال ، فعليه بكتاب الاب عنيبي المذكور « سلسلة البطاركة الموارنة » بالعربية ، طبعة رومية سنة ١٩٢٧ ، ص ١٩-٢٣ و ٢٦-٢٧ .

واخذ البطريرك يحل الناس من اللعنات والحرومات [٦٥] اللاحقة الهراطقة. ثم امر باجتماع مجمع ، وفيه قرروا رفع البدع ، والطاعة لصاحب الكرسي الروماني . ووضعوا خطوط ايديهم بحضرة الكردينال . وكانوا بالعدد نحو مايتين وسبعين نفرًا . واستقام حسن الايمان والعبادة منذ ذلك الوقت في لبنان . الى ان تنيح (توفي) البطريرك في دير ميفوق ، ودفن في سنة ١٢٣٠

ومن بعده بثلاث سنين تنيح ايضاً امير جبيل (يوسف) ، وتخلّف بعده ابنه يوحنا . ولانه كان صغيرًا بالعمر ، تدبيره المقدم باخوس ، حاكم الجبال . فلم يوافق اهل جبة المنيطرة (بلاد جبيل اليوم) ذلك . لان بدعة يعقوب كانت دخلت في الكثير منهم . وافتتنوا وقاموا عليهم اميرًا ، رجلًا كان من مقدمي لحفد ، وساموا لهم مطراناً يخصهم . وكان البطرك يومئذٍ يسمى دانيال ، اصله من قرية شامات ، راهب من رهبان وادي علمات ، وله في قرية رامات اقارب . فأخذوه الى عندهم ، لعظم الفتن ، واسكنوه قريبهم في دير قبريان (مار قبريانوس) الذي في قرية كفيفان سنة ١٢٣٦ . واستمر الانشقاق ثايرًا في بلدي جبيل والبترون .

في بلاد الجبة ودير قنوبين

اما ما كان في بلدة الجبة ، فهو ان احد الملوك كان هاربًا بالخفا من وجه مملكته . فاتفق عبوره في وادي قاديشا . ومال الى عند احد الرهبان الساكنين فيه . فاضافه الراهب ونيّحه (اراحه) ، من غير ان يعلم من هو . واظهر له حباً واكراماً .

وبعد ايام اعيد الملك الى كرسيه . وذكر محبة الراهب . واحب ان يصنع معه معروفاً . فأمر ان يبني في ذلك الدير كنيسة كبيرة ، الدير المعروف بقنوبين . واجزل اليه الانعامات . فشاع لهذا الخبر في كل مكان . واقبل بسبب الاحسان الواصل من الملك كثير من رهبان تسكن الوادي . منهم اقباط سكنوا دير الفراديس ، الذي في قرية بان[1] سنة ١٢٦٢ . وكانوا

١) دير الفراديس هو في وادي قاديشا . وهو والمزرعة الحاملة اسمه من املاك دير قزحيا الشهير . وكانت الفراديس وديرها في خراج قرية بان .

(الاقباط) في الظاهر رهبان ، وفي الباطن اشرار . عددهم اربعين نفرًا . وصار لهم دالة والفة مع سكان الجبة .

اخيرًا اكتشفت احوالهم انهم فسقة (فاسقون) قتلة ، سُراق . واعلموا مقدم بشري بحالهم . فأتاهم ليلًا مداهمة ، واطلع على خبثهم ، وقتل كافتهم. ومنذ ذلك الحين ، تعاهدت اهالي الجبة بانهم لا يساكنوا اراتيكي ، ولا كافر . واقاموا عليهم حاكمًا ورقيبًا ، في ذلك المقدم المذكور. وكنوه بالرقيب، وكان شديدًا ، سنة ١٢٥٠ . واكمل عمره باستقامة الايمان والاعمال ، ومات .

وتخلف بعده ابنه ، وكان يسمى سالم . لكنه لم يشابه والده بل كان ظالمًا قاسيًا ، مفرطًا بالطمع وحب الفضه . ولذلك كان يحمي من يحتمي به اين (ايًا) كان ، من غير افراز ، طمعًا بالكسب الدنياني (الدنيوي). ومن هذه الجهات [٦٦] ، صارت الاراتقة تقصده ، ويسمح بسكناهم في البلاد. ولمعاشرتهم له ، جذبوه الى سوء معتقد اليعاقبة. لانهم كانوا من صدد (الشرق في سورية بجوار حمص) . وكان اناس ايضًا من نواحي حوران ، مسومين بسقم الملكية . وهولا سكنوا قرية اذنيت[1] ، وافرغوا سمهم فيها .

فتقمقم (تبرّم) البلاد لعدم تمييز المقدم . وتجنبوه ، واظهروا له البغض . ولخوفه منهم ، اختص بجماعة اليعاقبة ، ومن قال قولهم . وثارت ايضًا نار الفتن في الجبة ، كما هي في بلدي (بلادي) جبيل والبترون . وبلغت اخبارهم الى الشام ، واستبشرت الاسلام بافتتاح طرابلس ، العاصية بحماية الجبال (بحماية الموارنة . . .) وارسلوا العساكر حاصروها ستة اشهر . وفيما هم بمثل هذا الحال ، نزل عليهم راهب كان ساكن في مسار ابسيا ، تحت قرية حصرون ، وبشرهم بانهم يفتحون المدينة في غرة شباط . فوعدوه ، ان تم قوله ، بهبات جليلة . ولما صار كما قال ، وظفروا بالمدينة ، جعلوه من ارباب المشورة ، واكرموه .

فوقع الخوف على يوحنا ، امير مدينة جبيل . ولما بلغه قدوم عساكر الاسلام ، نزل مع اهل مدينته في السفن ، واقلعوا في الليل . وعند الصباح ،

---

١) هي اليوم خراب ومن املاك قرية سرعل وكر سدّة ، في جبة بشري .

وصل العسكر الى المدينة ، فوجدوها خالية . وابوابها مقفلة . فكسروا الابواب ودخلوا ، فلم يجدوا سوى الحيطان .

واما اهل الجبال ، فغاروا غيرة الدين ، وجمعوا ثلاثين الف مقاتل . ووضعوا منها الفين في وادي الفيدار ، والفين في وادي المدفون . والباقي انسكبوا نحو المدينة على الاسلام كالسيل وانزلوا بهم الويل . وهاجت المقدمون هيج الابطال . منهم خالد مقدم قرية مشمش ، اقتحم تايد عسكر الاسلام ، وقتله بسيفه . ومثله باقي المقدمين ، كانوا يزئروا كالسباع . يفتكوا بمن اقترب ، ويدركوا من هرب . ولم يزالوا في طعن وصد ، واخذ ورد ، وثغر وسد ، الى ان صادموا سور المدينة فثغروه ، والحقوا الذين داخله بخارجها ، وتركوها خربة .

والذين انهزموا ولم يلحقوهم ، فوقعوا بيد عسكر الفيدار والمدفون . وهكذا افنوا عسكر الاسلام بالتمام . ثم وافت النجدة في طرابلس ، فتلقتها عسكر وادي المدفون ، واوقعوهم عند وادي الزلان (او اللزان) ، وصار قبرهم الى الآن .

ثم افتقدوا المقدمين ، فلم يجدوا احد قتل منهم سوى مقدم حردين ، فدفنوه . واخذوا الغنائم ، وصعدوا ، واقترعوا عليها في بقعة قرية معاد ، وقسموها ثلاثين سهماً لثلاثين مقدم . وكان لسالم مقدم بشري سهم من جملتهم . فارسل البطريرك يمنعهم من ان يعطوه نصيبه . نعم لانه يعقوبي المذهب . فساروا اليه [٦٧] وحكموا بان يقام مكان سالم مقدم آخر رقيب على الامانة (الايمان) .

وكان اجتماعهم في كفرحي . وفيما هم بالخطاب ، واذا بغلام يقول نحو البطريرك بلغة السريان : « نقولا المنحدر في عقبة حيرونا قاصد قدسك ، هو يكون المقدم والرقيب » .

فبهتت الجماعة (المجتمعون) لقوله ، وسأله البطريرك : من هو هذا نقولا ، وابن من ؟ فاجابه : « الله يعلم ابن من هو . » فقالوا لعلها آية . وصاروا كالمنتظرين خبراً . فوافاهم الخبر بان شرذمة من الاسلام كانت تغزو على نهر رشعين . فالتقى بهم نقولا وحده ، وقتل منهم عشرين رجلاً .

وفيما يتكلمون ، وصل نقولا ، ومعه من الغنيمة اربعة من الخيل قدمها للبطرك . ثم احكى له حلماً احتلمه في الليل وقال : فيما انا نايم ، رأيت رجلاً يقول لي : يا نقولا ، قم اهتم في اهل لبنان الاشرار . نعم هوذا انا قدامك يا سيدنا ، ان رسمت فانني اشا، ان اطهر الجبة من زرع سالم وهرطقة اليعاقبة. فحسن كلامه في مسامع البطريرك والجماعة . واقاموه مقدماً ، وقلدوه الحكم على الجبة ، والنظر في اهلها في الايمان . واوهبه نصيب سالم المرذول . ورجع لوقته الى الجبة .

وكان دخوله اليها في الليل . فعرفت به الهراطقة ، فانهزموا من قدامه ، ونظفت البلدة (البلاد) من البدع والانشقاقات ، وصار هدو وسكون بليغ في الكنايس كلها . وتقوت العبادة ، ونمت القداسة ، لا في الجبة فقط ، بل في بلدي جبيل والبترون ايضاً . واستمروا فرحين مقبلين بحسن العيش ، بصحة الامانة (الايمان) ارجح (اكثر) من اربعين سنة .

فلم يحتمل الشيطان ان يراهم في مثل هذه الحال . واهجس لاحد الجبسا، واقلقه بالضجر ، وجعله يمضي الى جبال ماردين وصدد ، واخذ رتبتهم ومذهبهم (اليعاقبة) . وتعلم طقس كنايسهم . وجا، بذلك الى لبنان . وكان اسمه اليشع . استحبس في محبسة مار سركيس ، فوق مار ابون . واندست مرة اخرى راية يعقوب في الجبة ، بسببه . لكن الرب انتقم منه سريعاً . وذلك انه في بعض الايام ، بينما كان الخبيث نازلاً من محبسته، سقط متهوراً ومات .

اما اهالي الجبة الذين تبعوه ، فصاروا يرشوا البطريرك لكيما يسكت ، ولا يصدهم في مذهبهم . ومن قبل سكوته انقسمت الاساقفة وآل الاكليروس قسمتين . وحصل (صار) نقولا الرقيب معذباً ، حايراً ما بين الفئتين .

اما اهالي بلدي جبيل والبترون ، حين عاينوا ما كان ، خلعوا عنهم طاعة البطرك المراني . لكنهم لم يتنحوا عن المقدم نقولا الرقيب . بل قطعوا كل وداد والفة كانت لهم مع اهالي الجبة ، لانهم لم يشاؤا [٦٨] بانحراف امانتهم البتة .

فلما سمعت الاسلام بتحزب اهل الجبال ، نهضوا لغزوهم ، وصاروا يقتلوا

ويسبوا ويخطفوا ويتلفوا . ووضعوا ايديهم على كثير من القرى . وفي مثل هذا الحال هاج محفل (جمهور) من اهل الامانة المستقيمة على البطريرك ، وحطوه من كرسيه ، ومات منحطاً . واقاموا عوضه راهباً اصله من حجولا . فتغلبت على هذا ايضاً الاراتقة ، واتهموه بالكفر والزنا ، واحرقوه بالنار . ومات مظلوماً .

وكان غضب الله يتعاظم على بني مارون . وذلهم تحت يد الاسلام . وادوا الجزية ، وصاروا كالتائهين الحايرين . وبقيوا على مثل ذلك زماناً ، الى ان الله ارسل اليهم اومرياكوس ، راهب من رهبان مار عبد الاحد سنة ١٣٠٥ . واخذ ينذرهم ويوضح لهم بان بلوتهم ، من قبل ارطقتهم . فانتبه لقوله كثيرون . وندموا على ما فعلوا ، ورجعوا الى الايمان المستقيم . ولعنوا يعقوب ومذهبه الوخيم . وقرروا وجوب الطاعة للكرسي الروماني .

وأرسل اومرياكوس اتاهم ببركات من رومية . واقاموا لهم بطركاً واساقفة مستقيمي الراي . واسكنوا البطريرك في سيدة هابيل . وكان يسمى يوحنا اللحفدي . وبقيوا بحسن الامانة ، الى ايام البطرك يوحنا الذي من قرية جاج . وتنيح (توفي) بسلام .

وبعده قام البطرك يعقوب الحدثي ، وهو الذى احتمل اضطهاد عبد المنعم مقدم بشري ، الذي مات يعقوبي . وهذا البطرك كان يسكن دير قنوبين . وفي ايامه ظهر في الارطقة اولاً ابن شعبان ، مقدم حردين . وهذا كان اولاً ملكي وانقلب ماروني ، ثم يعقوبي . وانحسب معه ابنه واهل قريته . وذلك لمعاشرتهم اسقف يعقوبي يسمى عيسى .

واتصلت الهرطقة من قبل صحبتهم راهبين كانا يسكنا الفراديس ، اصلهم من لحفد . احدهما يسمى سيا . وكان سيرتهما ذات ورع وتعفف . ومنها دخلت الهرطقة ايضاً على البعض من اهالي لحفد . وهذه مرة رابعة من سقوط لحفد في البدع ، ودخول الانشقاق في بلاد جبيل .

اما عبد المنعم ، مقدم بشري المذكور ، اقتدا بسيا السابق ذكره ، وسقط معه في حفرة يعقوب (البدعة اليعقوبية) . وقاصره (عاقبه) الله بالامير احمد ، ونكت

بيته وقريته. وهذه الاخبار حررتها بيدي، انا جبرايل القلاعي، طالباً الثواب.

رسالة الخوري يوسف مارون الدويهي الطرابلسي

يقول الناشر: ان هذه الرسالة على قسط من الخطورة. فادخلها المؤلف في صلب كتابه هذا، مشكلاً بها مادة رئيسية من مواده، ومميزاً اياها كل الاكترات. ولما كان كاتبها احد اعلام الاكليروس الماروني الافذاذ، ومن «نوابغ المدرسة المارونية الاولى» في رومية، الذين ترجم ببعضهم في هذا «المشرق» الاغر، فقيد العلم المرحوم الخوري بطرس غالب المكرزل الشبابي المشهور، على ما يعهد القراء الكرام. اجل، لما كان ذلك، تحتم علينا ان نقدم على نشر هذه الرسالة الخطيرة، للمرة الاولى، بتعريف صاحبها الى قرائنا الفضلاء، تعريفاً يوقفهم من حقيقته على قدر ما تيسر المعلومات الموفورة[1].

ويجيء تعريفنا هذا حلقة جديدة، تنظمها الآن في سلسلة ابحاث المرحوم الاب غالب، كما نظمنا فيها من قبل ترجمة العلامة الكبير، القس جبرائيل الصهيوني الكرمي الاهدني (١٥٧٧ — ١٦٤٨)، في مجلة المشرق هذه [٣٨ (١٩٤٠) ٢٥٣ — ٣٠٤].

فالمترجم به اذن، هو «الخوري يوسف مارون الطرابلسي»، حسبما يدعو هو نفسه، في مستهل رسالته هذه، وفي توقيعه سائر رسائله ومحرراته كما سيأتي. وهو من الاسرة الدويهية الاهدنية، الشهيرة بعلمائها واحبارها، واعيانها من مشايخ وحكام، مما يعلمه اهل البحث والتاريخ، ولاسيما ما ينطق به هذا المخطوط في اكثر من موطن في مطاويه... واكفى دليل على ذلك ذكر ابنها البار الابر، نابغة الشرق وعمود الكنيسة، البطريرك اسطفان الدويهي، عم جد المترجم به...

واذا دعى نفسه بالطرابلسي، فذلك ان فرعاً من اسرته الاهدنية العريقة استطون طرابلس، فكان هو من مواليدها، وحمل اسمها في نسبته، كما هو الشأن اذ ذاك — ولم يزل في كثيرين اليوم — في انتساب الاغلبية الساحقة،

---

[1] نأخذ هذه المعلومات عن كتابنا الضخم في تاريخ ابرشية طرابلس المارونية، وعن مباحث المرحوم صديقنا العلامة الخوري ابرهيم حرفوش، المرسل اللبناني الشهير، في مجلة جمعيته «المنارة»: ٧ (١٩٣٦) ص ١١٣—١١٧، ثم ١٨٤—١٨٧.

في لبنان والشرق ، الى مواطن الولادة والاقامة الدائمة .

اما والده فيجب ان يكون ابن شقيق المطران اسطفان الدويهي — الثاني بهذا الاسم — مطران البترون سنة ١٧٢٨ وما اليها ، وابن اخي البطريرك اسطفان الدويهي الكبير . فان اصول التاريخ في خزانة بكركي تسمي الخوري يوسف هذا حفيد المطران اسطفان ، وتدعو هذا المطران جدًا له . ولما كان المطران اسطفان هذا متبتلًا ، ولم يذكر التاريخ اي اثر لزواجه ، كما ذكر لغيره من الاساقفة سابقية ... وجب ان تكون تسمية الحفيد والجد ، هنا ، من باب التوسع ، على ما هو جارٍ الى الآن في تسمية ابناء جيلنا هذا احفادًا لابناء الاجيال الغابرة ، ابعدين كانوا ، ام ادنين .

ولم نعثر على تاريخ لولادة المترجم به . وقد ارسله البطريرك يوسف ضرغام الخازن ، حول سنة ١٧٣٣ ، الى مدرسة رومية . ولم يذكر له التاريخ شيئاً بعد ذلك ، سوى ما في سجلات بكركي من بعض الآثار عنه ، وهي :

اولًا رسالته الى الخوري مخايل فاضل ، من بيروت ، والبطريرك فيما بعد (١٧٩٣ — ١٧٩٥) . وقد وقعها هكذا « يوسف مارون كاهن الكرسي الانطاكي ، ومحامي عن الطائفة ، ووكيل مطران البترون » . بيد ان لهجته في هذه الرسالة شديدة تنبئ بجرأته وحرية افكاره . وقد وبخ فيها الاب مخايل المذكور على عدة امور : كتحريكه البطريرك على تنفيذ رغائبه ، والعصيان على البابا (كذا ..) والسعي لتولي ابرشية بيروت مزيحاً عنها المطران يوحنا اسطفان ، والتلاعب بين فئتي الرهبانية ، الحلبية واللبنانية ، وخداعات وماشاكل . . .

وكان في نية البطريرك سمعان عواد ، ان يرسمه مطرانًا على البترون ، خلفًا لعمه المطران اسطفان المعهود . ولكن تصدى له الامير ملحم شهاب حاكم البلاد اذ ذاك ، وآزره بعض المشايخ ، فمنعوا البطريرك عن تسقيفه . وذلك برسالة كتبها ذلك الامير الى البطريرك المذكور ، وهي غفل من التاريخ ، ومسجلة في مجلد ٢ من سجلات بكركي ، ص ٣٢٦ .

اما هذا الموقف العدائي حيال المترجم به ، فيعلله المؤرخون ، واخصهم الاب ابراهيم حرفوش ، انه ربما كان نزولًا عند اغراء الخوري فاضل ، وقد

اوغرت صدره تلك الرسالة المعهودة ، الى ذلك الحد ، والله اعلم . . .

وكان هذا العلامة الدويهي ، رغم المناوآت المعهودة ، رجل خير واحسان . اذ برهن على ذلك بان انشأ مدرسة مار مارون ، في شرفة درعون [1] ، التي صارت فيما بعد الى السريان الكاثوليك . ووقفها على خير الطائفة للكرسي البطريركي . واثبت وقفيته هذه عمه المطران اسطفان الآنف الذكر . ونصها مدون في صفحة ٣٣ من مجموعة صكوك قنوبين المحفوظة في خزانة بكركي الخطية النفيسة . ويحدونا الى نشره هنا بحرفيته خدمة التاريخ وعالم الاطلاع ، في ما يلي :

« الداعي الى تحريره هو انه صار مني الرضى بان مدرسة مار مارون الشرفة (في درعون) تكون بعد موتي بتصريف قدس البطريرك مار طوبيا الخازن (الراهب اللبناني) وخلفائه ، تابعة الكرسي ، يدبروها بمقتضى ذمتهم ، بحيث لا تتغير نيتي ، اي يستقيم بها التعليم مجاناً . ولا يطلق عليها اسم دير ابداً . واذا انعم الله وتوفر مدخولها على معاش المعلم ، يعيش بهما اولاد من فقراء طايفتنا لا غيرهم ، ويتعلموا بها . وكل من يضاد هذا الخبر ، فليكن ملعوناً من الله وبيعته . لاني هكذا اردت ان بعد موتي تكون بتصريف السادة البطاركة . وهذه الحجة تكون ثابتة نافذة في كل زمان حياتي ، وبعد ماتي ، وحررتها للبيان في اوائل شهر حزيران سنة ١٧٥٧ للتجسد الالهي ، صح صح .

كاتبه القس يوسف مارون الطرابلسي

الشهود : قد وقفنا على هذه الحجة الشرعية وحكمنا باثباتها بسلطاننا الرسولي ، ولا نأذن بان احد يناقض ما كتب بها ، صح صح .

المطران اسطفان الدويهي + المتم المطران يوسف اسطفان + المتم

وحوالي سنة ١٧٦٦ ، اوفده البطريرك يوسف اسطفان وكيلاً له الى رومية

---

١) وهي اليوم مدرسة الشرفة الاكليريكية للسريان المرتدين ، ومركز بطاركتهم الشهير ، الذي يتولاه الآن خليفتهم الجليل ، نيافة الكردينال جبرائيل تبوني الكلي الطوبى . واملاك « الشرفة » حوله قد قدمها ، المشايخ آل الخازن وقفاً موهوباً للطائفة السريانية ، حسبما ينطق بذلك الصك الاصلي لهذه الوقفية ، ووثيقة اخرى اصلية ، شاهدناهما محفوظتين في خزانة صديقنا حضرة العلامة الخوري لويس الخازن ، المحامي الكنسي المشهور ، وتريل شارع مار مارون في بيروت حالاً . وعقيب ان تسلم السريان هذا الدير ، ابدلوا اسم شفيعه الاول الاساسي ، مار مارون ، باسم امنا العذراء مريم « سيدة النجاة » .

وفرنسة ، لمهام المقام البطريركي . واوصى به وكيله في قصر ڤرسايل الاب دالرد « خوري نوتردام » ، في رسالة تاريخها ٦ ك ٢ سنة ١٧٧١ ، ونصها في مجلد ٢ من سجلات بكركي، ص٩٠٢ . ومما يقول فيها : « اننا مرسلون الى اوربه . . . ولدنا الاعز ونايبنا ، يوسف مارون الدويهي ، خوري كرسينا الانطاكي ، باغراض تخصنا . . . » ومن هذه الاغراض تخليص كنائس الطائفة في جزيرة قبرس ، من اغتصاب الاروام ، على ما في صفحة ٩٠٣ من مجلد السجلات البطريركي عينه . . .

ومن فرنسة يمم قبرس ، وتوطنها ردحاً من الحين ، الى ان ارسل الى الكرسي الرسولي عريضة يلتمس فيها الذهاب الى رومية ، تملصاً من رداءة المناخ في قبرس . فاجابه المجمع المقدس بالرفض ، بتاريخ ١١ ايار سنة ١٧٧٦ . ونص هذا الجواب في صفحة ١٣ من السجل المذكور[1].

ومن آثار قلمه ايضاً كتاب فتاوى شرعية خط محفوظ عند صديقنا البحاثة المجاهد الخوري اسطفان البشعلاني ، وهو بدون تاريخ ، يقول في اوله ما يلي : « كتاب حاوي جملة فتاوي ، قد جمعه يوسف مارون الطرابلسي ، تلميذ قدس السيد ماري اسطفانوس (الدويهي) مطران البترون من فتاوي العلماء مما راق وطاب » .

وقبيل وفاته كتب صك وصيته بتاريخ عشرين تشرين الثاني سنة الف وسبعمائة وثمانين (١٧٨٠) . وهذا التاريخ يتخذه العلامة الخوري ابرهيم حرفوش ، ميقاتاً لوفاة المترجم به . وفي هذه الوصية ، يوزع ممتلكاته على رهبانيتنا اللبنانية ، ودير قزحيا ، ودير قنوبين ، وعلى المطران مخايل حرب الخازن، نائب البطريركية في اثنا، تنزيل البطريك يوسف اسطفان ، وابعاده الى جبل الكرمل . وفيها ايضاً انه كان مشتركاً بشركة القداديس في رهبانيتنا المذكورة .

وتوالى في حياته على السدة البطريركية، ثلاثة بطاركة : سمعان عواد ، وطوبيا الخازن، ويوسف اسطفان (١٧٤٢—١٧٩٣) . رحمه الله، واجزل ثوابه في نعيم السماوي .

والى القارئ الآن ، نص الرسالة المقدم عنها ، في ما يلي :

---

١) ومن اثار قلمه ايضاً كتاب فتاوى شرعية خط محفوظ عند صديقنا البحاثة المجاهد الخوري اسطفان البشعلاني ، وهو بدون تاريخ ، يقول في اوله ما يلي : « كتاب حاوي جملة فتاوي قد جمعه يوسف مارون الطرابلسي ، تلميذ قدس السيد ماري اسطفانوس (الدويهي) مطران البترون من فتاوي العلماء مما راق وطاب » .

رسالة الخوري يوسف مارون الدويهي

بسم الاب والابن والروح القدس ، الاله الواحد امين

نكتةص[٦٩] رسالة مبنية في شرف الطائفة المارونية[1]

... وبعده ، فيقول العبد الخاطي ، والذليل المتباطي ، الشدياق يوسف مارون الطرابلسي ، تلميذ السيد المطران اسطفانوس الدويهي الهدناني ، مطران مدينة بطرون (البترون) : لما رأيت غرور الآدميين ، واهمالهم ذكر الاخرة ، وتسطير اعلام الحق اليقين ، وسمعت كلام بعض الثلاب المبغضين ، بغضة الصدق لليقين ، وتحققت غرضهم المشين ، واربهم المهين ، في تلف شرف الطائفة المارونية ، بكر الكنيسة الرومانية ، بالتجني الثالب ، واختراع المثالب ، لتشرفهم ملليهم بالكذب والبهتان ، ولينالوا المدح الباطل ما طال الزمان .

حينئذ حركتني النعمة الالهية الى تأليف هذه الرسالة المبنية ، في شرف الطائفة المارونية ، بالامانة الصحيحة الارثوذكسية ، بسبيل الخير .

اعلم . ان كثيرين من اصحاب التواريخ والروايات ، راموا ان يكتبوا عن اصل الملة المارونية . فبعضهم اهتدا الى ذلك . وبعضهم لا . فاما الذين حازوا اسنى [٧٠] الاحترام ، واهلوا للثنا ، والاكرام بتصانيفهم المصيبة الصادقة ، واهتدوا الى ذلك بمشقة فايقة ، فمنهم قديس السيرة ، وطاهر السريرة ، ذي الحياة العفيفة والمصنفات المنيفة ، المطران جبرايل القلاعي ، ابن الطائفة المارونية ، الناشيء من لحفد من عمل جبيل ، الراهب الفرنسيسكاني ، مطران جزيرة قبرس .

ومنهم المعلم الجليل والملفان النبيل ، الشماس ابرهيم الحاقلاني الجبيلي الماروني ،

---

١) ان بداءة هذه الرسالة تتراوح بين الصفحتين ٦٨ و٦٩ من هذا المخطوط . ومؤداها مقدمة الكاتب على رسالته هذه ، بناها على حمد الله وتعظيمه واستنفاره ... واستعراض بعض مبادئ عمومية ... شأن الكتبة الاقدمين في مقدماتهم ... مما هو مكرر دائمًا ، ومعروف عند الجميع . فاجتزأنا عنه بما بدأنا اعلاه ...

ترجمان ملك فرانسا الاعظم ، الذي استقى العلوم الالهية من ينبوع الكنيسة الرومانية . ومنهم المعلم الاكرم ، واللاهوتي الافخم ، القس مرهج ابن نمرون البائي ، الناشيء من جبة بشري ، المرتضع حليب العلوم الفايقة ، في الكنيسة الجامعة ذات الافضال اليانعة .

ومنهم الاب الطوباوي الاوحد ... العالم العلامة ... البار اسطفانوس الدويهي الهدناني ، بطريرك انطاكية العظمى ، الذي بحث بدقة زايدة ، ورغبة متزايدة ، عن اصل الموارنة . واهتدا الى معرفة ذلك . وصنّف بهذا المعنى كتب عدة مشهورة شرقاً وغرباً . ونال بذلك جميل الذكر . واظهر اعمق اليقين ، ودحض الكذب المشين .

اما نحن فاثرنا في هذا المختصر اقتفاء اثره ، بالتكلم عن قدمية الطائفة المارونية فنقول مختصرين :

انه لما كان سنة ٥٢٢م (خمسمائة واثنتين وعشرين) ، صار الانقسام بين طايفة الموارنة السريان ، وبين الملكية ، وكانوا الموارنة يلقبوا بالمتمردين ، وذلك قرب ابتدا حكم السراكسة . وكان « المتمردين » جملة حكام وامراء . وسبب انقسامهم عن الروم (الملكية) ، واشتداد البغضة بينهم ، فهو انه ، لما تملك السلطنة في القسطنطينية يوستينيانوس[1] ابن قسطنطين اللحياني[2] ، طلب منه عبد الملك ابن مروان تجديد الهدنة التي كانت بين قسطنطين ومعاوية ، امير العرب .

وعبد الملك هذا ، هو الذي تخلّف امرية (امارة) الاسلام بعد معاوية . فاجابه يوستينيانوس الى الصلح ، واشرط على عبد الملك ان يدفع كل يوم حصاناً ومملوكاً ، والف ذهب (دينار) . واشرط عبد الملك على يوستينيانوس شرط واحد ، وهو : انه يرسل يرفع « المتمردين » (الموارنة) من جبل لبنان فتم سؤله على يد بولس جستريان . وارسل الملك ، وزجر مردة لبنان ، واخذ منهم اثني عشر الف ، واضعفهم .

١) هو الثاني بهذا الاسم ، وعهده (٦٨٥-٦٩٥) .
٢) الرابع بهذا الاسم ، وملكه (٦٦٨-٦٨٥) .

فغضبوا لذلك ، وعصوا على الملك ، وخلعوا طاعته . ولكن صار ضرر عظيم على قيصر (الملك) لزجره اللبنانيين . وهذا مصرح به عند اكثر مؤرخي الروم ، مثل شدرونيوس ، وتوافان وغيرهما .. وسبب طلب عبد الملك زجر اللبنانيين [٧١] هو لانهم كانوا اقويا بالحرب ، واشدا بالقراع . وضيقوا معاطس (منافس) العرب مرات كثيرة . ومنعوهم عن افتتاح دمشق الشام . وملك احد امرائنا ، وهو يوحنا ، من القدس الى حدود انطاكية . وكسر العرب ، وذلك سنة ٦٧٥ م (ستمائة وخمس وسبعين) و ٦٧٦م (ستمائة وست وسبعين) . ويشهد بذلك المؤرخون المذكورون .

وقد تكاثرت الامرا في جبلنا اللبناني ، وثارت ، وتكاثر جيشهم ايضاً ، وعظم شأنهم . ولما عاملهم قيصر بالحنق ، حالًا عصوه . وما زالت الامرية والحكومة بيد اللبنانيين الى سنة ١٦٠٩ م (الف وستمائة وتسع) . ولو انهم خضعوا تحت يد الغربا ، الا انهم ما زالوا بالامرية والتقدم في لبنان .

واما سبب كنيتنا باسم موارنة ، فاشتقاقاً من القديس مارون . فاعلم ان كل كنية تنسب الى رأس اول . وليس كنيتنا مقلوبة (سلباً) ، كما توهم بعض المتمردين ، ان الموارنة سميوا من رجل اراتيكي اسمه مارون ، كالنساطرة من نسطور ، واليعاقبة من يعقوب . فلنعذ بالله من هذا الغلط الفظيع . لانه لو كان راس هذه الطايفة اراتيكياً ، لما ارادت الكنيسة الرومانية ان تستر علينا هذه الكنية الشنيعة . بل كانت بالحري تدعوها باسم جديد ، غير هذا الاسم ، كما سميت النساطرة الراجعين الى الايمان «كلدانيين» ، ودعيت اليعاقبة (المرتدين) باسم «سريان» . لينتزع عن اولاد الكنيسة الثوب الذى البسهم اياه المبتدع الاول .

ولكن حيث ان راس هذه الطايفة (المارونية) قديس غيور مستقيم الراي والايمان ، فمدحت الكنيسة الجامعة هذه الكنية ، وسرت بها ، كما يقول البابا اكليمنطوس الحادي عشر (١٧٠٠—١٧٢١) ، وبنديكتوس الرابع عشر (١٧٤٠—١٧٥٨) منح غفراناً مؤبداً لجميع الموارنة افراداً واجمالاً ، في الكنائس المبنية ، والتي سوف تبنى (لهم)

ولقد لقبنا بهذا اللقب من عهد ابينا القديس يوحنا مارون ، بطرك انطاكية ، الذي كُني بمارون ، من الاب القديس مارون القورسي ، الممدوح من القديس تاوادوريطوس ، اسقف قورس . لانه كان يشفي الارواح والاجساد بصلاته . وكان معاصرًا ليوحنا فم الذهب. وقد طلب يوحنا (هذا) من مارون الدعا والصلاة ، حيث شيّع (ارسل) له تلك الرسالة من مكان نفيه الاخير ، وهي بالعدد ٥٠ (خمسين) من مكاتيبه .

وكان اهل ذلك العصر يستشفون بتعاليمه (الضمير لمار مارون) واشفيته. وذلك لما انتقل من هذا العالم ، اختطفوا اهل حماه جسده الاقدس ، وابتنوا عليه ديرًا عظيماً ، في شاطئ نهر العاصي. واشتهر هذا الدير ، ونميت رهبانه ، حتى بلغوا ثمانماية راهب . وكانوا ماهرين بالعلم والعمل ، وحسن الديانة ، ومناضلين عن شأن الامانة الارثوذكسية .

ولذلك حنق [٧٢] عليهم الاراتيكيون ، كساويروس واتباعه ... وقتلوا منهم ثلاثماية وخمسين شهيدًا . والكنيسة الجامعة ادرجت عيد هؤلاء الشهداء الموارنة في آخر يوم من شهر تموز. وتذكار مار مارون في ٩ (تاسع) من شباط ، وعند الروم ١٤ منه .

ومن هذه الرهبنة (المارونية) ظهر الاب البار ، ذو العفاف والوقار ، المشهور بالعلوم الروحية والشجاعة الحقيقية ، والمحاماة عن الامانة الكاثوليكية ، اعني به القديس يوحنا مارون ، بطريرك انطاكية ، الذي منه تغلّب علينا اسم « موارنة » . لان يوحنا هذا كان راهباً من رهبان دير مار مارون المذكور ، ومنه اتخذ اسم « مارون » . وسيم قساً في الدير المذكور . وكان علماً علامة .

ثم انه سيم مطراناً على مدينة بترون ، لما عملوا الآبا التئام المجمع القسطنطيني السادس ، ضد مكاريوس بطريرك انطاكية سنة ٦٨٠ م (ستمائة وثمانين) ، واقاموا عوضه على كرسي انطاكية ، تاوافان الارثوذكسي (الكاثوليكي) . فعاش بطركاً خمس سنين . ثم اعتقبه — على رضى الاكليروس الانطاكي — يوحنا مارون المذكور . وهذا كان ابن اغاتون السرومي (من بلدة سروم)

ابن اليديبوس ، ابن اخت كارلومانيا الشريف جنسه ، الفرنساوي ، الذي جاء من بلد فرانسا ، وحكم انطاكية والشرق .

وثبته في وظيفة البطركية ، سركيس الاول بابا رومية (٦٨٧–٧٠١) القديس ، الناشئ من بلد سورية . ثم رجع يوحنا المذكور من رومية الى انطاكية كرسيه . وجعل يفند ارا. مكاريوس (البطريرك المحروم) اللامين . ورد كثيرين من توابعه (اتباعه) الى الايمان المستقيم .

ولما كان يوستينيانوس الملك مايلًا الى راي مكاريوس ، غضب على يوحنا ، وعلى بابا رومية ، وهيّج الاضطهاد عليهما . ففر يوحنا الى دير مارون ، حيث ترهب اولًا . ثم فر من هناك الى قلعة اسمر جبيل (في اقليم البترون) .

اما جيوش الروم ، التي خرجت لتقبض عليه ، ما زالوا يقتلوا وينهبوا في سورية ، وفونيقي . حتى ان لاوون القايد خلع الملك ونفاه من موضعه . ولما بلغ الجيش الى كورة طرابلس ، وكان قواد العسكر مريق ومرقيان ، ارسل لاوون اذنًا للبنانيين بقتاله .

اما يوحنا فاستمر في اسمر جبيل ، ومعه ابن اخته ابرهيم الامير ، صحبة الوف من الصناديد . فاحسن استقباله اللبنانيون ، لانهم رأوه حسب مرامهم قويم الايمان. ومن ذلك استمرت وتأكدت، وثبتت هذه الكنية على اللبنانيين، الذين نجوا من راي بدعة المشيئة الواحدة، بواسطة هذا السيف البيعي القاطع ، والسور المانع . ولنعد الى سياق كلامنا .

فلما حظي اللبنانيون باذن لاوون الملك بقتال القواد ، حينئذٍ انحدروا اليهم من قمم الجبال ، مع مقدمين الحدث انحدار [٧٣] الماء المنهمر، والغيث المنحدر. وفاجأتهم الابطال والصناديد . وفتكوا بجيش الروم . وقتلوا القواد . ومزقوا مواكبهم . ومن هنا ، الذين تبعوا راي الملك سميوا «ملكية» ، والذين تبعوا يوحنا مارون (البطريرك) سميوا «موارنة».

اما يوحنا (البطريرك) فانه سكن كفرحي (في اقليم البترون) ، حيث انشأ هناك ديرًا جليلًا باسم القديس مارون استمر كل حياته. وهو اول بطرك اقيم على الموارنة ، وكان ذلك سنة ٦٨٥ (ستمائة وخمس وثمانين) .

اما الملكية بعد موت يوسطينيانوس (٦٩٥ م)، رجع كثيرين منهم الى الاقرار بطبيعتي ومشيئتي الرب. وفي ايام قسطنطين كبرونيوس[1]، اقاموا عليهم بطركاً وجعلوا كرسيه الشام.

اما اليعاقبة فاسكنوا بطاركتهم في دير الزعفران، حتى خرب، ثم في ماردين..

وبعد القديس يوحنا (مارون)، اقام الاكليروس الانطاكي (الكاثوليكي) موضعه، ابن اخته بطركاً (باسم) كوريوس الاول. واستمد التثبيت من الكرسي الرسولي. وتوفي في دير مار مارون، في كفرحي، بجال قديس.

ثم اعتقبه جبرايل الاول. ودفن في كفرحي، بجال قديس.

ثم يوحنا مارون الثالث. هذا رجع الى انطاكية كرسيه ليسكنها. ولانه لم يقدر على ذلك، رجع الى دير سيدة يانوح، كما ذكر عنه داود ابن ابرهيم، المؤرخ الماروني. وقد امتدحه ايضاً جبرايل القلاعي قائلاً: «بعده قام مارون ثاني من الدير الرباني، ملك ماهر ملفانٍ، اسمه يوحنا المختار. ثم توفي في يانوح من اعمال جبيل».

واعتقبه يوحنا الثالث من دملصا... (وهكذا يعدد خلفاءه كما في الدويهي... الى ان يصل الى البطريرك يوسف الجرجسي فيقول عنه): وهذا ذكره القلاعي في رسالته الى (البطريرك) شمعون الخامس[2]، المحررة في سنة ١٤٩٤ م بقوله: «وصلت قصاد البطريرك الانطاكي يوسف الجرجسي الاول الى رومية بطلب التثبيت، مع قصاد غوفراد[3] الملك، الذي اخذ القدس وانطاكية، كما تذكر التواريخ: ان الافرنج اقاموا لهم ملكاً وبطركاً على بيت المقدس. واخبروا بذلك الحبر الروماني، فثبت بطركنا وارسل له تاجاً وعصىً سنة ١١٢٠ م (الف ومائة وعشرين). وتوفي في يانوح (الجرجسي).

ثم انتقل كرسي البطركية الى دير سيدة ميفوق، في وادي ايليج، تبع البترون. واقيم بطرس الاول، وارسل قاصده الى رومية، وقبل درع الرئاسة. وفي هذا العصر، جعلوا بطاركتنا يتلقبوا باسم بطرس، كما ان الاحبار

١) Copronyme امبراطور المشرق (٧٤١–٧٧٥)، وهو السادس بهذا الاسم.

٢) ابن داود، بن يوسف، بن حسان الحدثي (١٤٩٢–١٥٢٤).

٣) Godefroy de Bouillon، دوق لورين السفلى في فرنسة، ورئيس قائد الصليبية الاولى، واول ملك صليبي على اورشليم (١٠٥٨–١١٠٠).

الرومانيين في الجيل العاشر ، اخذوا يبدلوا اسماءهم حال قيامهم (انتخابهم). وكذلك الروم في اثني عشر جيل (لعلها الجيل ١٢) .

ثم اعتقبه غريغوريوس الثالث من حالات (جبيل) . وهذا ذكره [٧٤] القلاعي (في رسالته المعهودة) الى شمعون الخامس : ان في سنة ١١٣٠م (الف ومائة وثلاثين) صار زخيا الثاني (اينوشنس) حبراً (اعظم ١١٣٠—١١٤٣). وارسل الى الموارنة قاصد رسولي ، الكردينال غوليلمو » .

واعتقبه يعقوب الاول من رامات (البترون) . وانتقل الكرسي الى دير مار الياس لحفد . واعتقبه يوحنا السادس من لحفد . وكان عالماً علامة . له كتاب نافور (رتبة قداس) . ثم انتقل الى دير سيدة هابيل . ثم الى يانوح . وهنا توفي .

واقيم عوضه القس ارميا الاول من عمشيت (جبيل) سنة ١٢٠٩م (الف ومائتين وتسع) . وقبل التثبيت من البابا زخيا الثالث (١١٩٨—١٢١٦) . وحضر المجمع اللاتراني (سنة ١٢١٥ م) . وشاعت قداسته باعجوبة حدثت معه في وقت تقدمة القداس ، وهو : انه فيما كان يقدس في كنيسة مار بطرس ، بحضور البابا ، وانفار لا عدد لها ، وقفت الاسرار فوق راسه ، فانذهل الحاضرون لذلك . ووثق البابا بقداسته وصحة ايمانه ، ومدحه مدايح شتى ، وانعم عليه بنعم غزيرة . ورجع الى كرسيه مشرفاً بالانعامات الحبروية . وفي ذلك الحين رقم المصورون صورته في كنيسة مار بطرس (رومية) ، وهو عمال يقدس ، والاسرار فوق رأسه ، الى الآن باقية . واي من حضر هناك ، شاهدها واصحبه البابا ببراءة شريفة الى كل الشرقيين ، معرضاً فيها بذكر الطايفة المارونية ، وذلك سنة ١٢١٥ . وتوفي قديساً ، ودفن في ميفوق .

ثم انتقل الكرسي (البطريركي) الى دير مار قبريانوس كفيفان . وهناك جلس دانيال الاول (من شامات) . ثم سكن دير مار مارون كفرحي ، ثم ثم دير مار جرجس الكفر ، سنة ١٢٣٤ .

ثم اعتقبه يوحنا السابع ، وشمعون الثاني . وهذا ثبته البابا اسكندر الرابع سنة ١٢٥٦ ، اول شباط . وسكن يانوح . ثم اقيم بعده يعقوب الثاني . وانتقل الكرسي الى دير ميفوق .

ثم اعتقبه دانيال من قرية حدشيت ، وصورته مرقومة في كنيسة قريته.
وفي سنة ١٢٨٣ م (في عهده) ثارت نيران الحروب في بلاد فونيقي ، ما بين النصارى والمسلمين . وهجم سيف الدين قلاوون على جبة بشري ، فملكها .
ثم اعتقبه لوقا الاول من بنهران[1] . ثم جبرايل الثاني من حجولا . وكان رجلاً قديساً قبل اكليل الشهادة ، في مدينة طرابلس ، حريقاً بالنار ، في نيسان ١٣٢١م . والى اليوم قبره يخرج الاشفية الى كل من طلب شفاعته. وقد اتخذه المسلمون لهم مزاراً ، واقاموا له هيكلا . ويسمونه الشيخ مسعود .
واعتقبه شمعون الثالث . وسكن دير مار سركيس حردين ، سنة ١٣٥٧. وتوفي. — ثم اعتقبه يوحنا الثامن . وهذا سكن دير حردين الى ان توفي سنة ١٣٧٧.
[٧٥] واعتقبه يوحنا التاسع الى سنة ١٤٠٠ (الف واربعمائة) التي بها قدم تيمورلنك من سمرقند الى افتتاح الشام . واخذ بالسيف الجزيرة والمعرة وحلب وحمص.
ثم اقيم على الكرسي الانطاكي يوحنا العاشر من جاج . ارسل طلب التثبيت مع فراجوان (الاخ يوحنا) رئيس دير بيروت (الفرنسيسكاني) فثبته اوجانيوس الرابع (١٤٣١—١٤٤٧) في مجمع فتيرانسا (الفلورنتيني) سنة ١٤٣٩. وسكن دير قنوبين في جبة بشري تحت حكم المقدمين . وكان سكن ميفوق سابقاً . وقنوبين هذا قد ابتناه تاودوسيوس الكبير ملك الروم (٣٧٩—٣٩٥). وكان له الولاية على كل اديار لبنان . والملك ظاهر برقوق كتب له صحيفة نحاسية ، بانه يكون معافاً . واولاً سكنه المطران بطرس من اهدن . ثم صار كرسياً ثابتاً للبطاركة . (واول من سكنه منهم يوحنا الجاجي سنة ١٤٤٤) .
واعتقبه يعقوب الثالث ابن عيد من الحدث (بالحية) . وثبته البابا نقولا الخامس (١٤٤٧—١٤٥٥) ، وكاليستوس الثالث (١٤٥٥—١٤٥٨) . وتوفي يوم الاربعاء ، ٨ شباط سنة ١٤٥٨ .
واعتقبه بطرس الثاني من الحدث (ذاتها) ابن حسان . ثبته بولس الثاني

١) لقد قدمنا ، في احدى حواشينا على هذا المخطوط ، ان لوقا البنهراني هذا اغتصب البطريركية اغتصاباً . ولانه كان شاقاً ، رفضه الموارنة حالا ، وانتخبوا لهم البطريرك ارميا الدملصاوي ، الذي هو غير ارميا العمشيتي ، وبينهما مائة سنة . وبذلك جلاء كاف لذلك الابهام والمزج بين هذين البطريركين ، وقد خبط فيهما جميع المؤرخين قبلاً . . .

(١٤٦٤—١٤٧١) سنة ١٤٦٩) مع فراغريفون. وتوفي في ١٢ شباط١٤٩٢.

واعتقبه شمعون الرابع اخي بطرس الثاني . ثبته البابا لاوون العاشر (١٥١٣—١٥٢٢) مع بطرس القس من اهدن سنة ١٥١٥ م ، وتوفي في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٥٢٤ ، وله من العمر كمالة مائة وعشرون سنة .

وأعتقبه موسى الاول من البارده في بلاد عكار في ٩ (تسعة) كانون الاول . وثبته البابا بولس الرابع سنة ١٥٦٢ مع الاسقف جرجس القبرصي . وتوفي في ١٩ اذار سنة ١٥٦٧ .

واقيم بعده مخايل الرزي من بقوفا في ٣١ ادار . ثبته البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٩ . وتوفي سنة ١٥٨١ م ، في ٢٧ ايلول. واعتقبه اخوه سركيس الاول ، وثبته البابا غريغوريوس ١٣ ، مع فراجوان برونا اليسوعي . ولشدة رغبته في حفظ الرتب والديانة ، طلب قاصد رسولي من الحبر الروماني ، البادري ايرونيموس دنديني اليسوعي سنة ١٥٩٥[١] وعقد مجمعاً حافلًا في الاصلاح . وفرض فيه جملة قوانين تخص العمادة ، بحضور المطارنة والاساقفة ، وحكام البلاد . وهذه صورة القوانين :

اولًا : من حيث سر العماد ضروري للخلاص ، فنحكم انه يعطى للاطفال عاجلًا. وليكن عند كل كاهن كتاب يكتب فيه اسم المعمود ، ووالديه ، وعرابه ، وعامده (الكاهن) .

ثانياً : ولتعطي الاساقفة سر التثبيت ، في رعاياهم كل سنة مرة .

ثالثاً : ليكن للمثبت عراب ، مثل العماد .

رابعاً : فليحفظ تحريم اوجه الزواج بين القابل والمقبول ، كما رسم مجمع التريدنتيني المقدس ، اي بين العراب [٧٦] والعرابة ، وبين المعمّد وابيه وامه ، وبين المعمود . وغير ذلك جملة قوانين هذا المجمع عشرين قانون .

---

١) لقد كتب الاب دنديني هذا رحلته تلك الى الشرق ، وقصادته البابوية لدى الموارنة ، واعماله فيها . وذلك سفر نفيس عن تاريخ لبنان والموارنة ، في ذلك العهد ، واهم ما كتبه سائح عن هذة البلاد . وقد ترجمها الى العربية حضرة صديقنا العلامة المعروف ، الخوراسقف يوسف يزبك العمشيتي ، كاتب اسرار البطريركية المارونية حالًا . ونشرها له زميله العلامة الكبير الخور اسقف بولس قرألي ، تباعاً في مجلته « البطريركية » سنة ١٩٣٣ . ثم افردها في كتاب خاص .

وانتهى المجمع بعشرين ايلول سنة ١٥٩٥ . وتوفي البطريرك سركيس سنة ١٥٩٧م في ٢٥ ايلول .

واقيم عوضه ابن اخيه ، يوسف الثاني . وبعد سنتين ثبته البابا اقليمس الثامن ، مع جرجس البرديوط المتريتي (قرية متريت من مزارع جبة بشري) . وهذا المنبوط لم تكن غيرته بانقص من غيرة عمه . لانه عقد ايضاً مجمع آخر ، رتبت فيه ما فرض بمجمع عمه . وفرض جملة قوانين في الاصلاح والعبادة ، وعدتها (عددها) ستة قوانين ، بحضرة القاصد الرسولي . ثم توفي هذا البطريرك ، وخلي الكرسي تسعة اشهر ، من خوف القشلق (العسكر) الذي اجتمع على ابن جنبلاط ، بمحافظة مراد باشا .

وفي شهر ايار ، اقيم يوحنا الحادي عشر ، المعروف بابن مخلوف ، هدناني . ثبته البابا بولس الخامس ، في عشرة ادار سنة ١٦١٠ (الف وستمائة وعشر) ، مع جرجس القس ابن مارون الهدناني . وتوفي في ١٥ كانون (الاول) سنة ١٦٣٣ . وكان عابداً غيوراً متواضعاً ، حريصاً على حفظ الديانة . وقد أنشأ جملة املاك لدير الكرسي .

وانتدب عوضه في ٢٧ كانون الاول (المذكور) ، جرجس ابن عميرة من اهدن . وكان عالماً علامة بارعاً جداً . لانه كان ارتضع حليب المدارس في مدينة رومية . وله مصنفات مفيدة : منها كتاب في اللغة السريانية (غرامطيق) مشهور بالطبع . وكانت بينه وبين البابا اوربانوس الاول صداقة عظيمة ، من قبل عشرتها في المدرسة . فبعث اليه الخوري مخايل ابن سعاده الحصروني ، وثبته سنة ١٦٣٥ . وتوفي في ٢٠ (عشرين) تموز سنة ١٦٤٥ .

واعتقبه يوسف الثالث العاقوري ، ابن المطران بطرس (صليب) في ١٥ آب سنة ١٦٤٥ . ثبته البابا زخيا العاشر مع القس عبد المسيح الحدثي . وكان جزيل المناضلة في صيانة الرتب والايمان . وكان حريصاً على حفظ الصبر في وقوع التجارب والمحن . وكابد مشقات جزيلة من بعض اقاربه . وله كتاب في علم النحو السرياني (غرامطيق) مشهور بالطبع ، مفيد جداً . ولم تكن غيرته انقص من غيرة سلفائه ، لانه عقد مجمعاً حافلاً في ضيعة موسى (قرب

اهدن) ، في هيكل القديسة مورا . وفرض فيه ٣٢ قانوناً . ثم انه توفي في قريته مسموماً في ٣ تشرين الثاني سنة ١٦٤٧ .

واعتقبه يوحنا ، ابن البواب ، من قرية الصفرا تبع جبيل . ثبته البابا زخيا العاشر مع مخايل [٧٧] البرديبط ، ابن صابونة الحصروني ، في ٢٥ كانون الاول سنة ١٦٥٦ . وكان رجلاً صالحاً قديساً ، باراً طاهراً . قد اجترح عجائب باهظة ، منها ما ذكره ثقاة المؤرخين (الدويهي) ، انه اذ كان يوماً ما في قرية اغزير ، في كسروان ، راقداً بالليل ، شوهد كله مضطرماً بلهيب اخضر متزايد . ولا ريب انه كان يصلي . فشاهده اناس مشاقون كانوا نياماً عنده . فاسرع احدهم ، من باب الاشفاق عليه ، وظن ذلك النور ناراً . فاخذ ماء وصب عليه . فلم تطفأ تلك اللهبة السماوية . حينئذٍ استشعر المشاق بالحقيقة . ولما كان الصباح ، اخذ يخبر الجماعات بما رأى . واخذ ذلك باقسام حسب قواعد دينه . وكان الله دائماً يجلله (البطريرك) بجلباب نور وقت صلاته ، كما شاهد ذلك خدامه ومعاشروه .

واعتقبه جرجس الثاني ، ابن الحاج رزق الله ، من قرية بسبعل (قرب قرية الناشر) من زاوية طرابلس ، سنة ١٦٥٧م . وثبته البابا اسكندر الثامن . وتوفي في دير مار شليطا (مقبس) بكسروان ، في ١٢ نيسان سنة ١٦٧٦ . وقد امتحنه الله باوجاع وامراض كابد منها مشقات جزيلة . وكان صابراً متواضعاً .

ثم اعتقبه الجليل بين الرؤساء ، والنبيل بين العلماء ، سديد الغيرة في العلوم والتصانيف الشهيرة ، المناضل عن حسن الديانة وصيانة الامانة ، مار اسطفانوس الدويهي ، المشهور بالصالحات . الذي فاق بعلومه وضاهى الاباء القديسين بتصانيفه وتفاسيره ، التي من جملتها « كتاب العشر منارات » في الشرح عن تقدمة الاسرار . وهي كتاب عظيم ، ذو برهان قويم ، بشروح مديدة ، وآراء سديدة . وقد اشتهرت هذه المنارات شرقاً وغرباً . ومدحها العلماء كثيراً . وتعجبوا من فصاحته وعلمه الدقيق . ما عدا ما له من المصنفات والمواعظ الكثيرة التي افاد بها بيعة الله ، لا سيما الطائفة المارونية ، التي نفى عنها كل شبهة وراي ذميم ، واوضح شرفها الوسيم . وناهيك من فصيح مما في

سماء البيعة ، الذي ما كان ولا يكون مثله ... وباقي اخباره العجيبة مرقومة في كتاب سيرته التي جمعها عواد البطريرك .

هذا (الدويهي) استمد التثبيت من البابا اقليموس الاول ، عن يد القس يوسف شمعون الحصروني ، الذي فيما بعد سامه مطراناً على مدينة طرابلس . وكانت الطائفة في عصره ساكنة . وهي مفرحة (فرحة) مسرورة براعيها الصالح ، وفخرها الواضح . مزهرة بالعبادة وحسن اليقين والسلامة . وفيها كثيرون من المعلمين (العلماء) كيوسف الحصروني مطران طرابلس، والمطران جرجس ابن [٧٨] عبيد الهدناني ، المشهور بالمواعظ ، الذي لقب « بالكاروز » مطران اهدن (والراهب اليسوعي فيما بعد) ، والمطران بطرس (ضوميط) مخلوف النوسطاوي ، والقس مرهج ابن نمرون الباني ، والخوري يوسف (اسكندر) القرطباني ، والقس سمعان الفغالي ، وغيرهم ... الذين اشتهروا بالعلم والعمل .

ولما كانت الطائفة حاصلة على الصلح والسلامة ، في حياة ذاك الراس المقدام ، غالتها يد النوايب بموت راعيها (الدويهي) الذي لحق بربه موقراً بالصالحات في ٣ ايار سنة ١٧٠٤ (الف وسبعمائة واربع) .

واعتقبه جبرايل الثالث البلوزاني في ١١ ايار (السنة نفسها) . ثبته البابا اقليموس الحادي عشر مع البادري الياس الكرملي . ثم توفي بدير قنوبين في ٢٨ تشرين سنة ١٧٠٥ . وكان رجلاً عابداً متواضعاً . ولم تطل رياسته الا سنة ونصف .

وقام بعده يعقوب الرابع ابن الخوري حنا عواد الحصروني ، في ٥ تشرين الثاني . ثبته البابا اقليموس الحادي عشر مع البادري فرديناندوس الكرملي . وكان عالماً بارعاً فصيح اللسان، مهاباً مهذباً ، مرتضعاً حليب المدارس في رومية . هذا لما جلس في الكرسي ، وخضعت له الروسا والمرؤوسين ، كانت الطايفة متموجة في زمانه بالبلايا والسجس . اولا لان اقاربه كانوا عقاربه . ثانياً لانه بواسطة قرايبه صار نهب واختطاف في ارزاق منهم وبسببهم . وكان في عهده جملة ملافنة . احدهم ، وهو اعظمهم واشرفهم ، كوكب الشرق ، وقبة الحكمة ، الخوري بطرس التولاني البتروني ، الذائع صيته شرقاً وغرباً . وكان مسكنه مدينة حلب . وقد افاد كثيرين بوعظه وتعليمه ، والكتب التي

صنفها ونقلها من الافرنجية الى العربية. وكان حافظاً اللغتين العربية والسريانية على صحتها . وكان ذا غيرة حارة في تخليص الانفس ، وبراعة وشجاعة زائدة بالجدل عند الاراتقة والمشاقين . ورد كثيرين من الروم ، والارمن والنساطرة، واليعاقبة الى الامانة الكاثوليكية. وكان ذا هيبة واعتبار ، حتى ومن الامم الكافرة ايضاً . ورتب طقوس وعبادات شتى حسنة في الكنايس . وصار له جملة تلاميذ كثيرين . منهم اثنين من الملكية وهما : عبدالله زاخر المشهور بالطبع (الطباعة العربية في الشوير لبنان) ، والخوري نقولا الصايغ . هذين قد ردهما من الهرطقة والكفر الى الاقرار بالكنيسة الرومانية .

ومن طايفتنا كان له تلميذين مشهورين بالغاية (للغاية) في جبلنا اللبناني . اشتهر بالعلم والقداسة . احدهما عبدالله قراعلي الحلبي ، الذي انشأ الرهبانية اللبنانية ، ونظم لها قوانين وفرايض نسكية. وكان عابداً متواضعاً جداً ، بارعاً في علم الشريعة العالمية (الفقه) والبيعية . ولذلك استحق ان يسام مطراناً على مدينة بيروت .

[٧٩] والاخر هو القس جبرايل فرحات الحلبي ، الذي كان من الرهبانية اللبنانية، الشهير بعلم النحو والصرف والشعر. وله مصنفات، وكتب كثيرة صنفها واصلحها.

وفي هذا العصر نشا علما اتقيا من طايفتنا . منهم الخوري وهبة الدويهي ابن اخي البار اسطفانوس ، الشهير بالوعظ والارشاد والتصانيف المفيدة ، والعبادة لمريم البتول . هذا المغبوط مات مسموماً في طرابلس ، ودفن هناك . واحكى لنا اناس تقاة ، من جملتهم المطران اغناطيوس شرابيه[1] المشهور في عصرنا بالعلم والعمل ، بان شهد له كثيرون ، مؤمنون وغير مؤمنين ، انه كان يلوح على قبر الخوري وهبه نوراً سماوياً ساطعاً ، كان يظهر بالليل عليه مدة ايام ، ثم

١) هو من تلامذة رومية ومن اباء المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ . اصل عائلته من صيدا، على ما يحقق البطريرك بولس مسعد ، في مفكراته الخطية في خزينة بكركي. قطن اولاً دير مار شليطا مقبس (كسروان) حيث رسمه البطريرك عواد مطراناً لمدينة صور في ٢٩ تشرين الثاني ١٧٣٣ فكان اول مطران عليها . ثم سكن دير مار الياس بلونة (كسروان) زماناً . وانتقل نهائياً الى دير اللويزة الشهير حيث توفي ودفن في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٧٤٨ . (من مقال الاب ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني في تلامذة رومية ، مجلة المنارة : ٧ (١٩٣٦) (ص ١١٠-١١٢) .

اختفى . دليل اكيد على قداسته . والى الان يعطي الاشفية للذين يزورون ضريحه .

وغيره من العلما . الذين ، كالمونسنيور يوسف السمعاني ، والمطران سمعان عواد (البطريرك) ، والقس اسطفان ورد ، وغيرهم ... ثم توفي البطريرك يعقوب ، ودفن في دير مار شليطا (مقبس كسروان) في ١٢ شباط سنة ١٧٣٣ .

واعتقبه يوسف الرابع ابن فياض الخازن . ثبته البابا اقليموس الثاني عشر مع القس عبدالله راهب دير ريفون . اخيراً توفي ودفن في غوسطا قريته (في كنيسة مار الياس لاسرته الخازنية) في ٣ ايار سنة ١٧٤٢ . وكان ذا غيرة في حفظ الرتب والديانة ، وجزيل العبادة والتواضع . وكابد اتعاب كثيرة من ابن عمه المطران طوبيا ، الذي افتن بينه وبين الرهبان اللبنانيين واغلب المطارين ، وابطل نفوذ امره ، وكردس نحو ثلاثين كيس (١٥ الف غرش) دين على الكرسي .

وقصدنا بشرح هذه المقدمة ، ليعرف الجميع ان بطركية انطاكية لا تحق الا للموارنة . ولو ان بطاركة غير طوابق ، يتخذون اسم انطاكية فذلك لا يحق لهم ، لانهم ، ولو كانوا كاثوليكيين فليس لهم ذلك ، كونهم لم يتخذوا الخلافة ، بعد توافان الارثوذكسي . بل ان الذي اخذ الخلافة حتى الآن ، فهم بطاركتنا ، الذين اولهم يوحنا مارون ، خليفة توافان . هولاء الذين كان جبلنا اللبناني مزهر في ايامهم بالقداسة والعبادة ، والديانة والصيانة ، مثل فردوس السما .

اما عن امرا لبنان وملوكه فنقول : انه قد ضلَّ سعيد البطريق الملكي ، الزاعم ان بعض اساقفة اسكندرية وقسطنطينية وملوكها كانوا موارنة . ولم يقل هذا بقصد تشريف الموارنة ، بل لثلبهم ، وليبري ملته بزعمه ان كل من قال بالمشيئة الواحدة ، كان مارونياً . ولكن لا حاجة الى الرد عليه . لان البار اسطفانوس (الدويهي) ، بطريرك انطاكية ، قد دحض كل ارائه الفاسدة بعدة كتب صنفها ضده ، فقال :

امراء لبنان : يوسف وكسرا وايوب ، والياس ويوسف ، ويوحنا . وذلك من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٧٩ . ثم يعقوب الى سنة ٦٩٥ ، وابرهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون الى ٧٢٨ . وبطرس الى سنة ٧٥٦ . وموسى الى ٧٩٠

(سبعمائة وتسعين) . وجرجس ويوحنا الى سنة ٨٩٠ (ثمانمائة وتسعين). وحنا واندراوس [٨٠] وموسى الى سنة ١٠٢٠ (الف وعشرين). وعساف الى سنة ١٠٥٠ (الف وخمسين) . وجرجس الى سنة ١٠٩٠ (الف وتسعين) . وموسى وبطرس الى سنة ١١٩٠ (الف ومائة وتسعين) . وباخوس ويعقوب الى سنة ١٢١٥ . وشمعون لسنة ١٢٣٩ (الف ومائتين وتسعة وثلاثين) وابنه يعقوب الى سنة ١٢٩٦ . وابن اخيه اسطفانوس الى سنة ١٣٥٢ . وموسى ويوحنا الى سنة ١٣٩٩ . ويوسف العبدلي الى سنة ١٤٠٠ (الف واربعمائة) .

وفيها (سنة ١٤٠٠) انتقلت الامرية (الامارة) من بلاد جبيل وبترون الى الجبة . وذلك عند قدوم تمرلنك الى بلاد فونيقي . وكان امير لبنان الى سنة ١٤٧٠ (الف واربعمائة وسبعين) .

وملك بعدهم عبد المنعم ابن عساف ، ابن يعقوب لسنة ١٤٩٤ . وتخلف بعده ابنه يوسف الى سنة ١٥١٩ . وتأمّر كمال الدين من ايطو ، ابن عبد الواهب ابن عجرمة . ثم قتله حنا ابن يوسف امير بشري سنة ١٥٤٧ . ثم تأمّر عاشينا ، وقتله المسلمون في طرابلس سنة ١٥٧٥ . وفيها سارت الاسلام الى افتتاح قبرص . وتولى الامرية ابن اخيه عساف ابن موسى ، واخوه داغر ، الى سنة ١٥٧٧ . وتولى خاطر الحصروني الايبودياكن (الشماس) الى سنة ١٥٩٤ . ثم ابنه رعد سنة ١٦١٢ . ثم مقلد الى سنة ١٦١٤ .

ثم ظهر ابو نادر الخازن ، في بلاد كسروان . وصار له نسلاً اولاداً تقدموا عند الامراء . وشاع خبرهم شرقاً وغرباً . حتى ان ملك فرانسا لويس المعظم (الرابع عشر ١٦٤٣ — ١٧١٥) بعث فرمان تشريف وانعام الى الشيخ ابو نوفل الخازن ابن نادر ، وجعله كأنه مولود في فرانسا (منحه الجنسية الافرنسية) ، وذلك على يد السيد المطران سركيس الجري (من اهدن) ، المحرر في باريس ، في شهر ادار سنة ١٦٥٩ ، وهي ١٦ (السادسة عشر) من حكمه (حكم الملك) . واهملنا كتابته (كتابة الفرمان الافرنسي) ، خوفاً من الاطالة .

فهذه هي احوال طايفة الموارنة ، واقدميتها وصحة اعتقادها وايمانها ، وحتى الى الابد بنعمة الله تعالى امين .

انجيل خطي قديم

(منسوخ سنة ١٥٦٥ مسيحية)

تعريف عنهُ

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

توطئة

في خدمة الرهبانية البلدية اللبنانية للامة المارونية

لا يخفى على اهل العلم وحَفَظة التاريخ ، ان مطبعة دير القديس انطونيوس قزحيا ، احد اديار الرهبانية البلدية اللبنانية المارونية، قد خدمت الامة المارونية بطبعها كتب فروضها وطقوسها ونشرها خدمة لا ينقضي برّها ولا ينطوي ذكرها على كرور السنين . وهي المطبعة الاولى التي دخلت الشرق وشمرت عن ساعد النشاط وبرزت الى ميدان العمل والجهاد ، لا يُشقّ لها غبار ولا تُجارى في هذا المضمار بهمة الرهبان البلديين اللبنانيين ولاتها ومديريها الذين ما فتئوا يدفعون بها الى الأمام حتى عصبت جبينها بتـاج الظفر والانتصار . والرهبان اللبنانيون كانوا السبّاقين الى نشر ألوية الدين والعلم في الربوع الشرقية ، واليهم يعود الفضل ، كالآباء فرحات وقرألي وحوّا مؤسسي هذه الرهبانية ، الذين رُقّوا الى درجة الاسقفية وظلوا مواصلين نشر العوارف والمعارف بما استطاعوا اليه سبيلًا ، مذلّلين الصعاب مستسهلين الاتعاب في نصرة الدين والعلم .

وهذا كتاب « بحث المطالب » للمطران جرمانس فرحات ، قد عمّ تدريسه في جميع مدارس الامم المسيحية الشرقية حتى وفي بعض الغربية ، وحاول كثير من العلماء والمدرسين المشتغلين على مقاعد التحصيل ، ان ينسجوا على منواله ويطبعوا على غراره فلم يفلحوا ، فكانت تآليفهم تتضاءل وتتكمش امام هذا الكتاب النفيس « البحث » الذي ظل ولا يزال موضوعاً داعياً للتنقيب والبحث . فأكبّ على دراسته جهابذة من العلماء والاساتذة الموهوبين : كالشيخ

ناصيف اليازجي ، والشيخ فارس الشدياق صاحب « الجوائب » ومحررها ، والشيخ عبد الله البستاني ، والمعلم بطرس البستاني ، والبطريرك مكسيموس مظلوم ، والخوري نعمة الله باخوس ، والشيخين الشقيقين سعيد ورشيد الخوري الشرتوني وسواهم ممن تعمقوا في علم الصرف والنحو وزاولوا مهنة التدريس ، فظل « البحث » أعلى تآليفهم كعباً وأرفعها مقاماً وأسدّها قاعدة ورأياً واوضحها صراحة وبياناً وأقربها فهماً ومنالاً ، وكان بينها كنجمة الصبح بين النجوم ، وهو مختصر لكتابه المطوّل المخطوط[1] .

ولم يقتصر السيد فرحات على الترصيف والتصنيف في صرف اللغة ونحوها ونثرها وشعرها وبديعها وبيانها ، والاشتغال في معاجمها ، بل جال قلمه السيّال في ميادين سائر العلوم العالية ، كالفلسفة واللاهوت والطبيعيات والرياضيات والتاريخ والالهيات ، وقد أربت مصنفاته المستطرفة المتنوعة الموسومة بوسم راسخ حجته وصلابة عقيدته رواسع معرفته ومضاء فضيلته ، على المئة والستين مصنفاً ، ما بين مؤلف ومترجم ومصحح ومهذب ، ولم تتجاوز حياته الثالثة الاثنتين والستين عاماً ، فانتشرت هذه المؤلفات القيمة انتشارًا سريعاً بين ايدي ابناء الضاد خطاً وطبعاً ، فاكبروا همة صاحبها العالية وعلومه الواسعة وعزيمته الماضية وتجلده المنقطع النظير على العمل ، بالرغم من اسفاره وصعوبة الانتقال في حله وترحاله وكثرة مهامه واشغاله وتحريك سواكن باله بما توالى عليه من المحن والكوارث التي كان يقابلها : بقلب قُدّ من جلمود صخر ، كما لا يبرح عن ذهن دارسي مراحل حياته .

ترى من نقل كتب الطقوس والفروض في الكنيسة المارونية من السريانية الى العربية ورتبها ونضدها واختصرها وهذبها ، ككتاب الانجيل ورسائل القديس بولس وخدمة القداس « والريش قريان » والسنكسار والخطب البيعية والكتاب المقدس وفرض الكاهن الماروني اليومي . ألم يكن المطران جرمانس

---

١) يقال ان في مكتبة دار الكتب اللبنانية في بيروت نسخة من كتاب « البحث » المطول . راجع مقال العلّامة المرحوم الخوراسقف جرجس مَنَش الحلبي في « البحث » المتون « مطالب في بحث المطالب » (المشرق ٣[١٩٠٠] : ١٠٧٧ - ١٠٨٢).

فرحات الراهب اللبناني الماروني ؟

من تجند لطبع هذه الكتب الجبارة ونشرها في الطائفة المارونية ، ألم تكن الرهبانية البلدية اللبنانية التي تعبت وجاهدت وسهرت وضحّت في سبيل طبع هذه الكتب مرارًا في مطبعتها بدير قزحيا بحروفها السريانية الجميلة ؟ وقد ألحقتها بطبع الشحيمة والكراسة السريانيتين ، والمزامير ، والتعليم المسيحي ، وزيارة القربان الاقدس وتفسير معاني القداس ، وكتاب التيرزاغو ، وكتاب « الشبيّة » المعروفة بشبيّة قزحيا ، وكتاب مورد التحقيق (غرامطيق سرياني) ومختصره وكلاهما للاب نعمة الله الكفري الذي لم يكن لطلاب الكهنوت غنًى عن درسه . وهي التي كانت تطبع رسالات البطاركة الموارنة الموزعة على ابناء الطائفة . ومن اراد الاطلاع على مطبوعاتها فليراجع مقال « تاريخ فن الطباعة في المشرق » للعلّامة الاب لويس شيخو اليسوعي[1]

ان كتاب الصلوات المعروف « بشبيّة دير قزحيا » المطبوع بمطبعته مرارًا ، قد طبعهُ في رومة العظمى القس واصاف البسكنتاوي (المطران واصاف الدبسي) سنة ١٧٣٦ ، واليك ما جاء في أوّله :

« اعلم ايها الاخ المسيحي ان في تاريخ سنة ܐܬܠܘ (١٧٣٦) ربّان لاجل افادة الجاهلين القراءة بالخط العربي قد اعتنى في طبع هذا الكتاب المبارك بالخط الكرشوني الاب القس يواصاف البسكنتاوي رئيس دير الرهبان الموارنة اللبنانيين في رومية الكبرى في ايام رياسة السيد الكلي الاكرام مار يوسف بطرس الحازن البطريرك الانطاكي رحمنا الله بحسن دعاه وذلك بنفقة الرهبان اللبنانيين في زمان رئيسهم العام الاب توما البودي الحلبي المرجو ان تذكر في صلاتك كل من . . . »

وجاء في آخره :

« قد طبع هذا الكتاب المبارك في رومية الكبرى بنفقة الرهبان اللبنانيين لاجل عبادة المؤمنين، بعناية الاب القس يواصاف رئيس دير مار بطرس ومرشلّين وبمناظرة الخوري اندراوس(اسكندر) القبرسي ترجمان المجمع المقدس سنة ܐܬܠܘ (١٧٣٦) مسيحية »[2]

---

١) المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٣٥٧

٢) رأينا نسخة من هذا الكتاب في خزانة كتب كنيسة القديس الياس المارونية في راس بيروت.

وقد طبع ايضاً الاب واصاف المذكور كتاب الاقتداء بالمسيح بالحرف السرياني ، الكرشوني ، الملفوظ بالعربي في رومة العظمى سنة ١٧٣٨ . وهذا ما جاء في آخره :

« قد طبع هذا الكتاب المبارك في رومية العظمى بنفقة الرهبان اللبنانيين بعناية ألاب الاكرم القس يواصاف البسكنتاوي رئيس دير ماري بطرس ومرشلين . بمناظرة الخوري اندراوس سكندر القبرسي ترجمان المجمع المقدس في سنة ܐܫܠܚ (١٧٣٨) مسيحية »١)

وعلى آثار مطبعة دير قزحيا ، مشت مطبعة دير سيدة طاميش (كسروان) للرهبانية البلدية اللبنانية ايضاً ، فأصدرت كتباً عديدة لاهوتية وفلسفية وروحية وعلمية وجدلية بحروفها السريانية والعربية ، منها بعض كتب للحبرين الجليلين العلامتين البطريرك بولس مسعد والمطران يوسف الدبس . وقد انجزت طبعة « الشحيمة » المطوّلة في غرّة شهر آب سنة ١٨٧٢ ، باذن البطريرك بولس مسعد وبعناية الرئيس العام الاب افرام جعجع البشرّاوي ، والقس مرقس الاهمجي مدير هذه المطبعة . ولا يسعنا في هذا المقام ان نعدّد اسماء الكتب التي أخرجتها مطبعة دير طاميش ونأتي على وصفها لان ليس لها من محلّ هنا .

مَن طبع « الشحيمة » المختصرة ، فرض الكاهن الماروني اليومي ، في رومة العظمى سنة ١٨٣٠ نظراً لافتقار الكهنة اليها ، ألم تكن الرهبانية البلدية اللبنانية في عهد رئيسها العام الجري. النشيط المغفور له الاب اغناطيوس بليبل؟

الرهبانية هي التي اهتمت في ابراز هذا الفرض اليومي المقدس وبذلت عليه النفقات ، وهي التي ساهمت في مشاريع الطائفة ومدَّت لابنائها يد الاسعاف ابّان محنهم ونكباتهم في ظروف عصيبة ومناسبات شتى . هل يذكر العارفون ؟

ى

ومما يجب ان يذاع أمره ولا ينبغي ان يطوى ذكره : ان اول من نشر عادة الشهر المريمي بين الطوائف الشرقية الكاثوليكية هو الاب ليباوس ابوسليمان

---

١) في مكتبتنا بدير سيدة المونات ، جبيل ، نسخة من هذا الكتاب . طالع ترجمة المطران واصاف دبي البسكنتاوي وما له من التآليف الفلسفية واللاهوتية ، في كتاب « تاريخ بسكنتا وأسرها » للخوراسقف بطرس حبيقه ص٦٩ – ٧٥ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٩٤٦ ، في ٣٠٧ صفحات .

المتيني احد ابناء الرهبانية البلدية اللبنانية الذي كان ممثلًا للرهبانية وللطائفة في رومة العظمى ورئيساً لدير اخوتنا الرهبان الحلبيين هناك ، مدة خمس عشرة سنة ، وذلك بنشره كتابه « الشهر المريمي او شهر ايار المكرّس لمريم العذراء . » تأليف الاب موزارلي اليسوعي باللغة التليانية وقد نقله الاب ليباوس الى اللغة العربية وطبعه بمطبعة مجمع انتشار الايمان المقدس ثلاث طبعات ، الاولى سنة ١٨٤٢ والثالثة سنة ١٨٤٨ ، ووزَّعه على ابناء الطائفة ، ولكل يوم من ايام شهر ايار فصل خاص يتلى فيه . وقد طبعته مطبعة الرهبان الفرنسيسين بالقدس باذن البطريرك الاورشليمي سنة ١٨٥٣ نقلًا عن طبعة رومة الاولى ، وطُبع ايضاً في بيروت فوق العشرين طبعة بعد ان أُسقط منه اسم مترجمه وأبقي اسم مؤلفه . ولاقى هذا الكتاب رواجاً واستحساناً عظيمين بدليل طبعاته المتعددة ، وقد وضعت كتب في موضوعه وعلى سياقه ونمطه ولم تصدف اقبالًا عليها ، بل ظلّ كتاب الاب ليباوس مفضلًا عليها جميعها تتداوله ايدي المؤمنين ويقرأونه بسرور وانبساط في شهر ايار المخصص لعبادة أمنا مريم العذراء ، في البيوت وفي الكنائس معجبين برقّة معانيه ودقّة اسلوبه لانهم ألفوا سماعه ، لذلك لا يرضون عنه بديلًا . وقد رأينا للاب ليباوس بعض كتب وضعها وترجمها وطبعها بمناسبة اقامته في رومة العظمى ، منها كتاب صلوات وكتاب آخر صلوات علق عليها البابوات الغفارين ، ولدينا نسخة منه ليست الان تحت متناول يدنا .

وطبع ايضاً « الاب ليباوس المتيني وكيل عام رهبان ماري انطونيوس البلديين اللبنانيين الموارنة في رومة » كتاب « القلب المنسحق » بمطبعة مجمع انتشار الايمان المقدس في رومة سنة ١٨٤٨ ، تأليف الاب يوحنا بطرس بيناموتي اليسوعي وترجمة الخوري عبدالله الشبابي الماروني ، وتعريب القس جبريل فرحات (المطران جرمانس) في دير سيدة اللويزة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٧١٧ [1]

كان الاب ليباوس من آباء الرهبانية المشهورين بالعلم والتقوى والوداعة ودماثة الاخلاق ، وقد انتخب لرئاسة دير مار موسى الحبشي مرَّات عديدة وبنى

١) في مكتبتنا بدير سيدة المعونات في جبيل ، نسختان من هذا الكتاب : نسخة مطبوعة ونسخة خطية قديمة .

كنيسته الرحبة وجانباً منه ، ونال وظيفة المدبّرية في الرهبانية ، وقد ارسل الى رهبانيته من رومة صوراً زيتية جميلة لأشهر الرسّامين في ايطاليا ، وبدلات وملابس كهنوتية وصلباناً وذخائر عديدة.

ومما يروى عن شيوخ الرهبانية معاصريه ومعاشريه ، ان الامير بشير الشهابي الكبير استدعاهُ خصيصاً من رومة الى لبنان للقيام بكتابة مراسلات الامير الاجنبية ، ولتعليم حسن جهان زوجة الامير الثانية مبادئ الديانة الكاثوليكية ، وهو الذي عقد زواجه عليها . ومما نفحه به الامير ، ساعة فضية بديعة ذات آلات غريبة عجيبة ، قدّمها له سنة ١٧٨٨ ، على ما روى عن لسانه معاصره ونسيبه الاب بولس ابو سليمان المتيني احد مدبّري الرهبانية اللبنانية . وقد اهدى هذه الساعة الامير بشير ، الامير محمد علي ، ولا تزال هذه الساعة الى الآن بيد الاب مبارك الناكوزي المتيني الراهب اللبناني ، في دير مار مخايل بنابيل يحتفظ بها كأثمن الاعلاق والذخائر ، وهي تُدار بمفتاح صغير ، وعلى طبقتيها نقشتان جميلتان ، وقد قلّبتها بيدي مراراً وانا دهش من كثرة ما فيها من الآلات[1] .

توفي الاب ليباوس ابو سليمان في دير مار موسى الحبشي (قضاء المتن) واليك ما كُتب عنه في روزنامة هذا الدير :

« قد توفي لرحمته تعالى الاب ليباوس المتيني وكان مدبراً ثالثاً ، وكان ذا سيرة حسنة ليّن الاطباع ، قلب ابيض ، عاش ممدوحاً ومات ممدوحاً وذلك برئاسة الاب طوبيا (ابو سليمان) المتيني ، بعمر ٨٣ سنة ، في ١٥ ايلول سنة ١٨٧٧ » .

طبعُ كتاب الانجيل

ان اول من اهتم وسعى من رهباننا لطبع كتاب الانجيل لتلاوة القداس الماروني ، القس جبرائيل حوّا الحلبي احد مؤسسي رهبانيتنا اللبنانية ، اذ كان رئيساً لدير مار بطرس ومرشلينوس في رومة العظمى . طبعه هناك سنة ١٧١٥ ،

١) لدينا مجموعة رسائل بخط الاب ليباوس ابو سليمان المتيني انقذها من رومة الى بعض الرؤساء العامّين ورؤساء الاديار ، وكلها بخطه العربي الدقيق وقد مرّ على كتابتها اكثر من مئة سنة ، مع مسودات بعض مؤلفاته .

في السنة الخامسة عشرة من حبرية البابا اقليموس الحادي عشر ، وهي السنة العاشرة من بطريركية مار يعقوب عوّاد على الموارنة ، وبعناية القس اندراوس اسكندر القبرسي مولدًا العاقوري اصلًا[1] .

واما الانجيل الذي عرّبه المطران جرمانس فرحات ، قد طبعته مطبعة دير مار انطونيوس قزحيا ، باذن السادة البطاركة اربع طبعات خدمة للدين والطائفة المحتاجة اليه اشد الاحتياج ، على ما جاء في مقدمة طبعته الاولى سنة ١٨١٥ :

« قد تأمل قدس الاب/اغناطيوس بليبل (ساقية المسك – بحرصاف) رئيسنا العام اللبناني الكلي الاحترام ، بان كتب القداس المختصة بخدمة الجلال الالهي قد دثرت وبقيت اغلب الكنائس بغاية الاحتياج اليها ، لزم ان اعتني الاعتناء الكلي في ان تُطبع هذه الكتب المقدسة الالهية بمطبعة ونفقة رهبنتنا اللبنانية، وذلك لمجد الله الاعظم ، ولسدّ احتياج كنائس طائفتنا المارونية ، فلاجل ذلك امرني انا ولده القس نعمة الله النجار البسكنتاوي[2] ، ان اهتم الاهتمام الكلي في مداركة نظام وترتيب طبع هذا الكتاب المبارك . فامتثالًا لامر الطاعة المقدسة ، ورغبة في اكتساب الاجر والثواب ، والخير العام لهذه الطائفة ، اني اضع على ذاتي اتعابًا وشقاء هذه المهنة فوق اتعاب وشقاء الشيخوخة الوهنة ، متكلًا على ان يد الله هي الصانعة والقادرة على كل شيء ، وان ارادته الالهية تستميل بي الى هذا العمل الصالح وتسند الضعف البشري . . . وقد تمّ ذلك في حيوة قدس سيدنا وتاج روسنا ماري يوحنا الحلو البطريرك الانطاكي[3] الكلي الغبطة والطوبى . . . قد طبع بدير ماري انطونيوس قزحيا وكان انتهاؤه في ٥ (١٥) كانون الثاني ابتدا سنة ١٨١٥ (١٨١٥) مسيحية . تم ولله المجد دائمًا »

ه

طُبع كتاب الانجيل (القداس الالهي) تعريب فرحات، بالسرياني والكرشوني اربع مرات بمطبعة دير قزحيا ، الاولى سنة ١٨١٥ وقد مرّ ذكرها . ووقفنا ايضاً على كتاب الطبعة الثانية التي كان الانجاز منها في اوائل حزيران سنة

---

١) رأينا نسخة من هذا الانجيل، عند موسى الخوري يوسف ابي هيلا في قرية عينطورا المتن . وعلى ورقة بيضاء من هذا الكتاب كتب ريشا ثابت هذه العبارة بخطه السرياني الكرشوني وهي : « هذا الكتاب المبارك الى كنيسة مار الياس (للموارنة) في بعقلين . حرّر ريشا ثابت سنة ١٧٧٩ »

٢) لنا كلمة فيه ننشرها في العدد الآتي من المشرق

٣) توفي بدير سيدة قنوبين في ١٢ ايار سنة ١٨٢٣

١٨٣٨ ، باذن البطريرك يوسف حبيش[١] (ساحل علما ، كسروان) ، في زمن رئاسة الاب عمانوئيل سلامه المتيني[٢] العامة على الرهبانية اللبنانية . والطبعة الثالثة كانت سنة ١٨٥٥ . والطبعة الرابعة تمّت في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٧٢ ، بأمر السيد البطريرك بولس مسعد[٣] (عشقوت ، كسروان) ، واهتمام الاب افرام جعجع البشراوي رئيس الرهبانية اللبنانية العام ، وتحت نظر الاب نعمة الله التدّوم الكفري[٤] ، وعناية الاب مارون ابي بشاره ايطو[٥] مدير هذه المطبعة التي أدارها اكثر من خمسين سنة بهمّة لا تعرف الملل ولا الكلل . وكان صناعاً ماهراً بحرفة الطباعة ، وهو الذي سبك حروف مطبعة دير قزحيا السريانية وأمهاتها ونقش نقوش تجليد مطبوعاتها . وقد توصّل الى سكّ الربع المجيدي والريال المجيدي غير المتميّزين عن سكّ الاستانة .

فهذا قليلٌ من كثيرٍ ذكرناهُ ، وتلك حقيقة صرحنا بها بدون تهيّب او

١) توفي في دير الديمان في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥ . طالع ترجمة حياته ، للخوري يوسف شبيه اللاذقي المرسل الرسولي الماروني ، مطبعة الارز ، جونيه ، سنة ١٨٩٧ ، ١٩ صفحة .

٢) رأس الرهبانية ثلاثة مجامع ١٨٣٥ و ١٨٤١ و ١٨٥٣ . توفي في ٢٣ شباط سنة ١٨٦٦ ودُفن بضريح خاص في كنيسة دير مار مخايل بنابيل ، المتن .

٣) وُلد في عشقوت سنة ١٨٠٦ . سيم اسقفاً ١٨٤١ . انتُخب بطريركاً في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ . ثبّته البابا بيوس التاسع في ٢٣ اذار سنة ١٨٥٥ . توفي في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠ . دُفن بضريح خاص في كنيسة مدرسة القديسين بطرس وبولس في عشقوت . وهو مؤلف كتاب « الدّر المنظوم ردّاً على البطريرك مكسيموس مظلوم » المطبوع بمطبعة دير سيدة طاميش ، كسروان سنة ١٨٦٣ ، في ٣٤٣ صفحة .

٤) ولد في قرية الكفر (بلاد جبيل) باواخر شهر شباط ١٨٢٦ ، سيم كاهناً علمانياً سنة ١٨٦٦ . رأس مدرسة مار يوحنا مارون وكان البطريرك الياس الحويك من تلامذته . ابتدأ في دير قزحيا سنة ١٨٥٢ . لبس الاسكيم الملائكي سنة ١٨٥٣ . تعين رئيساً عاماً في ٧ نيسان سنة ١٩٠٢ . توفي براتحة القداسة بدير مار قبريانوس كفيفان (بلاد البترون) مساء ١٨ ايلول سنة ١٩٠٨ عن ٨٢ عاماً . وهو مؤلف كتاب « مورد التحقيق » ومختصره في صرف اللغة السريانية ونحوها . طالع ترجمة حياته للاب اغناطيوس داغر التنوري في آخر كتاب « اصدق الثناء على قدوة الرؤساء » المطبعة اللبنانية ، جسر نهر بيروت (لبنان) سنة ١٩١٤ . وللاب مبارك ثابت « موجز سيرة الابوين نعمة الله الكفري واسطفان الكفيفاني » بيروت ، مطبعة الاجتهاد ليوسف ثابت سنة ١٩٣٣ .

٥) طالع ترجمته التي نشرناها في المشرق ٢٣ [١٩٢٥] : ٥٩٠ – ٥٩٤

تخرّج ، وساقنا الى التنويه بها ، رغبتنا في ان يقف عليها المتأخرون الذين يجهلون ما لهذه الرهبانية البلديَّة اللبنانيَّة من الايادي البيضاء والمآتي الحسناء على ابناء الوطن اللبناني العزيز . ولو جئنا نعدد كل الخدم والتضحيات التي بذلتها هذه الرهبانية في جنب الطائفة المحبوبة ، لضاق بنا المجال وقصرت هذه الصفحات عن استيعابه . واذا حقّ لها الافتخار بقيامها بمثل هذه الاعمال الخطيرة بامانة واخلاص ، فبالرب تفتخر الذي لمجده صنعت ولاجله تعبت وحبّاً للطائفة بذلت ، وهو تعالى المثيب والهادي الى كل خير وصلاح .

٥

ذكرنا ان الذي نَقَلَ الانجيل المقدَّس من اللسان السرياني الى اللسان العربي ورتَّبهُ وضبطه وقسَّمهُ ، هو المطران جرمانس فرحات رئيس اساقفة حلب ، وقد صدَّرهُ ببيانٍ يكشف عن معانيه وقدمهِ وتراجمهِ ، وعن اللغات التي تكلَّم بها الانجيليُّون الاربعة . ورأينا في أديارنا بعض نسخٍ خطيَّة لهذا الكتاب منها نسخة وقفنا عليها في دير مار مخايل بنابيل — المتن — في صيف سنة ١٩٥١ . وتسهيلًا لاقتنائهِ في البيوت وفي الكنائس ، ورغبةً في ان يطالعه اولئك الذين يجهلون القراءة السريانيَّة — الكرشونيَّة — طبعهُ بالحروف العربيَّة على نفقتهِ وفي مطبعتهِ ، صاحب الهمم والمبرَّات المثلَّث الرحمة المطران طوبيا عون رئيس اساقفة بيروت الشهير ، سليل الرهبانيَّة البلديَّة اللبنانيَّة . ويقع هذا الكتاب في ٢٩٦ صفحة ، وصُدِّرت الصفحة الثانية منهُ بهذه العبارة وهي :

« قد طُبع بمطبعة قدس السيّد الجليل المطران طوبيَّا عون الماروني رئيس اساقفة بيروت الكلي الشرف والاحترام ، وباهتمامه وبنفقتهِ ، في بيروت سنة ١٨٦٥» (١

١) وُلد المطران طوبيا في معلقة الدامور ، في غرَّة كانون الاول سنة ١٨٠٣ ودعي باسم شبيب . دخل الرهبانية البلدية اللبنانية في ٢٥ اذار سنة ١٨١٨ . ابرز النذور الرهبانية في دير سيدة طاميش ، كروان ، وسمّي باسم طوبياً ، في غرة نيسان سنة ١٨٢٠ . رقاه الى الدرجة الكهنوتية البطريرك يوسف حبيش في ٣٠ ايلول سنة ١٨٢٣ . اختاره هذا البطريرك كاتماً لاسراره في شهر ايار سنة ١٨٣٧ . رفعه الى درجة الاسقفية في ١٩ اذار سنة ١٨٤١ . عينه راعياً لابرشية بيروت في آخر كانون الاول سنة ١٨٤٤ ، وقد اتى فيها من الاعمال العظيمة ما يبقى على الدهر ذكره . توفي في ٤ نيسان سنة ١٨٧١ . دفن في ضريح

وفي آخر البيان عن هذا الكتاب المثبت في بدنه، وضع المطران فرحات هذا التنبيه :

تنبيه

« اقول انا الحقير في رؤساء الكهنة، جرمانوس اسقف حلب الماروني النير المستحق، انه لما كان سنة الف وسبعماية وتسعة وعشرين مسيحية، في حيوة الحبر الاعظم مار بناديكتوس الثالث عشر البابا الروماني الاقدس، وفي حيوة السيد البطريرك مار يعقوب عوَّاد المعظم القائم بوشنذ في رئاسة الملة المارونية ابداً، قد ترجمت الانجيل المقدس بكل حرص واجتهاد وضبط كلي، من اللغة السريانية الى اللغة العربية كلمة فكلمة بغير زيادة ولا نقصان، النصوص الالهية، لان التشويش في عبارات كتاب الله ضربٌ من الكفر. ولهذا جاءت النسخة العربية المنقولة، طبق النسخة السريانية المطبوعة في رومية الكبرى سنة الف وسبعماية وثلث مسيحية، في عهد البابا مار اينوشنسيوس الثاني عشر الاقدس. وفي عهد السيد البطريرك مار اسطفانوس الدويهي رحمه الله. وجعلنا تراكيب نسختنا هذه العربية مربوطة الاعراب بحسب القواعد النحوية، فلا يتجاسر متواقح على التبديل والتغيير ولا على التقدم والتأخير، لاننا جعلنا عبارات هذه النسخة ظاهرة الالفاظ من غير ان نمقدها بالالفاظ اللغوية، لاننا لم نقصد بذلك صناعةً وفصاحةً عاليةً، بل اننا قصدنا فائدة المسيحيين السامعين. ثمَّ وضعنا في آخر هذه النسخة فهرس المشاهرة ليُقرأ لكلّ يوم فصلٌ يخصُّهُ في مدار السنة. وهكذا حصلنا عليه بتعبٍ عظيم، طالبين الرحمة من المومنين والثواب من إله المسيحيين امين »

خاص في كنيسة كرسيه عين سادة التي بناها، وأرَّخ وفاته المطران جرمانس الشالي بثلاثة ابيات من الشعر نُقشت على بلاطة فوق الضريح وهي :

سقياً لرمسٍ ضمَّ حبراً قد سما ... بالفضل والتقوى فساد ممجدا
فالقبر باب الرب والصديق من ... ذا القبر يدخل في النعيم لبسعدا
قلنا بعون الله في تاريخه ... بسعادة الدارين طوبياً غدا

سنة ١٨٧١

وفي صدر هذا الضريح الرخامي، حول صليب اسود، نقشت هاتان الآيتان الكريمتان « اذكر قضائي هكذا يكون قضاؤك انت ايضاً، فلي موامس ولك اليوم » (ابن سيراخ في ص٣٨ عدد ٢٣) « من هو الانسان الذي يحيا ولا يعاين الموت » (مزمور ٨٨ عدد ٤٩).

وقد رثاه كثير من الكتّاب والشعراء . جمع هذه المراثي وطبعها في كتاب خاص الخوري يوسف الشاعر كاتم اسراره . كان المطران طوبياً من اعظم واقدر مطارنة الطائفة المارونية وابعدهم همةً واكثرهم جراةً واشدهم عزماً واوسعهم شهرةً . رحمه الله عداد ما له من الحسنات والمبرّات .

أنّك علمت مما تقدّم ان المطران فرحات عيّن لكلّ يوم انجيلاً مطابقاً معناهُ مغزى حياة صاحب العيد الواقع في ذاك اليوم . وانت لا تجهل ما عانى هذا الحبر النابغة من التعب والمشقّة في هذا السبيل ، على ما صرّح بهِ هو نفسهُ ، أجزل الله اجرهُ وبلّل بغيث المراحم قبرهُ .

وقد تصدّى ايضاً لطبع كتاب الانجيل المذكور ، الحبرُ العلّامة المطران يوسف الدبس ، بالحرف السرياني وصدّرهُ بمقدّمة ، كما طبع كتاب رسائل القديس بولس .

لقد امتدّ بنا النَّفس وحان لنا ان نبدأ بتعريف نسخة انجيلنا الخطيّ القديم العهد فنقول :

سبق لنا ان وصفنا كتاب انجيل خطي وجدناهُ في غوسطا ، كسروان (المشرق ٤٦ [١٩٥٢] : ٤٢٥-٤٣٢) والآن وقفنا بين مخطوطات خزانة كتبنا ، في دير سيّدة المعونات جبيل ، على كتاب انجيل خطي قديم ايضاً اتصل الينا من قبرس ، نُسخ سنة ١٥٦٥ مسيحيّة بيد الياس الذي لم يذكر لقبهُ وكنيتهُ وقريتهُ كما سيأتي ، تضمّهُ دفّتان من خشب غليظ مغلّفتان بقماش ثم بجلدٍ مائل قليلاً الى الاحمرار . ولتقادم عهدهِ لم يعد خشبهُ وقماشهُ وجلدهُ قادرا على ضبطهِ ومسكهِ . وعلى ظاهر آخر صفحة منه بيضاء ٨٤٤ وهي الأخيرة كتابة اسم الذي ابتاعهُ بالحروف السريانية ، وقد ذهب جانبٌ من هذا الاسم ولم يبقَ غير هذه الكلمات وهي : اشترهُ (اشتراهُ) من لقس (القس) (هنا كلمات بالحروف اليونانية غير مقروءة جيّداً) هذا الكتاب للمطران بطرس ١ ف »[1]

هذا الانجيل منسوخ على ورق عادي ، طوله ٣١ سنتمترًا بعرض ٢١ سنتمترًا ، عرض هامشه ٤ سنتمترات ، سمكه ١١ سنتمترًا ، عدد صفحاته ٨٤٤ صفحة ، وزنهُ رطل وثماني اواقي ، الصفحة منه تحتوي ٢٢ سطرًا . وكل صفحة منه حقلان ، حقلٌ بالسريانية وحقل بالكرشونية السريانية التي تُلفظ بالعربية ، ومنسوخ بالحبر الاسود وأمّا عناوينه فبالحبر الاحمر . وفي اوله فهرس

١) لا نعلم من هو هذا المطران بطرس!

بالسريانية يعيّن الاناجيل التي تُقرأ في ايام الآحاد والاعياد والصوم من اناجيل الرسل الاربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

جاء في اول انجيل منه صفحة ٦ ، من الحقل الاول بالسريانية :

ܥܠ ܣܒܪܐ ܕܬܠܝܬܝܘܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ
ܩܕܝܫܐ ܚܕ ܐܠܗܐ ܫܪܝܪܐ ܡܫܪܝܢܢ ܕܢܟܬܘܒ ܐܘܢܓܠܝܘܢ
ܩܕܝܫܐ ܕܡܫܝܚܐ ܐܠܗܐ ܡܪܢ ܟܪܘܙܘܬܐ ܕܡܬܝ ܫܠܝܚܐ ܩܪܝܢܐ
ܕܚܕ ܒܫܒܐ ܕܩܕܡ ܝܠܕܐ

ومن الحقل الثاني مقابله ما يلي بالحبر الاحمر :

« على رجاء الثالوث المقدس الآب والابن والروح القدس الواحد الله الحقيق نبتدي نكتب الانجيل الطاهر لسيدنا ومخلّصنا ايسوع المسيح الله . في الاول انجيل البشير متى الرسول يقرأ الاحد الاول قبل عيد الميلاد »

هنا يأتي انجيل « كتاب ولادة سيدنا ومخلّصنا ايسوع المسيح الذي هو بالجسد ابن داود ابن ابراهيم ومن نسلهم لان ابراهيم وَلَد ايسحق ، ايسحق وَلَد يعقوب ... الخ الخ » وهو بالسريانية والعربية (الكرشونية) كما مرّ ويتخلل الحقل العربي الذي هو ترجمة الحقل السرياني بعض شروح ما سيأتي

وبعدهُ يأتي هذا الانجيل لمتى السليح وهو بحرفه بالنص السرياني :

ܐܘܢܓܠܝܘܢ ܕܡܬܝ

ܡܛܠ ܕܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܐܠܗܐ ܗܘܐ . ܟܕ ܡܟܪܙܝܢ
ܗܘܐ ܡܢܝܢ ܐܢܘܢ ܠܡܘܫܐ ܟܠܗ ܢܒܝܘܬܗ ܐܘܢܓܠܣܛܐ
ܟܬܒܐ ܡܢ ܙܪܥܐ ܕܕܘܝܕ . ܡܛܠ ܕܝܢ ܕܟܠܗܘܢ ܥܬܝܕ ܗܘܐ
ܘܠܐ ܢܒܝܐ ܕܒܙܒܢܗ ܘܐܬܒܪܟ ܗܘܘ ܕܡܢܗ ܐܬܐ ܢܒܪܝܢ . ܟܕ
ܗܟܢ ܕܝܢ ܐܬܒܪܟ ܐܬܐܡܪ ܠܗ ܡܠܐܟܐ ܕܡܪܝܐ ܒܡܟܬܒܐ ܘܐܡܪ
ܠܗ ܡܘܫܐ ܒܪܡ ܕܕܘܝܕ ܠܐ ܐܬܦܠܓ ܠܡܠܟܘܬܐ ܠܥܠܡܝܢ
ܐܬܐܡܪ . ܗܘ ܓܝܪ ܕܐܬܝܠܕ ܒܗ ܡܢ ܙܪܥܐ ܕܕܘܝܕܐ ܐܬܝܠܕ
ܕܝܢ ܒܪܐ ܘܐܡܪܐ ܡܫܝܚܐ ܡܫܒܚ . ܗܘ ܓܝܪ ܠܟܠܗܘܢ ܠܟܠܗܘܢ
ܡܢ ܫܪܒܬܗܘܢ ܗܘܐ ܕܝܢ ܟܠܗ ܕܗܘܐ ܕܢܡܠܠ ܡܢܗ ܕܐܬܐܡܪ

ܡܢ ܦܘܡܐ ܕܢܒܝܐ ܗܘܐ ܠܒܬܘܠܬܐ ܕܬܒܛܢ ܘܬܐܠܕ ܒܪܐ.
ܘܢܬܩܪܐ ܫܡܗ ܥܡܢܘܐܝܠ ܕܡܬܦܫܩ ܥܡܢ ܐܠܗܢ. ܟܕ
ܩܡ ܕܝܢ ܝܘܣܦ ܡܢ ܫܢܬܗ. ܥܒܕ ܐܝܟܢܐ ܕܦܩܕ ܠܗ
ܡܠܐܟܗ ܕܡܪܝܐ ܘܕܒܪܗ̇ ܠܐܢܬܬܗ. ܘܠܐ ܝܕܥܗ̇ ܥܕܡܐ ܕܝܠܕܬܗ
ܠܒܪܗ̇ ܒܘܟܪܐ ܘܩܪܬ ܫܡܗ ܝܫܘܥ.

النصُّ العربي يقابلهُ :

يُقرأ ظهوره ليوسف

أمّا ميلاد سيّدنا ومخلّصنا ايسوع المسيح فهكذا كان سرّهُ . بينا كانت مريم أُمهُ مخطوبةً اليوسف ابن عمّها من غير ان يجتمعا ويتواصلا القُيت حُبلى من فعل روح القدس ليس من فعل رجل . فأمّا يوسف خطيبها فكان عدلًا (عادلًا) تقيًا ولم يحبّ ان يشهرها لمّا رآها حُبلى . ولم يعلم السبب لعلمه بتقآوها (بتقواها) وعفتها وصُونها . ولكنهُ اظمر[1] (اضمر) تسريحها سرًّا خفيًا البرآة نفسها . فلما ارتى (ازتأى) في ذلك واظمرهُ (واضمرهُ) ترايا لهُ ملاك الرب في الحلم وقال لهُ ولتقا به اختفى لهُ بروحًا النوم فقط : يا يوسف يا ابن داود ، انما هو ابن يعقوب بل ذكّرهُ بالوعد بالمسيح لداوود جدّه وانهُ يولد من بتول عذرى فلا يرتاب في السيّده فينتبه ويُومن، لا تخاف ارتباط مريم خطيبتك لان المولود بها انما هو من فعل روح القدس وليس من فعل بشر . فانها ستلد ابنًا زكيًا وتدعوا (وتدعو) اسمهُ ايسوع الذي معناه المخلص . لانه هو الذي يُحيي شعبه ويخلّصهم من خطاياهم . وكل هـذا كان من الامر الخارق العادة الطباع ليكمُل ما قيل من الرب على لسان اشعيا النبي ان بتولًا من بني اسرائيل تقبل حَبلًا وتلد ابنًا ويُدعا اسمهُ عمنوايل الذي ترجمته الهنا معنا . وفي هذ التسمية اشارة الى اتحاد اللاهوت والناسوت فيهِ بالمعيَّة . ولما استيقظ يوسف من سِنة نومه فعل كما امره ملاك الرب وتمسك بخطيبته ولم عرفها بالنسا حتى

---

١) انه يكتب الضاد ظاء كما كانت تلفظ في ذلك العهد .

الى اللاهوت المنوّر لكل الناس الذي اتى الى العالم متحداً بالنسوت (بالناسوت) في العالم كان ، اي في الوجود والعالم بيده كان اي به كُوِّن وخُلق . والعالم لم يعرفه ، اي غير المومنين . اتى الى ما له وما له لم يقبله . يريد خاصته اليهود . فامّا الذين قبله (قبلوه) فاعطاهم سلطانٌ (سلطاناً) ان يصيروا لله ابنا (ابناء) بالاختصاص الذين يومنون باسمه افاد ذلك الذين ليسو من دم ، اي بنوّتهم ليست جسدانية، ولا من مراد لحم ، اي وليست باتبع (باتباع) هواى (هوى) الجسد ولا من مشيئة رجل ، بل انما وُلدوا من الله باتباع اوامره وباياتهم واعتادهم

والكلمه صار لحم وحلّ فينا ، اي شان الكلمة الالهية ان شيئاً من طبع صار لحماً وحلت الكلمه فيه اتحاداً . ورأينا مجده كمجد الوحيد من الاب ، اي مع الاتحاد صار مجد البشري كمجد الابن الازلي المتحد به المملو نعمة وعدلاً ، يوحنا المعمدان شهد عليه وهتف وقال : هذا هو الذي قلت انه ياتي بعدي بناسوته وكان قبلي بلاهوته لانه اقدم مني شرفاً وزماناً بناسوته ولاهوته . ومن امتلايه وكماله اخذنا كلنا اي من كمال بنوّته الحقيقة افدنا (افادنا) نحن المومنين به بنوة الاختصاص ونعمه بدل نعمه اي صرنا الى نعمة الايمان به بدلاً من نعمة الناموس العتيق . لان الناموس الجسدي افيد على موسى النبي ، فأمّا الحق والنعمة الروحانية فكانوا على يدي سيدنا ومخلصنا ايسوع المسيح الابن المتحد .

ه

هذا ما رأينا ان نثبتهُ من هذا الكتاب تعريفاً وقياساً على ما تضمنهُ ليقف القارئ على نهجهِ . وقد رسم الناسخ بالحبرَ الاحمر والازرق نقشةً جميلةً في بدء كل انجيل من اناجيل الرسل الأربعة .

وجاء في آخر انجيل متى بحبرٍ احمر ما نصُّهُ :

« كملت بشارة متى الانجيلي الناطق في العبراني بفلسطين »

ثم بخط دقيق بالحرف السرياني ايضاً :

« وكتبت قرابة البشاره بفلسطين عمّها (عملها) في الهند عبرانياً في السنة الاولى من ملك اقلوديوس قيسر وهي التاسعه للصعود المقدس . وغفر الله خطايا الناسك[١] الخاطي المسكين وخطايا والديه روحاني وجسداني وخطايا القاري والسامع والقاني امين» .

ثم بخط سرياني مختلف رديء :

« كمل هذا الكتاب المبارك بسنة التجلي الف وخمساية وثلاثة وستون مسيحية[٢] وكان

١) يظهر ان ناسخ هذا الكتاب المسمّى الياس ، كان ناسكاً في احد مناسك لبنان .

٢) ان ناسخ هذا الكتاب لم ينتهِ من نسخه في سنة واحدة على ما يظهر . انتهى من نسخ انجيل متى سنة ١٥٦٣ ومن سائره سنة ١٥٦٦ ، فاستمرّ على كتابته ثلاث سنوات . من هو متى ابن مركوا القلاعي؟ بالطبع إنه من سلالة جبرائيل القلاعي مطران قبرس الشهير .

المتني متّى ابن مركوا ܡܪܩܘܣ الفلاعي سدقا منه وعن والديه ».

وجاء في آخر انجيل مرقس صفحة ٣٨٨ :

« تمّ بشارة مرقس الانجيلي تلميذ بطروس المخاطب النادي بالروميه في مدينة روميه».

وفي آخر انجيل لوقا صفحة ٦٤٦ :

« تمّ بشارة لوقا الانجيلي المتكلم يونانيّاً في الكسـاندريا ».

ثمّ بخط عربي ردي. :

« يا رب اغفر العبدك المسكين الذي كتب امين امين ».

وفي آخر انجيل يوحنا صفحة ٨٤١ :

« كملت بشارة يوحنا السـليح الناطق في اليوناني في مدينة افسس صلاواته معنا امين».

وفي الصفحة ٨٤٢ كتب الناسخ هذه الكلمة باللغة السريانية وهذا نصّها بحرفها :

ܫܠܡ ܒܫܘܒܚܐ ܐܘܢܓܠܝܘܢ ܩܕܝܫܐ ܘܕܡܬܝܘܣ
ܘܡܪܩܘܣ ܘܠܘܩܘܣ ܐܪܒܥܐ ܐܘܢܓܠܣܛܐ ܩܕܝܫܐ ܟܬܒܗ
ܡܪܩܘܣ ܒܫܡܐ ܗܘܝܘ ܕܒܠܘܢ ܗܘܐ ܠܗܘܢ ܠܟ
ܒܗ̈ ܡܢ ܟܠ ܒܟܬܒܬܐ ܐܚܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚ ܩܘܕ ܠܒܬܒܬܐ
ܚܛܝܐ ܚܘܒ ܚܠܦ ܒܥܠܠ ܕܐܢ̈ܫܝ ܐܝܟ ܘܚܘܒܘ ܠܗ ܐܘܒ
ܒܪܘܢ ܚܠܦ ܢܗܘܐ ܝܗܒ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܘܫܘܒ ܠܗ ܗܘܒܘܢ
ܚܘ̈ܒܐ ܒܣܘܓܐ ܪܒܐ ܕܠܐܠܡ
ܗ̈ܘ ܠܐܒܐ ܕܐܝܠܐ ܘܫܒܚܐ ܒܒܪܐ ܕܝܪܬ ܘܐܘܬܐ ܒܪܘܚܐ
ܕܩܘܕܫܐ ܕܝܠܗ. ܗܫܐ ܘܒܟܠܙܒܢ ܠܥܠܡ ܥܠܡܝܢ ܐܡܝܢ
ܐܬܟܬܒ ܗܢܐ ܗܘ ܕܐܘܢܓܠܝܘܢ ܩܕܝܫܐ ܒܝܕ ܟܠܗ
ܘܢܩܦܫܬܐ ܗ̈ܘ ܡܣܟܢܐ ܒܥܒܕܐ ܐܠܗܝ ܡܟܪܒ ܒܝܕ
ܒܝܬ ܢܘܩܦܢ ܒܗ ܒܣܘܓܐ ܕܚܛܗ̈ ܒܫܒܝܐ ܕܐܠܗܐ ܚܛܝܢ
ܟܠ ܐܝܟ ܐܝܟ ܡܣܟܢܐ ܘܚܛܝܐ ܘܕܠܐ ܟܠ ܡܣܟܢܐ ܘܒܨܝܪܐ
ܗܠܐ ܘܗܫܐ ܐܚܪܐ ܒܒܥܐ ܘܥܕܘܪܐ ܘܐܒܐ ܕܡܫܒܚܬܐ ܘܚܠܐ
ܕܐܘܪܚܬܐ ܘܗܕܐ ܕܚܝܐ ܕܒܪ ܡܢ ܒܡܫܝܚܬܐ ܘܡܢ ܚܒܪܐ

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ترجمتها بالعربية

كملت كتابة الانجيل المقدس الذي تكلّم وبشّر وكرز بهِ الانجيليون الاربعة النبلاء : متى مرقس لوقا يوحنا ، صلاتهم تكون معنا .

ܫ

المجد من الكل للثالوث آب وابن وروح قدس . ايها الثالوث اغفر ذنوبي من اجل العمل الذي تعبت بهِ يداي ، وامحُ خطاياي لاجل النور الذي ذهب من عينيَّ وامنحني ترك ذنوبي يوم مجيئك العظيم .

ܫ

المجد للآب المقوي ، والسجود للابن الذي ارسلهُ ، والشكر للروح القدس الذي أيّدهُ الآن وكل اوانٍ . . .

ܫ

تمَّ كتاب الانجيل المقدس هذا في سنة الف وخمسمئة وخمس وستين مسيحية بشهر ايلول المبارك في ١٦ يوماً منهُ ، في يوم السبت الساعة الثالثة ، على يدي الانسان الحقير الخاطئ والملوء من العيوب والقروح ، المكروه المنتن ايليا الكلب والنجس وزبل القلل (جمع قلّة) وغبار الطرق وفساد الريح اكثر من الحائط ومن جيفة الحمار المرميَّة بحرارة القيظ بعد اربعة ايام[1] . غير اني ارجو هذا (العذر) من كل اخٍ وابٍ روحاني يصادف هذا الكتاب ، وان وجد

---

١) قد اعتاد النسَّاخ من الموارنة ، في العصور القديمة ، ان يثبتوا اسمهم في آخر الكتاب الذي نسخوهُ بخطّهم مرفوقاً بنعوت الاذلال والتحقير دلالةً على التواضع واحتقار الذات ، كما فعل الياس ناسخ هذا الكتاب .

فيهِ اهمالًا اعني غلطاً ونقصاً يصلحهِ بحسب معرفته وفهمهِ . ولا يطلق عليَّ اللعنات ، بل يصلّي بالمحبة ، وهو بحسب صلاتهِ يجازيه ربنا في الدارين امين وامين . ولله المجد وعلينا مراحمهُ لدهر الداهرين[1]

سحو

في خزانة كتبنا ايضاً انجيل آخر خطي بالعربية ، للرسل الاربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، مخروم من اولهِ ، طولهُ ٢٠ سنتيمترًا ، بعرض ١٤ سنتيمترًا ، وهو بالحبر الاسود وعناوينهُ بالحبر الاحمر ، في ٤٦٢ صفحة ، منسوخ بالحروف السريانية (الكرشونية) الملفوظة بالعربية على ورق عادي ، وقد علّق ناسخهُ نبذةً في آخرهِ لا تخلو من الفائدة وهي تحتوي اسمهُ ولقبهُ وتاريخ انتهائهِ من نسخ هذا الكتاب . واليكها بحرفها الواحد :

« كمل هذا الانجيل المبارك الذي هو تأليف ساداتنا الرسل اي بشارة متى وكرازة مرقوس ولوقا وبشارة يوحنا ، على يدِ احقر الناس وارذلهم قس طو المكنَّى انطانيوس ابن مبارك من رهبان دير مار يوحنا الملقّب حراش في بلد كسروان في جبل لبنان . وكان فراغهُ في خامس يوم من شهر آب المبارك سنة ١٦٨٤ مسيحية بايام اب الآبا ورئيس الروسا البابا مار انشنيوس المكرَّم وخليفته سيدنا البطريرك الانطاكي مار اسطفانوس (الدويهي) الجالس يومئذ بمجد المعوش[2] وساداتنا مطارينه المكرَّمين . الرب يديمهم على روسنا ويرحمنا في صلواتهم امين . واسال من كل ابًا او اخًا او معلّمًا ماهرًا اذا وجد كلمه نقص او غلطه او حرف يصلحه ولا يلوم حقارتي لاني ليس معلّم بل متعلّم وخصوصاً لاجل اختباط

---

[1] لدينا نسخة من كتاب الانجيل (القداس الالهي) المطبوع في رومة العظمى سنة ١٥٩٤ ، في عهد البابا اكليمنضوس الرابع ، والبطريرك الماروني سركيس الرزّي ، وفي آخره صلوات وتبريكات نقلها من اللسان الفرنجي الى اللسان السرياني ، القس موسى بن سعاده الشّبيني الماقوري الذي سيم اسقفًا ، وطلبات تُتلى قبل تناول القربان الاقدس وبعدهُ ، نقلها من اللسان اللاتيني الى اللسان السرياني جرجس من بيت عميرا الاهدني الذي انتُخب فيما بعد بطريركًا (راجع الجامع المفصّل للمطران يوسف الدبس ص ٢٩٦ و٣٥٣ ، ومقال الخوري بطرس غالب « نوابغ المدرسة المارونية الأولى » . المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٣٦١ و ٤٣٨ و ٤٩٧ و٥٨٦ و٧٠٨) .

[2] طالع ترجمة البطريرك الدويهي المطوّلة للعلّامة المثلث الرحمة المطران بطرس شبلي . وهي من انفس التراجم واصدقها روايةً لاستنادهِ الى مصادر ومساند تاريخية حقيقية . تقع في ٥٨ صفحة بقطع متوسط . مطبعة النهضة ، بيروت ، سنة ١٩١٣ .

الرمان وكثرة الامتحان . واذكروا يا اخوتي في صلواتكم لاخوتنا القس بطروس ابن المقوم والقس سليمان سرعب ابن توما الذي كتبوا معي اي كل بشارة يوحنا وجزو (وجزء) من كرازة لوقا . والانجيل المذكور باسم الخوري موسى خادم قرية الفخيته . واترحموا على كل من لهُ فيهِ تعب اي شوتفه من اهل قرية المذكورة . وكان ذلك في ايام الريسة مريم بنت الخوري حنا الشمالي الرب يخلصها من كل ضروره بشفاعه العذرى امين .

وعثرنا في مكتبة دير مخايل بنابيل (المتن) ، احد اديار رهبانيتنا اللبنانية المارونية على كتاب انجيل (الاناجيل الاربعة) مطبوع بالحرف العربي في رومة العظمى ، وقد سقطت الورقة الاولى منه ، مزيّن بالصور يقع في ٣٦٨ صفحة بطول ٣٠ سنتمترًا وبعرض ٢٠ سنتمترًا ، مجلد بجلد اسود منقوش تحتوي الصفحة منه ١٩ سطرًا والصفحة ضمن اطار (ذي حيزين) . طول السطر منهُ ١٢ سنتمترًا ونصف وهو مطبوع برومة ١٥٩١ .

فجاء في آخره هذه العبارة وهي :

« مطبوعة بمدينة روما بطُبعان غران دوقا في سنة الف وخمساية واحدى وتسعون مسيحية ١٥٩١ » . « Romae in typographia Medicea Anno 1591 » .

وان هذا الانجيل مرتّب فصولًا . واننا ننقل مثالًا منهُ ، الفصل السابع عشر من انجيل لوقا بحرفه الواحد :

« وبعد هذا خرج فنظر الى عشّار اسمه لاوي جالسًا على التسكيس فقال له اتبعني فترك كلّ شيء وتبعه • وصنع له لاوي في بيته وليمةعظيمة وكان جمع عظيم من العشارين وآخرون متكيين معهم فتنقمقم الفريسيون والكتبة على تلاميذه قايلين لماذا تأكلون وتشربون مع العشّارين والخطاة • اجاب يسوع وقال لهم ليس يحتاج الاصحاء الى الطبيب لكن المرضى لم ات لادعو الصدّيقين لكن الخطاة الى التوبة فقالوا ما بال تلاميذ يوحنا يكثرون الصوم والطلبة وكذلك اصحاب الفريسيين واما تلاميذك فيكلون ويشربون فقال لهم يسوع هل تقدر بنو العرس ان يصوموا ما دام العريس معهم ستاتي ايام اذا ارتفع العرس عنهم حينئذ يصومون في تلك الايام وكان يقول لهم مثلًا انهُ ليس احد ياخذ خرقة من ثوب جديد ويتركها في ثوب بال ليلا يقطع الجديد ولا يوافق البالي الخرقة الماخوذة من الجديد وليس احد يجعل خمرًا حديثة في زقاق قدم الّا تشق الخمر الجديدة الزقاق وتهراق وتهلك الزقاق ولكن تجعل خمر جديدة في زقاق جدد فيتحفظان جميعًا وما من احد يشرب قديمًا فيحب الجديد للوقت لان يقول ان القديم اطيب » .

ملحق

نبذة في تاريخ دير قزحيا ومطبعته [١]

عثرنا بين اوراقنا على نبذة خطيّة للطيّب الذكر الاب نعمة الله القدّوم الكفري (بلاد جبيل) المشهور بالعلم والفضيلة ، كتبها عن دير مار انطونيوس قزحيا ومطبعته سنة ١٨٩٩ ، ولما كانت لا تخلو من الفائدة رأينا ان نلحقها بهذا المقال ، وهي بنصّها الواحد :

اقول انا الاب نعمة الله الكفري : ان عمار دير قزحيا قد ازداد تدريجًا كما ازدادت ايضًا أرزاقه تدريجًا . اولًا انه في اواخر الجيل الثامن عشر أحضرت الرهبانية البلدية اللبنانية المارونية مطبعة من رومية مع اثّاباتها وأمّاياتها لاربعة اشكال من الاحرف السريانية الجميلة وذلك عن يد الاب ساروفيم الشوشاني البيروتي الذي توفي سنة ١٨١٤ . فهذا كان أرسل الى رومية لطبع « الشبيّة » بالحرف الكرشوني بنفقة الرهبانية المذكورة ، وتمّ طبعها سنة ١٧٨٢ تحت مناظرة الاب سمعان خضير معلم اللسان العبراني في المدرسة الرومانية بزمان البابا بيّوس السادس ورئاسة الاب عمانوئيل الرشماوي على الرهبانية . وبرجوع الاب ساروفيم من رومية أحضر معه المطبعة المذكورة فوُضعت اولًا في دير مار موسى الحبشي (بلاد المتن) وكان حينئذٍ رئيسًا عامًا على هذه الرهبانية الاب مرقس (الحدّاد) الكفاعي (عين كفاع احدى قرى بلاد جبيل) وطبع فيها بعض كتب . منها خدمة القداس سنة ١٧٨٩ ، ثمّ كتاب القداس الالهي ، ثم الرسائل ، ثمّ الشحيمة الكاملة وكلها بالحبر الأسود دون الأحمر . وانا رأيت منها (من مطبوعاتها) من أمدٍ طويل خدمة وشحيمة بالحرف الرفيع . ثمّ نُقلت هذه المطبعة الى دير قزحيا نحو سنة ١٨١٥ ، وكان ذلك بزمان رئاسة الاب اغناطيوس بليبل العامة على الرهبانية ، فبُني لها شرقي الدير محلّ منفصل عنه قليلًا وهو عبارة عن قبو عقد كافٍ لادارتها ولوازمها ، وفوقهُ محلّ للمطبوعات وتجليدها ، وذلك برئاسة الاب ارسانيوس النيحاوي على الدير من سنة ١٨٢٠

١) للاب نعمة الله الكفري

الى سنة ١٨٢٣ . وكان البنّاء الاب عبد الله متى الاهمجي الشهير وتشذ بمتانة البناء ، وبزمان رئاسة الاب النيحاوي المذكور أُقيم المشى الشرقي قبلةً وهو يلقّب باسمه لحد الآن (ممشى النيحاوي) وان كان اتمام بنائه بزمان خليفته الاب مرقس الشنتيري . وكان البناء الاخ يوسف المعادي .

وكان دولاب هذه المطبعة خشباً وكانت حروفها تتحبر بطبشات من جلد ثمّ بدل دولابها بدولاب حديد صغير . ومن التقليد انهُ طبع بها المزامير بالحرف الكرشوني وقد رآه وقرأ به الاب جبرائيل السبعلي . وعن لسان المرحوم الاب يوسف الحصروني الذي توفي سنة ١٨٩٦ بعمر نحو ثمانين سنة انه رأى هذا المزامير[1] . ثمّ تغيّرت هذه المطبعة بالمطبعة الحالية التي اشتراها المرحوم الاب دانيال العَلَم الحدثي المعروف « بقديس قرطبا » برئاسته على الدير سنة ١٨٧١ ، من المرحوم رومانوس يمين الاهدني . وليس من ذكر للمطبعة في دير قزحيا قبل التاريخ المقدم ذكره .

وأمّا الكتب التي طُبعت في هذه المطبعة في دير قزحيا المذكور لحد الآن اي سنة ١٨٩٩[2] ، فقد تقدّمت لائحة بها الى مجلة المشرق[3]

ﻫ

وفي سنة ١٨٤٢ بنى الاخ عبدالله الجأز ، الذي تعلم صنعة البناء عند الاب عبدالله الاهمجي المقدم ذكره، جسر طاحون نهر ابي علي خاصة دير قزحيا. وكان عمار هذا الجسر بزمن رئاسة الاب اغناطيوس (سركيس) البيروتي على هذا الدير .

---

١) ان دير قزحيا شهد بين جدرانه ثلاث طابع : المطبعة الاولى المطبوع فيها كتاب المزامير بالحرف السرياني الكرشوني سنة ١٦١٠ ولا يعرف شيء عن امرها وقد تكلم عن طبعة المزامير هذه باسهاب الاب لويس شيخو في مقاله « تاريخ فن الطباعة في المشرق » (المشرق ٣ (١٩٠٠) : ٣٥٣ - ٣٥٧)، والمطبعة الثانية هي التي اتى بها من رومة الاب ساروفيم حوقا الذي لقبه الفرنج بالشوشاني . والمطبعة الثالثة ، الحالية ، هي التي ابتاعها الاب دانيال من رومانوس يمين من اهدن . وكتاب المزامير لم يطبع إلّا بطبعة دير قزحيا الاولى .

٢) هي السنة التي كتب فيها الاب الكفري هذه النبذة التاريخية عن دير قزحيا ومطبعته.

٣) راجعها في مقال « تاريخ فن الطباعة » في المحل المذكور.

وفي سنة ١٨٥١ بنى الاخ عبدالله المذكور جسر نهر رشمين في ملك دير قزحيا بزمن رئاسة الاب اندراوس القرطباوي على هذا الدير ، وكان رئيساً عاماً على الرهبانية الاب لورنسيوس (يمين) الشبابي .

وفي سنة ١٨٥٦ توفي الاب انطونيوس الصغابي الحبيس في محبسة مار بولا (في محلة غبتا) المتقدم ذكرها . وكان ذا سيرة فاضلة جداً ومن جملة فضائله واخصها فضيلة الاماتة ، فان طعامه وهو في سنّ الشيخوخة لم يكن غالباً سوى الخبز المغموس بالزيت . والذين استحبسوا في هذه المحبسة كثيرون ، فكانوا يلبسون المسح الشعري ولا يأكلون العنب ، وكان طعامهم مرّة واحدة الساعة التاسعة من النهار . ومن عداد الذين كانوا قبله في هذه المحبسة الاب اليشاع المعادي ، فمن جملة فضائله الصلاة والتأمل مصلوب اليدين ، ينفرد احياناً عند مباشرتهما في مغارة صغيرة فوق المحبسة وعندما تخدر يداه يربطهما بمرسة (حبل) معلقة في سقف المغارة . وشهد بذلك رهبان كانوا يرقبونه ، وقد دلّني بعضهم على تلك المغارة حين كنت مقيماً في هذا الدير وذلك في سنة ١٨٥٤[1] .

وفي سنة ١٨٥٥ ، أقيم رئيساً على دير قزحيا الاب اغناطيوس شكري الديراني وشرع بعمار الدير لجهة الغرب قبالة حذاء عمار الرئيس السابق الاب ارسانيوس الذي مرّ ذكره ، فأقام أقبية طويلة مرتفعة وعلى ظهرها صالونات وقلالي وممشى لجهة النهر بقناطر مرتفعة بعد هدمه العمار القديم الحقير الذي كان محاشراً باب الكنيسة وهو المشى المعروف حتى الآن «ممشى شكري». وكانت نهاية هذا العمار سنة ١٨٥٧ ، وبلغ كلفه مع تبليطه ومنجوره مائة وستين الف غرش . وكان رئيساً عامّاً على الرهبانية الاب عمانوئيل (سلامه) المتيني .

وفي سنة ١٨٦٤ أقيم الاب بطرس بجدرفل[2] رئيساً على هذا الدير . قد

---

١) توفي الاب اليشاع المعادي احد حبساء محبسة دير قزحيا وله من العمر سبعون سنة في ٩ تموز سنة ١٨١٩ ، برئاسة الاب برنردوس الغزيري على دير قزحيا ، وقد مكث في هذه المحبسة ثلاثين سنة . طالع تاريخ محبسة دير قزحيا ومن سكنها من الرهبان الحبساء ، كتاب « كشف الخفاء عن محابس لبنان والحبساء » للاب ليباوس داغر التنوري ، ص ٥٠ — ٦٣ ، بيروت مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٣ ، ١٦٠ صفحة .

٢) اليك ما جاء عن وفاته في روزنامة دير مار قبريانوس كفيفان بحرفه الواحد :

تلقّى بعض العلوم بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير . فبهذا شرع بتكبير الكنيسة وتوسيعها طولاً وعرضاً نقراً في الصخر ، وكانت مغارة ذات جدار واحد لجهة القبلة فهدم هذا الجدار وأقامهُ جديداً بالحجر السمّاقي المنحوت والمجلو الذي جلبه من مقلع واقع بين اهدن وعربة قزحيا . أمّا الابواب والشبابيك فقد استحضر حجارة نحيتها من جبل حصرون ، فأصبحت بذلك كنيسة كبيرة بديعة ، وان ثلثي سقفها من اصل المغارة والثلث الآخر منها فهو معقود بالحجارة تحت جزء المغارة المرتفع عن باقيها . ثم عمل لها منجوراً فاخراً وبلّطها ببلاط الرخام بيد حجّارين حلبيين وعقد لها اربعة مذابح لجهة الشير (الصخر) المنقور ، ومذبحاً على اسم السيدة العذراء في الحائط المذكور . ثم جلب لها غفّارة وجملة بدلات للقدّاس ، وكان أوصى لها بمذبح وعواميد من رخام ودفع من ثمنها ثلاثة الاف غرش ولكنه لم يُشيّد إلّا بعد نهاية رئاسته وذلك بزمان رئاسة خلفه الاب روفائيل عوّاد الحصروني الذي استحضر لها جملة صور كبيرة وصغيرة . وقد بلغ ثمن تجديد عمار هذه الكنيسة مع لوازمها ١٢٩٦٩٦ ، مائة وتسعة وعشرين الفاً وستمائة وستة وتسعين قرشاً ، وكان حينئذٍ رئيساً عاماً على الرهبانية الاب افرام جعجع البشراوي .

واما محلّ الزوّار (المعروف بحبسة الزوّار) فقد جدّده الاب مارون الصغابي برئاسته على هذا الدير بين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٩٠ ، وعمّر فيه عماراً جديداً مؤلفاً من صالون للاستقبال واربع قلالي في وسطها ممشى وايوان للغرب مشيّدان على سطح قبو من عقد . وقد جهزها بعده بكل لوازمها الاب بطرس التولوي[1] (تولا ، الجبة) برئاسته على هذا الدير . وهذا الاب تلقى علومه

« قد انتقل الى رحمة الله الاب بطرس بجدرفل وهو مسلح بكامل الاسرار المقدسة . والمرحوم كان من عواميد الرهبنة وله اتعاب وافرة في قيام حوانيت الرهبنة . وكان انتقاله في ٨ حزيران سنة ١٨٦٩ ، نهار الثلاثا الواقع في ٨ الشهر المذكور » .

١) ان الاب بطرس التولوي كان احد اعضاء الدائرة العلمية المارونية التي كان يرئسها المطران يوسف الدبس ، وقد نقل من الفرنسية الى العربية هو والخوري بولس الزغبي – عضو الدائرة العلمية المارونية – الجزء الاول من « رسوم مواعظ دينية للخوري كارلوس مرتينوس الفرنسي مؤلف مكتبة الواعظين » وطبعاه تحت عنوان : « كتاب عنوان البيان وبستان الاذهان » بالمطبعة العمومية الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٨٤ ، في ٣٥٦ صفحة ،

بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير .

وأما املاك هذا الدير فهي وفيرة جدًّا في الساحل والجرد والقليل منها ولاسيما في زاوية طرابلس هو وقف من المحسنين من مشايخ آل الضاهر وغيرهم، والباقي هو مشترى وتجديد وشغل وكدّ الرهبان وبالاخص بمدَّة رئاسة الاب اغناطيوس بليبل العامة على الرهبانيَّة التي استمرَّ فيها سبعة مجامع متواصلة ، بعد نيابته نحو سنتين بعد وفاة الرئيس العام الاب عمانوئيل الجميّل ، وذلك من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨٢٣ وقد نمت الرهبانيَّة وازدهرت بزمن رئاسة الاب بليبل العامة روحيًّا وزمنيًّا ، من تشديد في حفظ القوانين والرسوم الرهبانيَّة وتشييد اديار وتجديد أملاك . ومن الادلَّة على سهره وحسن ادارته وضعهُ الاخ مارون البعداني[1] وكيلًا على املاك الرئاسة العامَّة في الزاوية واملاك دير قزحيا هناك .

وكان هذا الاخ صاحب تقوى وفطنة وغيرة كبيرة على نجاح الرهبانية ، فكسر الاراضي التي كان اكثرها حرشًا واشجارًا ، في رشعين وجوارها وغرس فيها كثيرًا من التوت والزيتون بعضها لوظيفة الرئاسة العـامَّة وبعضها للدير المذكور الذي صار لهُ مداخيل وافرة منها ومن الطواحين التي عمَّرها على نهر رشعين فضلًا عن مداخيل املاكه في الجرود وعن الاحسان من الزائرين الكثيرين لهذا الدير لاجل العجائب الكثيرة الحادثة به بشفاعة القديس انطونيوس صاحب المقام، من شفاء مرض وطرد الشياطين من المجانين وغير ذلك من فوائد يجنونها من زيارتهم ، وكل ذلك مشهور . ولاجل نجاح هذا الدير وعمرانه كثر عدد الرهبان الساكنين فيه فبلغ احيانًا كثرة الى المئة راهبًا .

٥

وفي سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٧٦ ، شقَّت (فصلت) الرهبانية عن هذا الدير ثلاثة اديار في سواحل الزاوية تخفيفًا للرهبان عنهُ وتسهيلًا لشغل الاملاك

وعثرنا للاب التولوي في مدرسة بان على مسودة الجزء الثاني من هذا الكتاب ، من ترجمته وخطه ولكنها مخرومة في الاول والآخر . وهو الذي انتُدب للسفر الى نابولي فأتى منها بجثمان الطيّب الذكر يوسف بك كرم البطل اللبناني ، الى لبنان .

[1] هو من عائلة مدلج الشرباتي من بعبدات . طالع « تاريخ بعبدات وأُسرها » للخوري نعمة الله الملكي ص ٢٠٧ . مطابع وزونكغراف نصار ، بيروت ، في ٣٠٢ صفحة .

التي لهُ هناك واتقانها . وقد فرزت الرهبانية لكلٍّ من هذه الاديار قسماً من املاكه تكفي لمعاش رهبانه . وهذه الاديار هي اولا دير الجديدة ، شرقي قرية كفرزينا وهو على اسم القديس انطونيوس اب الرهبان. وثانياً دير عشاش، شمالي الزاوية فوق مدينة طرابلس وهو على اسم القديس جرجس. وهذان الديران تشيّدا بزمن رئاسة الاب عمانوئيل الشبابي العامة على الرهبانيَّة ، وذلك سنة ١٨٤٩ ، وثالثاً دير بصرما وهو اسم سيّدة النجاة في كورة طرابلس تشيَّد سنة ١٨٧٦ وكان رئيساً عامًّا على الرهبانيَّة الاب مرتينوس (سابا) القوسطاوي . وقد بُنيَ هذا الدير بكامله بسعي واهتمام المرحوم الاب دانيال (العَلَم) الحدثي (حدث الجبَّة) المدبّر يومئذٍ، وكان ذا سيرة فاضلة، وقد توفي بدير مار سركيس قرطبا ودُفن فيه ، وانهُ يصنع كرامات عديدة تدلُّ على قداسته ، ويزورهُ المرضى والمحتاجون ويستفيدون من زيارته . هذا ما فُصل من املاك دير قزحيا في الساحل .

وفي سنة ١٨٥٥ استُحضرت المطبعة بالعربيَّة لدير سيّدة طاميش (بلاد كسروان) ودفع دير قزحيا من اصل ثمنها خمسين الف غرش .

وأمَّا ما فُصل من املاك دير قزحيا في الجرود وأُعطي لبعض اديار الرهبانيَّة فهو قليل بالنسبة الى ما فُصل من املاكه في السواحل . لمَّا اخذت الرهبانيَّة من المرحوم المطران بولس رزق مطران ابرشية طرابلس، دير راهبات مار سمعان العامودي القرن القائم فوق عربة قزحيا غربي قرية قيطو ، وفيهِ ست راهبات عابدات ، كان فقيرًا مديوناً بثمانية عشر الف قرش وفاها الاب افرام جعجع البشرّاوي الرئيس العام حينئذٍ اي في سنة ١٨٦٤ واشترى لهُ جملة ارزاق من دخل وظيفته وخصص به جملة ارزاق ايضاً من دير قزحيا وعمّرهُ ديرًا كبيرًا. ومن أمدٍ بعيد فُصل قسم من املاك دير قزحيا في قرية بان من توت وغيره وأُعطي لمدرسة بان خاصة الرهبانيَّة . ومع هذا كلّه لا يقلّ عدد سكَّان هذا الدير عن الستين او السبعين راهباً. وقاه الله من صروف الدهر وظروفه وأبقاهُ فخرًا وملاذًا للرهبانيَّة وللطائفة بدعا. صاحب مقامه آمين .

تنبيه

ان الاب الكفري يتكلم في هذه النبذة التاريخية عن بناء دير قزحيا القديم بعد ان تسلّمته الرهبانيّة ، ولكنهُ يتبسَّط في الكلام عنهُ في نبذةٍ أخرى لهُ ، سوف ننشرها ، قبل ان ابتاعته الرهبانيّة من المطران جرجس حبقوق ، وان البناء القديم الذي يتحدَّث عنهُ الاب الكفري في نبذتهِ التاريخية هذه، قد هُدم باذن قدس الآباتي المفضال اغناطيوس داغر التنّوري رئيس الرهبانيّة اللبنانيّة العام سابقاً وجُدّد بناؤهُ على اسلوبٍ حديث جديد متين بحسب الهندسة التي وضعها لهُ الشيخ جميل الخازن ، في خلال رئاسة حضرة الاب ميخائيل نعمه السرعلي على هذا الدير . ولم يبقَ من البناء القديم سوى الكنيسة وبناء المطبعة وقسم من ممشى شكوري (انظر رسم البناء القديم) . ولمَّا تمَّ بناؤهُ الجديد كلّفتُ المرحوم الشاعر الناثر الخوري الياس الحائك (بجّة ، بلاد جبيل) مدير الدروس العربيَّة وتنّنذر في مدرسة عينطورا الشهيرة ، ان ينظم لهُ تاريخاً، فنظم ستَّة ابيات من الشعر لا اذكر منها سوى اربعة وهي :

تجدَّد ديرٌ كلُّ ما فيهِ ناطقٌ ... بأوصافهِ الحسنى وتسبحة العلي
وحلّت عليهِ للرئاسة نعمةٌ ... بأيام ميخائيلَ من أرض سرعلِ
فكم زائرٍ ايمانهُ الحيُّ قادهُ ... الى دير قزحيا بقلبٍ مؤمّلِ
فنال الذي يرجو وقال مؤرِّخاً ... هنا معجزات الله للخلق تنجلي

١٩٢٦

الأميرة هيفاء والامير فخر الدين الكبير

رواية لبنانية تاريخية ادبية (تابع)

بقلم

الاب مبارك ثابت اللبناني

رئيس دير المخلّص في البرامية

٧

نشأة الامير فخر الدين الثاني الكبير وتوليه حكم الشوف

وُلد الامير فخر الدين الثاني في بعقلين في قصر ابيه قرقماس ونسب شقيقة الامير سيف الدين التنوخي من عبيه . نظم تاريخ ولادته بعض الشعراء مخاطباً الامير والده بقوله :

يا أميرَ الجودِ هنئتَ بمَن آنس الكون وحيَّا الأملا
قد غدا الدينُ بهِ مفتخرًا أرّخوهُ « فخر دينه هلّلا »

سنة ٩٨٠ هـ سنة ١٥٧٢ م

ونشأ في بيت ابيه الى سن الثانية عشرة فلما توفي ابوه على ما مرَّ وخافت امهُ عليه وعلى اخيه ان يبطش بهما ابراهيم باشا فزع بهما الحاج كيوان نعمه ضو الماروني من دير القمر الى الشيخ ابي صقر ابراهيم الخازن ابن الشدياق سركيس الخازن من الحزب القيسي ولبثا تحت جناح عنايتهِ الى ان اقشعت سماء الراحة فاستقدمهما خالهما الامير سيف الدين التنوخي عام ١٥٩٠ ، وكان عمر الامير فخر الدين ١٨ سنة. فغمره خاله بعنايته واستونى تدريبه في الحكم واستعاد اليه ولاية الشوف بسياسته البارعة وآرائه السديدة وأزوجه بنت الامير

جمال الدين الارسلاني اليمني ليستميل اليه اليمنيين وحلفاءهم اعواناً على السيفيين. فولدت له ابنهُ علياً عام ١٥٩٨ . وطمع فخر الدين في استرداد الولاية على سنجق صيدا والبقاعين وما اليها ليبسط سلطانه الى ما وراء مقاطعة طرابلس حصداً لشوكة السيفيين إذ كان قد شبَّ على مقتهم لسعاية عميدهم يوسف باشا بالامير قرقماس ابيه ، وسعايته بعد ذلك عام ١٥٩٠ بقتل الامير محمد العسَّافي خليف المعنيين وبعض اعوانه الذي انقرضت بموته سلالتهُ وتعاظمت صولة السيفيين .

وكان مراد باشا الحاجب القبوجي ثاثباً في دمشق فحمل اليه فخر الدين هدايا نفيسة ونزل عليه مع خاله مستعطفاً فاستمال اليه الدولة وأعاد اليه سنجقيّة صيدا ومكّنهُ من ولايتهِ . ولم يعد الامير ينقطع عن زيارته في دمشق . وشدَّ الامير سيف الدين أزر ابن اخته بالمال والرجال اذ رأى امارة التنوخيين القيسيين قد نال منها الضعف ومالت شمسها الى الزوال وليس أجدر بتوليها بعدهم من فخر الدين لما بدا لهُ من عظم دهائهِ السياسيّ .

وكان الامير المعني مترعرعاً على حبّ المسيحيين لاخلاصهم له ولاسلافه المعنيين ولاقامته بينهم بضعة اعوام في قلب كسروان الى ما تحقَّقه من مروءة الحاج كيوان بانقاذه اياهُ واخاهُ يونس من مخالب المنون . وما لقيهُ في بيت الخازني من محبة والديَّة وجودٍ حاتميّ وحسن تربية وصيانة واهتمام . فاتخذ الحاج كيوان مدبّراً لهُ وايضاً اسند منصب المدبّرية الى الشيخ ابي صقر ابراهيم الخازني اثابة لهُ على معروفه وتقريباً للمسيحيين ونصب اخاه رباحاً الخازني دهقاناً لهُ وأمّره على جيش المشاة بعد ان كتب الى كل منهما « الاخ العزيز » فاصبحا شيخين سنة ١٥٩٨ . وكان من همه الاستعلاء على السيفيين فاستمال اليه الارسلانيين الدروز بالمصاهرة على ما تقدم . ثمَّ حالف الامراء الشهابيين حكَّام وادي التيم ،والحرفوشيين الشيعيين حكّام بعلبك والجنبلاطيين الدروز حكَّام كلس وضواحي حلب ، وأمراء العرب في جبات حوران وفلسطين كما استمال المسيحيين في لبنان وما اليه . وقد اكسبته تربيته بين لموارنة من المحبة للوطن اللبناني ما حبَّب اليه التضحية بكل شيء في سبيل ستقلاله وقطع كل يد تمتد اليه .

ولما كانت قوة الحاكم بالمال والجيش نظّم الامير مالية الحكومة ورتّب الفرَق وكانت تسمّى (الوجاقات) فجمع اليه السكبان وحصّن كثيرًا من القلاع وبنى حصونًا جديدة وأبلغ عدد جنوده من السكبان والدروز الى مئة الف جندي اتخذ لهم الجرايات وصرّفهم في أموره.

ولما استوثق من قوّته وحلفائه عقد القلب على محاربة يوسف باشا سيفا، فدارت رحى القتال بينهما عند نهر الكلب، وكان في جنود السيفي الحُبيشيون والمعلوفيون وكثيرٌ من اليمنيين، فشدَّ عليهم المعنيون حتى انخلعت قلوبهم هولًا، وكرَّ نبعةُ الطبشاريُّ البعلبكيُّ على الامير علي سيفا شقيق الباشا يوسف فصرعهُ وتمزّق العسكر الطرابلسي وولّوا الادبار لا يلوون على شيء. وتولّى المعني كسروان وقلّد نصراءَهُ الخازنيّين حكمها واحتلَّ مدينة بيروت. وبعد سنة رُدَّ البلدان الى ابن سيفا بتوسط الامير محمد الارسلاني ابن حمي الامير فخر الدين.

ولمّا كانت سنة ١٦٠٠ توفي الشيخ ابراهيم مدبّرُ الامير وخلفهُ في منصب المدبرية ابنهُ ابو نادر الخازن. وعالج يوسف باشا سيفا ارهاب انصار الامير حؤولًا دون تقدمه الى الشمال، فأرسل الشيخين قانصوه ويوسف حماده فقتلا مقدّمي جاج الاربعة الموارنة. فحَرِج صدر الامير وقام يوسع نطاق حكمه الى الشمال والجنوب. وكان قد تولى حكم البقاع عام ١٥٩٤[1] فاستولى سنة ١٦١٣ على بلاد صفد وما اليها. وسنة ١٦٠٥ على كسروان وأسند ولايتها الى الشيخ ابي نادر الخازن. وكان ان رجال الدولة قتلوا حسين باشا جنبلاط. فثار عليا ابن اخيه علي باشا جنبلاط. وكان التجار الافرنج التوسكانيون يأتونه بالاسلحة فيسهّل عليهم سبل التجارة. ممّا اضرَّ بمنافسيهم البنادقة حلفاء

١) كانت امارة البقاع للامير منصور بن الفريخ البدوي، حالف يوسف باشا سيفا ووشى بالامير قرقماز المعني والد فخر الدين، انه أرسل رجاله لنهب الخزينة في جون عكار فسعى به فخر الدين لدى وزير دمشق فقتله في القلعة سنة ١٥٩٣ وصار حكم البقاع الى المعني. واغراه بالمعني احمد باشا الحافظ وابن سيفا، فتلافى الامير المعني الخطب وأوفد الى الوزير الحاج كيوان ليبرّئ ساحته عند الوزير ويسلّ سخيمته فادرك الوطر واقنع الوزير بانَّ الامير انما حالف الجنبلاطي على ابن سيفا لا على الدولة ولو عرف انها واجدةٌ عليه لقاطعه.

الدولة . ثمَّ عالن بالخروج على الولاة وكان المعني موافقاً لهُ ، فاتسع لاعدائه مجال الوشاية بهِ واحفظوا الدولة عليـه . فأرسل السلطان احمد مراد باشا الحاجب القبوجي برتبة سردار الى بلاد الشرق بثلاثمئة الف جندي وعمره اذ ذاك ٨٠ سنة ، وأمدَّه احمد باشا الحافظ ويوسف باشا سيفا بمالٍ ورجالٍ فنكَّل بعليّ جنبلاط واسرته وسكبانه وأقرَّ الامن في البلاد .

ثمَّ أوفد الامير اليه ابنه علياً بهدايا غالية فاكرم وفادتـه وأعظم ذكاءهُ وجرأته على حداثة سنه اذ لم يكن تجاوز التاسعة ، وامسكهُ عندهُ ستة اشهر حتى أدَّى ابوهُ ستمئة كيس دفعتين . فاطلقه مسنداً اليه لواء بيروت وصيدا وغزير وأعفى بلاد الشوف من الضرائب . فانبسطت سلطة المعني على البلاد من الناصرة الى بيروت ومن بعلبك الى صفـد . ووجَّه نظرهُ الى الشؤون الاقتصادية والعمرانية فرقّى التجارة والصناعة وسهَّل للتجَّار الافرنج المرور في ثغور لبنان في ولايته .

وبعد ذلك أوفد الى الاستانة أبا شاهين محمداً التلحوقيَّ ليلتمس من الباب العالي اسناد لواء اربد وعجلون الى ولده الامير حُسين ففاز ببغيته . أسنـد اللواء الى الامير فخرالدين نيابة عن ابنه القاصر فامتدَّت الامارة ايضاً من صفد الى حوران[1] وتألَّق مجد الامير في عهد صديقـه مراد باشا وضُربت سرادق العز على ولايتهِ وشمل اهلها الهناء والنجح والرخاء واستتب في ربوعهم الامن والعمران . غير ان الحكَّام المجاورين كانوا ينظرون الى سؤدده وتقدمه بعين الحسد والحذر .

---

١) كانت الدولة اذا اسندت ولاية الى رجل وأبى صاحبها التخلي له عنها يحاربه الوالي الجديد وتنصره الدولة عليه او تسكت حتى يخرجه منها قسراً ويستولي على بلاده عنوة . لذلك كان استيلاء الامير على الولايات فتحاً مجيداً يشهد بحنكته السياسية ومقدرته الحربية . اليك نبذة مما كتبه عن الامير الموسيو بيجه دي سان بيّر في تأليفه « تاريخ الدروز » المطبوع بالفرنسية عام ١٧٦٣ قال : كان الامير داهية في السياسة ، استولى على بعض المدن الساحلية كبيروت وصيدا واتخذ بيروت عاصمة لحكمه ، فجدد بناءها . وبنى فيها قصوره البديعة وحدائقه الغناء ومتنزهاته الفسيحة وحصونه المنيعة ، وسهل سبل التجارة للفريقين لا سيما البنادقة ، وعزز الصناعة والزراعة ورقى اسباب العمران ، وعدل في حكمه الطويل العهد . لكنه كثَّر الضرائب على حسب غنى المتمولين، فحسده رجال الحكومة المجاورون

٨

انقاذ هيفاء من اسر اسماعيل

من الحكّام الذين استغاث بهم يوسف باشا سيفا للاستقصاء عن فتاته المفقودة الامير فخر الدين ، وكان اذ ذاك قد اتسع نطاق حكمه وامتدّ رواق عزّه وسار في الخافقين ذكره . وتألّب اللبنانيون حول لوائه المظفّر على اختلاف النِحل الدينية والاسماء الطائفية . فاختار منهم كل رجل بأسٍ وكلّ قسورٍ وثّاب ، وزحف بهم الى الجهات الجنوبية من لبنان فاستولى على ما هنالك من بلدان الى تخوم عكّا. فصفد فالناصرة فالحولة وما يليها الى الجنوب

لمملكته الصغيرة ، وسعوا به لدى الدولة فسافر الى اوربة عام ١٦١٣م . ١٠٢٢هـ ، ثم عاد الى الدامور عام ١٦١٥ ، ثم عاد اخيرًا الى بلاده سنة ١٦١٧ . وكان يستثمر من اعماله نحو مليوني ريال (الريال زهاء ثلاثة فرنكات) يحمل منها الى السلطان ستين الفًا وينفق الباقي على جنوده وكان عددهم يتراوح بين الخمسين الفًا والخمسة والعشرين الفًا . وكان يتخذ سجلّين يدوّن في احدهما اسماء سكان ولايته مع ذكر اعمارهم واوصافهم ومعارفهم . وفي السجل الآخر احصاء الاشجار المثمرة وكروم العنب وشجر الزيتون ونحوها ويتقاضى عن كل شجرة رسمًا يسمى Medin مدين.

وكان يحصي الابقار والثيران والمعز والاغنام ويأخذ رسمًا عنها ، واحيانًا يتفرّغ من اعماله السياسية لمراجعة هذه القيود وضبط حسابها والتدقيق في دخل حكومته . وكان مولعًا بدرس علم الكلام والكيمياء ، وله مصوّر افرنسي رسم له ١٥٠٠ نوعًا من النبات .

ومن اوصافه انه حسن الفراسة يطلع على الحيل والخيانات فيستظهر على اعدائه ومناوئيه ويقوم بمهام حكومته بنفسه . ويترك الحكم في شؤون المسيحيين لرؤسائهم الدينيين ، ويستطلع جميع حوادث ولايته لا يخفى عنه شيء منها . ويحكم في شؤون الجنود والشرطة بنفسه . وبعد عوده من توسكانا حصلت مواقع كثيرة بينه وبين الحكّام ولاسيما حاكم دمشق احمد باشا الحافظ فتغلب بحسن درايته . وفي سنة ١٦٣١ كانت بلاده اعمر بلدان الشرق وشعبه مستوفيًا اسباب الرخاء والسلام في مملكته الفسيحة . وارسل اليه دوق توسكانا عددًا كبيرًا من المهندسين والحفّارين والخبّازين والمدفعيّين والمدافع والادوات لتحصين القلاع وتموين العساكر وتهيئة معدات الدفاع . وهيأ له ستة الاف رجل من الجيش التوسكاني كان وعده بارسالها في غاية حروب فرنسا واسبانيا الدينية والسياسية من عام ١٦١٨ — ١٦٤٨

وُلد سنة ١٥٧٢ ، حكم لبنان سنة ١٥٩٥ . قتل في الاستانة سنة ١٦٣٥ » انتهى كلام الموسيو بيجه .

والشرق ، ثمَّ جال بعقبانه الجولان وانقض بشواهينه على حوران ففتح ابوابها وصادر حكّامها وقبض على زمامها ودان لسلطانه سهلها وجبالها وخفقت اعلامهُ فوق مدنها وقراها . وكان اذا أقبل على قريةٍ دعا اهلها الى الخضوع فاذا امتثلوا حقن دماءهم وعفَّ عن اموالهم ونظَّم شؤونهم وجمع منهم متطوعين لقتال غيرهم . وان مالوا الى المعصية اطلق فيهم النار والحديد حتى يعنوا لهُ صاغرين . فانتشرت في البلاد مهابتهُ وقيَّدت القلوب محبتُهُ . وكان انتصاره بها اكثر منهُ بكثرة العُدَّة والعدد . من القرى التي دخلها بغير قتال درعا ونوى وشمسكين وداعل وطفس واذرع وغباغب وبصرى اسكيشام وبصرى الحرير . ولمَّا استتبَّ له الامر استراح بضعة ايام في بصرى واستدعى اليه اقطاب البلاد وشيوخ العرب وفيهم رؤساء عرب السردية وبني الحريري وزُعيب وغيرهم ، فاوصاهم ان يخلدوا الى السكون ويحسنوا الطاعة للحكّام العرب الذين ولّاهم على العشائر ، الى غير ذلك من الشؤون ، ثمَّ قال لهم : لقد أُنبئتُ انَّ في بلادكم نُزلًا عليكم من بني شعيب ، اختطفوا من بيت سيفا حاكم عكّار وطرابلس فتاة اسمها هيفا . لم تزل معتقلةً في خيامهم . فاعلموا ان اباها سألني العمل لانقاذها واستحلفني بتربة ابي ونخوة آل معن فليس من شيمتي ان اردَّ سائلًا أو اخيّب مؤمِّلًا ، فارغب اليكم ايها الاعيان ان تكشفوا عن مخبإها وتأتوني بها وبمعتقليها ، فان فعلتم فانتم اهل خير وحقيقون بالشكر والاكرام ، وإلّا فانتم شركاء القوم في نذالتهم وضامنون مثلهم . فنهض رجلٌ من عرب الفحيلي وقال . عاش الامير : ان الشُعيبيّين في حمايتي نزلوا عليَّ مستجيرين فأجرتهم ، وانَّ خيامهم اليوم الى جانب خيامنا في طرف اللجا . أمَّا أسيرتهم فلا اعرف من امرها شيئًا . فان كانت عندهم وقد خبَّأُوها عنا فعمَّا قليل تكون بين يديك . أمَّا خاطفوها فلا أملك اسلامهم لما لهم عليَّ من حرمة الجوار . قال الامير : ليس على الحرّ ان يجير وقوحاً يركب الدنايا وهو في ظلّ حمايته . قال الاعرابيّ : انا أجرتُ بني شُعيب فزعين ملهوفين منكوبين واغاثة الملهوف فريضة على العربي . فان كانوا قد ركبوا دنيئةً في الخفاء . فلسنا بدنيئتهم ملوَّثين ، أرسل معي من رجالك من يدخل خيامهم فان وجدوا

الضالّة أتوا بها ولا يتصدون للقوم ونحن نقوّض حمايتنا عنهم ونصرفهم عنّا .
فأصحبهُ الامير بعدة من فرسانه فعادوا اليه بالفتاة مع اسماعيل الشعيبي وابنه عزّام . فقال الفُحيليُّ للامير : هذه الفتاة سالمة . وهذا زعيم الشعيبيين وابنهُ يسألا الصفح . فبتربة أبيك الّا صفحتَ عنها وعن كلّ من لهُ اصبعٌ في حادث اختطاف الفتاة . قال الامير : وهبتك دمهم . وأذن لهم فجلسوا ، واستعلم اسماعيلَ قصةَ اسيرته فرواها لهُ ، وقال انّ الذين اختطفوها بامرهِ هم من العرب الرُّحل . قبضوا اجرتهم وانطلقوا الى حيث لا أدري . قال الامير : وما حملك على سبيها ؟ قال : ان السيفيّين قوّضوا عزّنا وخرّبوا ديارنا وضبطوا أملاكنا وشتّتونا تحت كل كوكب وأسلمونا الى الحاجة بعد ما كنا مقصداً لأُولي الحاجات ، ونحن بحكم الدهر وهوان الضعف قاعدون عن الثار ومقيمون على الضيم ، أيكون لطخة باعراضنا وخسة بأخلاقنا وذنباً علينا ان نذيق عدوّنا بعض ما أذاقنا ونجبره على افتداء اسير عزيز عليه بشيء من مالنا الذي سلبهُ . والله يا أميرُ ما أرسلتُ الرجال الى طرابلس ليأتوني بامرأة بل برأس عميد السيفيّين أو باحد اركانهم . فلمّا استعصى الغرض عليهم أتوا بابنة عدوّي فأمسكتُها حتى تُفتدى ولم أمسها ذلًّا وهوانا كما صنع قومها بنسائنا بعد ما سبوهنَّ ، هذه قصتي يا أمير . فاحكم فأنت أعدلُ من حكم . قال الامير : عذرتك فلا حرج عليك . ولك عليَّ فدية الفتاة . وأمرَ لهُ بعطاء كثير . فقام عزّامُ الشعيبيُّ ودعا للامير وقال : ان شاء سيدي ان يهبني هذه الفتاة زوجةً لي فقد قلّدني جميلًا اشكره عليه ما حييتُ . وانا واعده باكرامها وغمسها في الراحة والنعيم فاقشعرَّ بدنُ الصبيَّة والتهب خدّاها وغطّت عينيها بيديها وقالت : للأسر احبُّ اليَّ . قال الامير : ويحك يا هذا ! اما كفاك ان تركنا لك العقوبة وأدّيناك الفدية حتى قمتَ تطالب بالاثابة على جريتك . لقد اعتقتها من أسرك فان شاءت البقاء في خيمتك فذلك اليها . قالت هيفاء : ما عرفت لهذا الشاب سيئةً أؤاخذه عليها . ولولا توسطهُ في امري للقيتُ من قومهِ الامرّين فهو مني بمنزلة اخٍ وسأوصي بهِ أبي احساناً . أمّا مصاهرتهُ لابن سيفا فأيسرُ من منالها مسُّ النجوم باصابعهِ ، فان شاء سيدي ان يتمَّ احسانهُ الى امتهِ

فليردّني الى بيت أبي . تفرّس الامير في وجهها فملأ حسنها عينيه ووقعت من قلبه ، ثمّ اطرق هنيهة وكأنّ الواجب تمثّل لنفسه الابيّة . فأوعز الى اخيه يونس ان يحملها على فرس في كوكبة من الفرسان الى بعقلين لتكون بحراسة أمه (الست نسب) الى يوم قدومه ففعل . ثمّ مشى فخرالدين بجنده حتى انتهى الى الشام فاحتفى به الدمشقيون أيّ احتفاء . وواصل مسيره تحت الوية الظفر الى بعقلين . استدعى هيفاء وتحدثّا وأنس كلٌّ منهما الميل الى صاحبه وتعاهدا على الزواج . وأرسل الى ابن سيفا يقول لهُ : الاميرة هيفاء عندنا فابعث من يأخذها اليك . فأرسل الباشا ابنه محمدًا في عشرة من سكانه بهدايا وتحف الى الامير ، فاكرم ضيافتهم وأمسكهم عشرة ايام تأخيرًا لفراق خطيبته .

وكان لفخر الدين بنتٌ من زوجته الارسلانيّة تُدعى الورقاء آية الملاحة والظرف ، رآها محمد فأحبّها ونوى ان يخطبها بعد عوده الى عكار . فلمّا تقضّت الايام العشرة استأذن الامير بالسفر فشيّعهُ واختهُ بالاكرام وألقى الى هيفاء خاتمًا ذهبيًا بحجر كريم علامة لما بينهما من عهد . طابت نفس ابيها بلقائها وأمر بالافراح فكان مهرجانٌ شائق ثلاثة ايام . وأوفد الامير الشيخ ابا نادر الخازني الى يوسف باشا سيفا يطلب هيفاء زوجةً للامير فردَّ طلبهُ ولم يعد اخوها محمد يجرؤ على خطبة الورقاء على انهُ لم ينتهِ املهُ منها فيسلو عنها فوقف يرقب الفرص بين الرجاء واليأس. ولم تكن اختهُ باسعد حظًا منهُ فقد خانها الجلد وأعجزها كتمُ ما بقلبها فباحت به لبنت منصور مدبّر ابيها على ما مرَّ .

٩

كانت طيبة بنت منصور تحب هيفاء محبة بليغة صادقة لما بينهما من التماثل طباعًا وعمرًا وقد نشأتا معًا قرينتي وفاء وعشيرتي طفولة وصباء . وكان بينهما ركونٌ واخلاص وشركة في العواطف والاهواء وإلفة على السرّاء والضرّاء . فغمّها ما حصل لصديقتها من اغتمام ووطّنت القلب على تفريج كربها ، فلمّا رجعت الى بيت ابيها تفرّست امّها في وجهها فاذا بهِ وجوم وبعينيها أثرُ بكاء فاضطربت وقالت : ما دهاكِ يا صبيّة ، ما لعينيكِ محمرّتين ، أباكية كنتِ ؟ ما أبكاكِ ؟ ما لكِ ساعة خرجتِ من البيت وكانت في ثغرك ابتسامة

الزهرة أيقظها نسيم السحر لتمتصّ ندى السماء . ثمّ ضمّتها الى صدرها وقالت : ما بكِ يا عين أمكِ هل تشعرين بألم ؟ قالت : رأيت هيفاء تعالج بُرَحاء الهموم وتهيم في بيداء الفكر فلم أملك نفسي من البكاء .

قالت امّها : متى كان للهمّ سبيلٌ الى قلب الاميرة هيفاء ، هل طرأ على بنت الباشا ما يُورث لذعةً ومضًا ؟

— لا شيء من ذلك انّما بنفسها مرامٌ تخاف في منالهِ الفشل .

— ألعلّها كاشفتكِ ما بنفسها ؟

— أفضت بسرّها اليَّ . واستأذنتها بإيقافكِ عليه فأذنت لاجل ان تعاوني على ازالة ما يمضّها . ثم ان طيبة قصّت على امها حديث الاميرة هيفاء وألحّت عليها ان تستحثّ عزيمة زوجها مدبّر الباشا على ترغيبهِ في مصاهرة فخر الدين بحجّة انها كثيرة الفوائد لاسرته وولايته . تلك انجع الوسائل وأقربها لتمكين هيفاء من بغيتها ثمّ قالت لها : فان تقاعدتِ يا أمي عن هذا الامر قُضي على تلك الزنبقة البهيّة بالذبول شيئاً فشيئاً تحت حرارة الوجد والهيام فما تلبث ان تجفَّ وتيبس وتُسقطها ريح السموم الى حضيض التلف . واذ كانت نفسي متعلقةً بنفسها كان فرحها فرحي وحزنها حزني وحياتها حياتي ، كلانا نحيا او نموت معاً . وانا عالمةٌ بانها لن ترضى من فخر الدين نصيباً آخر ولو ملكاً تعفّر الارض امام عرشه الملوك[1] .

وكانت أمُّ طيبة تحبُّ هيفاء محبة الوالدة اذ كانت ابنتها بالتربية أسندت

١) توفي صديق المعني مراد باشا وصار منصب الصدارة الى نصوح باشا عام ١٦١١ وقدم الى ديار بكر وحلب لتسكين الاضطراب وكان عدوًّا لفخر الدين وموالياً ليوسف باشا سيفا وللحافظ والي دمشق ، فطلب نصوح من الامير المعني ان يقتل الامير يونس الحرفوشي فحمل اليه مع مصطفى احد اعوانه ٢٥ الف قرش وخيلاً مطهّمة ونسيجاً فاخرًا . فتقبل الهدية وقال لمصطفى : معي اوامر من السلطان توجب على الامير ان يفصل السكبان ويسلّم قلعة الصبيبة وشقيف أرنون ، وكتب في ذلك الى الامير وخلع على مصطفى وأطلق سبيله ، ولمّا أحلّت حلب نصوحاً أوفد الى المعني بورنلي علي جاويش يطلب مالاً فاكرمه الامير وجاد له بخمسة الاف قرش واصحبه بمملوكه مصلي اغا حاملاً ٥٠ الف قرش للسلطان احمد و ٢٥ الف قرش للوزير فجعله الوزير جاويش السلطان وعاد الى مولاه بخلع . وكان الحافظ على خوف من اشتداد سطوة المعني في ضواحي عجلون وحوران فركب الى حلب

اليها مهمة تأديبها مذ بلغت هيفاء سنّ الثالثة ، وكانت ترقبها منذ عودها من

وركب معه كنمان الكبير البلوكباشي من أعيان الجند الدمشقي وفروخ امير الحاج وهو جركسي من المماليك شديد البأس ، فأكرم نصوح باشا الامير فروخاً وأسند اليه لواء نابلوس وعجلون والكرك بدلاً من الامير حمدان بن قانصوه حليف المعنيّ . واقرضه ١٥٠ الف قرش ليتقوّى على خصميه قانصوه والمعنيّ . ووشى الحافظ بالمعني الى الوزير بما أوغر صدره عليه واتفقا على قتاله . وعاد الوزير الى الاستانة وسار الحافظ مع فروخ وسلّم اليه حكم عجلون وطرد الامير حمدان ابن قانصوه وعمرًا شيخ عرب المفارجة من حوران وولّى مكانه رشيدًا شيخ عرب السردية ، فسار المطرودان بعربانهما الى الامير فيأض الحياري ، واستدل المعني بذلك على سوء نيّة الحافظ والوزير في ما ينظر اليه ، ورأى من جودة السياسة ان يدفع الخطر باستمالة الوزير فوجّه اليه كتخداه مصطفى بثلاثين الف قرش وهدايا نفيسة سيّرها برًا وبحرًا منها مراكب موسوقة صابونًا واقمشة ، وبات يتوقع عودته ليعلم بأي عين نظر الدولة اليه ، ثمّ عاج المطرودان بحوران فقاتلهما رشيد ففزع الشيخ عمرو الى المعنيّ وهو في قلعة بانياس فسار الامير معه برجاله الى القنيطرة ، وكان ثمّ الامير حمدان وعرب الشيخ عمرو فنزل ضيفًا عليهم . ثمّ أتى جم. الى بلاده واكرم ضيافتهم شهرًا واياماً أُخر . فاستنصروه فأبى ان يقاتل معهم قبل رجوع رسوله من الاستانة وألح عليه مدبره الحاج كيوان فاذعن . وخلع على شيوخهم وارسل ابنه الامير عليًّا بثلاثة الاف مقاتل فقاموا الى مرج برغوث فنهر المدان . فالتقى عسكر الامير بعسكر الشام فتصادما في المزاريب عند البجّة من حوران يوم جمعة من ربيع الثاني سنة ١٠٢٢ هـ. وانتهت الموقعة باندحار عسكر الشام وعربان السردية والشران وفروخ بك وكنمان ومن معها . وغنم الامير منهم مئة رأس خيل مع طبول فروخ سنجق عجلون ونابلوس وجميع زموره واعلامه . وكان الشيخ رشيد وعربه نازلين على الازرق بشرقي حوران ، فعزم الامير على مطاردتهم ومشى بالعساكر ومعه حمدان والشيخ عمرو الى عين جالوت . لكن السكبان استبعدوا المكان فتحوّل الجميع الى بلاد البلقاء ونزلوا على نهر حسبان لاجتماع عرب تلك البلاد في وادي الهيدان . وتسلم الامير حمدان لواء عجلون . اما كنمان وعسكر الشام فانتقلوا الى بصرى وكان الامير عليّ وحمدان وعمرو مخيمين في بئر السحرية من بلاد عجلون فانتقلوا الى اربد قرب بلاد أحمد الكناني وانقضوا على الشيخ ناصر الفحيلي وعربه المخيمين في طرف اللجا فغنموا الف ناقة وخيلًا مرّوا بها في بصرى وعساكر الشام في غفلة عنهم فاقتسم الغنيمة العرب والسكبان مناصفة، واستصرخوا فخرالدين فأمدّهم بعشرة الاف مقاتل فيهم بعض رجال يوسف باشا سيفا والاميرين يوسف الحرفوشي وأحمد الشهابي . ثم حشد الامير حمدان رجال بني عُبيد واحمد الكناني فتألف لدى الغزاة جيش عظيم زحفوا به على عسكر الشام في البجّة فانهزم الشاميون من وجوههم يطاردهم الذعر . فعاد الامير علي الى والده برجاله مبقيًا منهم خمسة بلكباشية برجالهم عند عمرو وحمدان . وبقي حمدان في عجلون وعمرو في حوران يغزوان العرب برجال المعنيّ المذكورين .

سبي حوران فترى انقلاباً في سحنتها ووجوماً في وجهها ونحولاً في بدنها يتزيد على مرّ الايام ، فيؤلمها ما تراه من حالها ولا تعرف ما علتها فتعالجها . فلما وقفت على امرها رثت لحالها وعقدت القلب على اخراجها من مأزقها ، وكان لابيها وجمالها سلطة على زوجها منصور فانتضتها لقطع كل حجة يتذرع بها تملّصاً من السعي لترويج الصبيّة بمن تحبّ. فلم يجد مفلتاً من النزول عند ارادتها. فوعد وما كان وعدهُ الّا متصلاً بالوفاء .

ثلج صدر هيفاء. وأفرخ رجاؤها وأبت إلّا ان تسهم خطيبها بلذّة الرجاء. فأرسلت توقفهُ على ما يُجرى في بيت ابيها من التدبير والتمهيد لسعادتها المشتهاة وتزملهِ بقرب اللقاء ، فوجّه اليها جواباً أفرغ فيه كل عواطف قلبه ، وجدّد لها عهد المحبة مبرماً ووعدها برفع كل العوائق من جهتهِ وأمّلها بقرب الفرج .

فطابت نفسها وعجلت الى صديقتها طيبة تقرأ الرسالة عليها وكلتاهما تضحكان وتبكيان معاً من شدّة الفرح . غير ان فرحها لم يكن طويل العمر . فما انقضى ذلك النهار وأوت كلٌ من الظبيتين المتآخيتين الى كناسها حتى كرّت الهواجس على خاطر هيفاء. فأجفل نومها وامسى فراشها كانه من شوك او نار ، ان الرجاء يسكّن الروع ويخفّف من وطأة الغمّ لكنه اذا لم يكن قائماً على اساس وطيد فلا يلبث ان يتضعضع وينهار . اجل ! ان في رسالة فخر الدين ما ينعش فؤادها ويؤمّلها بامكان حصول البغية ، غير ان قولهُ أنهُ (يرفع كلّ العوائق من جهته) لا يعني انه سيرضى بكل شروط ابيها لان منها ما يحول دون مرامهِ من توحيد الامارة في لبنان وهذا يمتنع قبوله عليه. وأبوها مصرٌ على الاستقلال بولايته. وتعلّقه بالدولة أضمن لبقاء حكمه من انحيازه الى فخر الدين ، لان الامير طامحٌ الى انشاء سلطنة في هذه البلاد ولا يسع الدولة ان تبلغ من الاغضاء عنه الى هذا الحدّ. فاذا رأت منه خروجاً عليها سيّرت عليه جيشاً قوياً يدمّر بلاده ولا ترجع عنهُ حتى توردهُ موارد الذل وتنفذ فيه قضاء الهلاك قتلاً واستئصالاً ، ولا يسلم من لهب سخطها محازبوه . وأبوها بعيد النظر وذو حنكة سياسية وعلمٍ باحوال الدول وحذر من تقلّب الدهر . فما حيلة مدبّره منصور في امالتهِ الى فخر الدين ؟ بمثل هذه الافكار

المقلقة صرفت ليلها تتقلّب على مثل جمر الغضا الى الصباح . حينئذٍ أقبلت عليها طيبة وعالجت ان تطيّب قلبها وتباعد عنها الغمّ والهواجس فما افلحت . فخرجت بها الى حديقة القصر وجعلت تقصّ عليها الروايات والحكايات المعجبة والنكات المستطرفة حتي جلبت اليها شيئاً من السلوان الوقتي وصارت لا تفارقها ساعة ودامت على ذلك بضعة ايام .

اما منصور ابو طيبة فلم يبطئ ان دخل الى يوسف سيفا ساعة فراغ وقال له : أتيتك يا سيدي لامر خطير أحبّ ان نبحث فيه معاً ، فما انا عندك وفي ظل نعمتك إلّا لأكون عونك على الدهر ومنبهك الى طوارئ الحِدثان . قال يوسف : ما أشكّ في خلوص مودتك وصلاح مشورتك واستقامة قصدك . فهات ما عندك . قال منصور : أرى الايام تنقلب علينا . فالباب العالي لا يُركن اليه ولا يعوَّل على تعضيده . لانّ له في جانب عمّاله سياسةً واحدةً لا معدل عنها . وهي انه متى بلغ احدهم مرتبةً من القوة والعز لا يخلّيه يتعداها، بل يعمل لاسقاطه الى حضيض الهوان ، فلا نحن واثقون من بقاء رضاه ولا نحن محالفون من حولنا من حكّام الاقاليم واقطاب البلاد . فان لم نتلافَ الخطر بعقد المحالفات مع اصحاب القدرة من امراء لبنان وحكّام الولايات المتاخمة فقد اضعنا الرشد وما يبطؤ ان يُنزع من يدنا الحكم ويصير الى ايدٍ جبّارة كان يوسعنا ان نجعلها لشدّ ازرنا فجعلناها لحطّنا والمساهمة في اهلاكنا.

قال السيفيّ : مَن من الحكّام ترى محالفته اجدى علينا فنحالفهُ ؟

— قال : انك لا تجهل ان الامير المعني حاكم الشوف هو الحاكم المقتدر والقائد العظيم والغازي الكبير والسياسي المحنّك الذي في مدّةٍ قصيرة اكتسح ولايات الجنوب ونصب أعلامه الظافرة على عجلون وحوران وضرب أوتادهُ على ابواب دمشق وسيبسط سلطانه على الشمال كما بسطه على الجنوب . فهلا تضمّ ذراعك الى ذراعه فيكون عوناً لك على الحسّاد والمناوئين وتزداد حولاً وطولاً ويستقرّ حكمك .

— كيف السبيلُ الى موالاته وهو يطمع في بلادي ويحسب عليّ الدفاع عنها جريمة لا تُغتفر ؟

— ما يطلب الامير إلّا استقلال لبنان، ومطلبه عدلٌ لانه وطنه وما كان إلّا مستقلاً، وقد وجّه عزمه الى توحيد الامارة وليس في البلاد قوّة تصدُّهُ عن هذا الهدف. فان ناوأناهُ وأصاب نجاحاً دارت علينا الدوائر، وان سالمناهُ وعضدناهُ لم تخرج السلطة من يدينا وهو رجل الصدق والوفا..

— واذا حالفناهُ وعصى الدولة لاسخاطها وشبّت بينها نار القتال فيجانب اي الفريقين نكون؟ ان نصرنا الامير اهلكتنا الدولة، وان ناصرناها عليه نقضنا المحالفة وكنّا من الغادرين.

قال منصور: لا تحالفه على الدولة بل على عمّالها المناوئين له وعلى من يشقُّ عصا طاعته من الامراء. فان عمل ما يغضب الباب العالي فسيّر حملة تأديبه، نقف موقف الحياد ولا لوم علينا لان المحالفة لا تتناول محاربة الدولة.

قال الباشا: ومن ايّ بابٍ ندخل الى محالفته؟

— من الباب الطبيعيّ، وهو ان تزوّجه ابنتك وتزوّج ابنك من ابنته فتصير بين الاسرتين مصاهرة تولد الصداقة والاشتراك في المنافع والمضارّ.

— أسلمةٌ بنتُ سيفا فأُعرضها عليه بعد ان طلبها اليَّ فرفضتُ؟

— لا نعرضها عليه بل نخطب ابنتهُ فيعود الى طلب ابنتنا فيحصل ما نرومه دون ان نبذل من ماء الوجوه.

— رضيتُ. فافعل.

وبعد ثلاثة ايام كان منصور المدبّر في باب الامير فخر الدين. فأُدخل وحيّاهُ وبسط له مهمّته. وكان حسن المنطق فصيح العبارة قويّ الحجّة، فأنس به الامير واستطاب حديثه. ولا بدع ان يرحّب الظمآن بالماء الزلال والعليل بالطبيب الحامل الشفا. وبعد اسبوعين أُقيمت حفلات الاعراس في بيتي معن وسيفا فاجتمع اليها خلقٌ كثيرٌ، وصار فرحٌ عظيم في البلاد كلها ونُحرت الوف من الغنم والعجول ومُدّت الولائم عامةً مدى عشرة ايام وجرت المبادلة بين القمرين فزُفّت هيفاء بنت يوسف سيفا الى الامير فخر الدين في بيروت والورقاء بنت الامير المعني الى محمد بن يوسف باشا سيفا في قصره الذي بعكار قاعدة السيفيين.

١٠

فيه ابن سيفا

قام في وهم يوسف باشا سيفـا عملاً بمشورة مدبّره منصور أنّهُ اذا صاهر الامير فخر الدين تصير المصاهرة مانعاً لياقياً للامير من اجتياح اراضي حميه . ولو انهُ اقام على عهد الموالاة للامير وخضع له كسائر حكّام البـلاد لتحقّق حلمهُ الذهبي ، لكنه أبى إلّا الاستقلال عنهُ بالحكم وظلَّ ينصبُ له المكائد في الخفاء . فلم تنطفِ العداوة بل اختبأت زماناً تحت رماد السلام . أمـا الامير المعنيُّ الذي شبَّ على مقت الدولة قاتلة ابيه وآلى ألّا يغمد سيفه حتى يوحّد الامارة في لبنان ويحيط بها سورًا منيعاً من الاستقلال وينشر أعلامـهُ خفّاقةً فوق الولايات فلم تكن صلة القرابة الجديدة لتغيّر شيئاً من خطّتـهِ أو تحلَّ فتلةً من عزيمته .

أجل ! انهُ يحبُّ هيفاء حبًّا ما وراءهُ حبٌّ، ولم تصر اليه إلّا بعد ما عانى أشدَّ لواذع التدلّه والهيام . وقد تعاظم حبُّهُ اياها منـذ اصبحت منارة بيتهِ ومشكى ضيـه وجنّة ناظريه . إلّا ان محبته للبنان وطنه وولوعه بالمجد والمعالي اعظم جدًّا وأولى بالتقديم ولا يعدلها حبُّهُ لشيءٍ مما على الارض .

كيف السبيل الى ما يرومهُ من توحيد الامارة وابنُ سيفا حجر عثارٍ في ذلك السبيل . كلُّ حكّام الاقاليم يتنزّلون له عن استقلالهم بحكم اقطاعاتهم ايثارًا لمصلحة البلاد أو رهبةً من بطشهِ إلّا ابن سيفا فهو لا يقدّم مصلحة على مصلحة نفسه . وحجتهُ عند نفسه انهُ اذا توحّدت الامـارة وتمَّ للامير المعني بناءُ الاستقلال عن الدولة ، فقد قيدت سلطته وخُسف جاهُهُ وقصرت باعُـهُ وانقطعت ميازيب الذهب عن خزانته . فانهُ بعد ان نكب المنافين وقرض سلالتهم واستولى على املاكهم صارت له اقطاعة واسعة الارجاء طائلة الثروة تتدفّق له منها ينابيع الذهب .

وقد امتدَّ سلطانهُ من جنوبي جُبيل الى تخوم انطاكية،ولم يكن حكمهُ اقطاعياً إلّا من حيث الاثم لتصرّفه به تصرف المالك في أرضهِ المستقلّ بادارتها لا تطالبه الدولة إلا بمـال الخراج جرياً على حكمها في البلاد السورية حيث

تكتفي بهذا القدر من خضوع عمّالها ساكتةً عمّا يحدث بينهم من التنازع على السلطة ، ما لم تأنس من احدهم نزوعاً الى الخروج عليها فتؤدبه بنصر خصمه عليهِ . فهي تضرب الخزف بالخزف ولها السالم وللفنا. المكسور .

وقد قُيّض ليوسف باشا سيفا ان يُطهّر تلك الاقطاعة الطويلة العريضة من كلّ مزاحم ومنازع حتى خلا له الجوُّ وصار في درجة من العزّ عالية . وزاد في غبطتهِ انَّ ابنهُ محمدًا زوج الورقا. بنت الامير المعني استأجر كرك طرابلس من الباب العالي باجرة سنوية دون العشر من غلته . اذ كان اكبر كركٍ في البلاد السوريَّة في ذلك الدهر . فكانت لـه ارباحٌ لا تُحصى بحساب وكان ابوهُ يشتري ببعضها رضا أُولي الشان من رجال البلاط ومناصرة الباب العالي لهُ على حسَّاده ، لذلك كان يردُّ مطالب صهره السلبيَّة . ومكان ان يذعن لهُ كان يطمح بنفسه الى الاستيلاء على الشوف . وما يعوقهُ عن تصعّد هذا الجبل إلَّا الحفى . وكان يرقب الفرص ويرصد المغامز ولا يملُّ النظر في وجوه الحيلة واستنباط الذرائع المبلغة الى الغرض وان سافلةً ونذلةً واثيمة .

وقع مرَّةً ان زارته بنته هيفا. فجعل يسألها عما عنـد زوجها الامير من مقاصد وتدابير ومعدَّات قتـال فتنبهت لغرضه الخسيس وقالت : أجاسوساً أرسلتني الى بيت الامير فأبوح لك بأسراره وأُطلعك على نيَّـاته . ان كنت على خوفٍ من صولتهِ ورهبة من حَولهِ وطوله فلِمَ لا ترعى جانبه وتطاوعهُ على ما يحبّ . وهو انما يسعى لامرٍ وطنيّ خطيرٍ ؟ فوقع جوابها عليهِ وقع الشتيمة على المذنب . فقال : كأني بكِ يا هيفا. تجهلين حقوق الوالد على الولـد . ألستُ انا الذي اعطيتكِ الوجود ؟ ألم تكوني لي من قبل ان تصيري الى عدوّي، فكيف تؤثرينه عليَّ ؟ أما انكِ في هذا البيت نشأتِ وفي نعمته ربيتِ فكيف ترينه مهدَّدًا بالدمار ولا تتلافين سقوطه مع قدرتـك على اسناده ؟ قالت لو علمت ان فخر الدين يرمي الى هدم هذا البيت لما اذّخرت وسعاً في صرفه عن قصده ولعرضتُ له صدري وقلتُ : اضرب هذا الصدر دون ذلـك البيت . الّا ان الامير لا يبغي لبيت سيفا سوى التوطد على السعادة والعزّ . على شرط ان يدينوا له ويتفيأوا في ظلّ امارته . فـان ابيت إلّا ركوب الطمع وهو

مركبٌ جموحٌ فقد عملتَ على تخريب بيتك بيدك . إنّ فخر الدين يرمي الى هدفٍ شريف وتأبى همّته الشنآ. النكوص عن ذلك الهدف مهما يقم في سبيله من عقابٍ صعاب وكيف يلوي عن مرامٍ وهو الـذي اذا مشى مشى من خلفه مئة الف قسور من السكبان ومثلهم من عرب عجلون وحوران وموارنة الجبل الاشدّا. ، وما فيهم من يسأله : الى اين يا امير ? كيف يحلّ ما ابرمه وامراء لبنان وكبراؤه ومشايخه وأعيانه موافقون لهُ على رأيـه وشادون أزرهُ ومؤتمرون بأمره . من شهابيّين وارسلانيين وتلحوقيّين وحمـاديّين وحرفوشيّين وخازنيّين وغيرهم . كلّهم يجثون سمعهُ وينادون : لَبّيك نحنُ أعوانُك . وحِدِ الامارة لاستقرار الاحكام واستتبـاب الامن واستيفاء الاستقلال واستكمال العزّ للوطن اللبناني . ولو لم يكن للامير من مصلحة في هـذا التدبير غير الثأر من الدولة لابيه لكفى بذلك شاحذاً لعزيمته ، فكيف وبه مجدهُ ايضاً وتوطيد عرشه وامتداد سلطتـه وتخليد ذكره[1] فالرأي يا سيدي

١) يريد القارئ الوقوف على تفاصيل ما وقع للمعني بعد انتصار عساكره على عساكر الشام بقيادة ابنه الامير علي ومناصرة حلفائه من العرب ممّا مرّ ذكره عند الكلام عن مواقع عجلون وحوران . اليك ملخص ما كتبه المؤرخون نقتطفه من (مجلة الآثار) : شقّ على احمد باشا الحافظ انهزام عساكره من وجه عساكر المعنيّ يسوقهم الذعر مشتّتين . غير ان ذلك سرّه من وجه ما هيأ له من فرصة الانتقام من فخر الدين حسوده وعدوه ، فارسل الى الاستانة رسائل وقّع عليها هو والاعيان ، يخبر الباب العالي بان المعنيّ قد تغلب على عجلون وحوران وان رجاله يحاصرون دمشق . فوصلت الرسائل وكان مصطفى كتخدا الامير لا يزال في الاستانة وقد وعده نصوح باشا الصدر الاعظم بلواء نابلوس وامارة الحج فانقلب عليه وسجنه في الابراج ، واطلق رجاله فعادوا الى الامير واخبروه فندم على مطاوعته كيوان . عزم نصوح على اهلاك الامير . فأمرت الدولة باجتماع اربعة عشر أمير امراء وخمسين لواء بقيادة السردار احمد باشا الحافظ ، وفيهم مصطفى كافل ديار بكر وعمرو الكتاني والي اناطولي وباكير والي قرمان وطويل احمد والي درابزون وحزم والي ملاطية وموسى والي حلب . ومعهم جميع الوية كردستان بعساكرهم ، وامدّهم الوزير بخمسين الف انكشاري بقيادة أياز اغا . فأتوا بحرًا الى باياس بين طرابلس واللاذقية قريباً من المرقب الى الغرب الشمالي . فلمّا بلغوا بلاد الشام توجه الى الحافظ الامراء يونس الحرفوشي حاكم بعلبك والبقاع واحمد وعلي الشهابيان حاكما وادي التيم . فقابلوه في المعسكر انحيازًا عن المعنيّ اليه .

فعلم فخر الدين ان مهابة الدولة ستفرق عنه سائر محالفيه ، فطفق يرمم ويحصن معاقله

الوالد ان تسالمهُ وتدين لهُ على اخلاص فيقرّك في حكمك ويكون ظلّهُ عليك اخفّ من ظلّ الدولة . فانك لن تأمن على حكمك ولا على نفسك من مفاجأة غدرها وانقلابها ومثلك من عَلِمَ فاعتبر . ومن الخُرْق في الرأي ان تؤمل من امير لبنان عدولاً عما اعتزمهُ فانه ليس يثنيه عنهُ سوى الموت .

ولا سيا قلاع بانياس وشقيف تيرون وارنون وجمع اليها بطانته واسرته وحريمه ، واوعز الى الحاج كيوان ان يحمل تجار صيدا التوسكانيين على مراسلة دولتهم لانجاده ، فاستجلبوا له معدات كثيرة ووعدوه بالمال والرجال فصار لديه من الميرة والذخيرة ما يكفيه لخمسة اعوام ، وقام في وهمه ان ساقله امنع من ان تدين لقوة على الارض ، وارصد مئة الف قرش في قلعتي بانياس وشقيف تيرون لجرايات السكبان وجعل في قلعة بانياس عشرة بلوكباشية لالف نفر بقيادة حسين اليازجي مرداراً . وعلى عسكر قلعة الشقيف طويل حسين بلوكباشي مع خمسة بلوكباشية على اربع مئة نفر ، واقام حريمه في القلعتين وحظّر على العسكرين التسليم معاً يلزم من ضيق الحصار .

وكان قد ارسل ولده علياً الى البرية مع الامير حمدان والشيخ عمرو عام ١٦٠٣ وعزم على اللحاق به . فأتى صفد وانتظر ثمَّ كيوان ليأتي من صيدا فيصحبه . وأرسل وفداً فيهم الشيخ احمد الخالدي كاتب تاريخه الى الحافظ والقوّاد وقاضي الشام وعلمائها ليصلحوا ذات البين ، فرُدوا بالفشل . قال الحافظ : لو ملأ فخر الدين هذه الخيمة ذهباً لم يُعف عنه حتى يدوس هذا البساط . فأخبروا الامير بذلك فيئس من استمالة الحافظ ولاسيما بعد ما رأى من نزعه ولاية بيروت وكسروان من ولده علي وارجاعها الى يوسف باشا سيفا ، وارجاع حكم الغرب والجرد والمتن الى الشيخ مظفر العينداري ، وايالة صفد الى محمد اغا ، وايالة صيدا الى ارنؤوط حسن اغا ، ونحض هؤلاء على رجال الامير وعزّموهم .

وبينما كان الامير يتأهب للفرار الى حلفائه من امراء العرب بلغه ان الحافظ أرسل عسكراً الى جسر المجامع بقيادة الامراء احمد الشهابي وفروخ واحمد بن طربيه ليقطعوا مسلكه ، فتوقّف . وأدركه كيوان فقام الى طبريا بالف فارس من السكبان ، وسار الحافظ من القنيطرة جهة بانياس ثم الى صفد وارسل جنوده لقطع الطريق عليه . فرجع المعني من طبريا الى امام قلعة الشقيف ، وبلغه خبر اصطدام رجاله بعسكر الشام في خان المجامع عند الجسر واندحار رجاله وفرار ابنه عليّ يقيتهم الى عرب البرية فبلاد عجلون يتوقع قدوم ابيه . وعلى اثر وصوله زحف على المشايخ أولاد عليّ الصغير في قرية الكوثرية لما سلبوا بعض رجاله فانهزموا من وجهه ونهب قريتهم وعاد الى قلعة الشقيف .

اما الحافظ فاستقدم عمارة رودس العثمانية لتسد دون الامير منافذ الفرار من صيدا . فقدم محيي باشا حاكم رودس بعشرة مراكب بقيادة الربّان محمد باشا أمير البحر ، فسار الامير المعني برجاله الى ثغر صيدا واجتمع بمحيي باشا وأوقفه على حاله وانّ له في خزينة السلطان واحداً وخمسين الف ذهب حملها سلفاً اليه . فوعده بالتوسط . فاستكتب الامير

قال الباشا : حياةُ ابيكِ بموت المني ، فان شئتِ ان يحيا أبوكِ وأخوتكِ وان يعلوَ بيت سيفا ويُحقن دم كثيرٍ ممن تحبّين فافتدي الاكثر بالاقل . هلّا تأخذين من يدي ... لا مدية تغرزينها في قلبه . لا . فانّه قد يرعبك منظر الدم . بل سمّاً تدسّينه في طعامه أو شرابه وتفزعين اليَّ تحت حلك الظلام مخفورة باربعة من رجال ابيكِ رجال بأسٍ أرسلهم معكِ متنكرين .

فلمّا سمعت هيفاء هذا الكلام اقشعرَّ بدنها ونطَّ قلبها فزعاً وترفّعاً ونفوراً وأطرقت تفكر : ما هذا الذي يقولهُ أبي ! ما هذه الخطة الدنيئة الاثيمة التي يسومني ؟ خيانة زوجي ! الغدر بمن تحبّهُ نفسي ! بمن أفديه بأبي وأمي واخي واختي وروحي ووجودي ! ماذا يسومني هذا الوالد الاحمق الّا ان اقتل سعادتي واتخلّى عن نعمتي واخرج من نعيمي وألقي على المزبلة عزّي واخنق عواطفي الشريفة بيدي واطأ شرفي بأخمصي . ويحك ابن سيفا ! أهيفاء تركب مثل هذا المنكر ، أهيفاء التي لو سألها فخر الدين ظمآن شراباً ولم يكن الا دمها لاراقته بلا تردّدٍ بين شفتيه ، أهيفاء تدسُّ لمعبودها المني في طعامه السمَّ الزعاف . لأن تُقطع يدي ويُضرب عنقي وتُدق عظامي أهون عليَّ من ركوب هذا الغدر الفظيع الاثيم . أما والله لو أسلمني فخر الدين الى كل ضربٍ من الخسف والعذاب وأيقنت انهُ قاتلي عمّا قليل واحراقاً بالنار لغير ذنبٍ الا اني أحبهُ لما انكرتهُ بل قلتُ : زدني « فكل شيء من المحبوب محبوبٌ » فكيف وانا عندهُ بمكان روحه وأعزُّ اليه من قلبه، وقد رفع منزلتي وولّاني رئاسة بيته وقرّبني أكثر من أقرب الناس اليه وائتمنني على سره واستنام اليَّ في الشهادة والغيب . لا عشتُ ان اطعتُك يا أبي ولا أطاقتني الارضُ على ظهرها ان خنتك يا فخر الدين !

الصيداويين عريضة وأرسلها الى محمد باشا امير البحر مع الشيخ ابي اللطف والحاج محمد خضر ، فسافرا في عمارة محيي الدين باشا التي ذهبت مسرعة لانقاذ سبعة مراكب سطا عليها القرصان . ففرغت ميناء صيدا ، وكان محمد باشا قد ضاف المني مرَّةً فصار بينهما صداقة فاكرم رسوليه، وقدم الى صيدا سفينتان فرنسيتان وسفينة هولندية تقلُّ بضائع . فاستأجر المنيّ السفن الثلاث واقلع ومعه زوجته ابنة ظافر وكيوان وخمسون من مماليكه ، والقى مقاليد الولاية الى الامير يونس اخيه .

صَغُرَ أبوها في عينها وحلَّ مقتُه في قلبها وأمسكت عن مجاوبته ازدراء وخلَّته وانصرفت .

ولما كان من الغد استدعت عبيدها وجواريها فشدّوا لها على فرس وودَّعت وخرجت من ذلك البيت وهي تدعو على رجلها بالكسر ان خطت بعد خطوةً اليه . وكتمت عن زوجها الخبر تلافياً لاستذكاء جمار البغضاء .

وظلَّ الامير فخر الدين متابعاً خطته السياسيَّة بمشورة مدبّريه وأعيان البلاد، وكان لطيف الاخلاق سهل المداناة حليماً رئيفاً عادلًا مترفّعاً عن المحاباة بعيداً عن التعصُّب الديني الذميم ، فاتحاً مجلسه للشعراء والادباء مولعاً بالمطالعة ولاسيما الكيمياء ، يحبُّ الفضلاء ويقرّبهم من ايَّة طائفةٍ كانوا .

ولاشتهار عدله ومعاداته للدولة كان كلُّ من لحقهُ جورٌ من ولاتها ، او خاف نكبةً من قبلها يفزع الى الشوف لائذاً بحمى الامير . ولمَّا كانت الصواعق اكثر ما تنقضُّ على الجبال العالية اجتمع الى دير القمر قاعدة الحكم (منذ ارتحال فخر الدين الى ايطالية كما سترى) عددٌ كبير من خيرة الاسر من مسيحيين ومسلمين ويهود فازعين الى عدل الامير وحمايته من جور الدولة أو من ظلم عمّالها . واكثرهم من اقاليم سوريا وبعضهم من غيرها . وظلّت دير القمر مفزعاً لمثل هؤلاء العيال الكريمة يأتونها بمالهم واهلهم وصناعتهم الى آخر عهد الامراء من آل شهاب . فاضحت تلك المدينة الصغيرة اعظم المدن اللبنانية ثروةً وصناعةً وسياسةً ومعارف . وانجبت للوطن رجالًا كبراء العقول أقوياء السواعد أحبوه أخلص الحب وخدموه أصدق الخدمة ، وبذلوا لصونه واستقلاله ومجده الراحة والمال والمُهج . وكان المسيحيُّون يحبون الامير ويخلصون لهُ ويجلُّون قدره ويلتفون من حولهِ لانصافهِ ومساواته بين الطوائف حقوقاً وواجبات ، ولعطفه على المسيحيين ولاسيما الموارنة الذين نشأ في بلادهم ولقف التربية الوطنية والمبادئ القويمة منأفواه فضلائهم وكبرائهم ومن قدوتهم الفاضلة . فتسهّل لهُ ما اراده من توحيد الامارة ، واعترف لهُ بالحكم الامراء والمشايخ والمقدَّمون فرتَّب مالية عظيمة ونصب ميزان العدل ونظَّم جيشاً وطنيًّا كبيرًا مدرّباً في حمل السلاح زحف به على الولايات فاكتسحها على ما

رأيت في ما مضى . وعينُ الدولة نائمة عنهُ الى ذلك الحين اذ كان يبهر أعين وزرائها برهجة هداياهُ ويكمُّ أفواههم بذهبهِ ودهائهِ . فأخذت نفسهُ تطمح الى عاصمة الاتراك وطفق يعدُّ العدَّة ويتحفّز للوثوب .

على ان يوسف باشا سيفا كان يرقب اعماله بعين تباعد عنها الوسن . فلما أنس من نفسه العجز عن قتاله وحصل له اليأس من أخذه بالحيلة عمد الى الوشاية والسعاية وعقد مؤامرة عليه مع الحافظ والي دمشق فأيقظا الباب العالي من غفلته وحذَّراه مغبَّة القعود عن نكبته وبسطا له ما صار اليه الامير من عظمة الصولة وامتداد السطوة وما لديهِ من كثرة الجنود والمال والحصون المنيعة ، وما له من موالين ومحالفين في مختلف الاقاليم السورية وما أنشأه في بيروت من صروح وقلاع وحدائق ولاسيما حديقة الوحوش التي أنشأها تشبهاً بالسلاطين الى تسهيل سبل التجارة للتجار الغربيين ولا سيما التوسكانيين المعادين للدولة ، الى غير ذلك من الوشايات مما جعل الباب العالي يوجس خوفاً من خطر على المملكة ، فعقد القلب على ملافاة الخطر بضرب الامير الضربة القاضية ، وكان على اريكة الملك السلطان احمد الاول، فسيَّر عليه الفين من انكشارية الاستانة وخمسين سنجقاً وأربعة عشر بكليربكياً من ديار بكر واناطولة وطرابزون وحلب وطرابلس الى خمسين الفاً من اشد رجال القتال .

وكان الامير شجاعاً لا يتراجع من امام هول غير ان الفطنة كانت مسيطرة على جرأته فلم يكن ليقدم على امر قبل التروّي ولا يدخل مأزقاً قبل النظر في مخرجه . فلما رأى الفوز غير مضمون لرجاله تلقا. تلك القوات الهائلة امتنع عن القتال حقناً للدماء وجرياً على مبدإ : اتقاء الخطر أهون ذرائع دفعه ، وعملاً بقول الشاعر :

اذا حلَّ الثقيل بارض قوم فما للساكنين سوى الرحيل

فجعل يتهيَّأ للرحيل الى اوربة .

(لها صلة)

تجديد خليل مطران للشعر العربي

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

يعد المحافظون بثات الملايين في مشارق الارض ومغاربها ، غير انهم لا يزيدون ذرة على ثروة العالم الفكرية ؛ اما المجددون فانهم يُحصون بالمئات ، ولكنهم قد تفردوا بمقدرتهم على اغناء مقتنى السلف بمبتكراتهم الرائعة ، الجريئة ؛ وخليل مطران من جملتهم في ميدان الشعر العربي ، فلذلك نخصه بالاجلال والاعجاب .

قد احدث بجسارة مدهشة انقلاباً عظيماً في شعر اهل زمانه ، بل في الشعر العربي على وجه الاطلاق . حين نزل الى ميدان القريض ، كان هذا الفن — وهو ملك الفنون الجميلة قاطبةً — قد هوى عندنا الى اقصى دركات الانحطاط . كان اكثره تافهاً بمواضيعه ، مبتذلاً بتعابيره ، يكتفي اصحابه المتشاعرون بان يستظهروا شعر الاقدمين ، منتزعين منه رُقعاً يضمون بعضها الى بعض ويؤلفون بها منظوماتهم السقيمة ، الخالية من الحقائق السامية والعواطف النبيلة والخيالات الجديدة ، فليس لها ، والحالة هذه ، من الشعر الا اسمه .

وقف مطران باكياً ، نادباً ، متوجعاً ، امام قبر الشعر العربي ، يتنشق مرغماً روائح الانحلال الكريهة ، المنبعثة من جثته الهامدة ، فنفخ فيها نفخة شديدة من روحه العبقرية ، فبعث من اللحد ذلك الميت المكفّن منذ قرون بكفن الجمود والابتذال . نظمَ مئات قصائد ، معدنها الشعر المحض ، من الطراز العالي ، شعر الحقيقة والخيال والشعور باسمى معانيها ، شعر لم يسعه قط العالم العربي ، فانقسم عند سماعه الى فئتين ، احداهما اقلية زهيدة ، مؤلفة من المُعجبين المهللين له ، والاخرى اكثرية ساحقة ، مركبة من المتعنتين الجامدين . ولم تزل الاولى تتكاثر والثانية تتضاءل الى ان طار صيت الشاعر البعلبكي المجدد في كل آفاق الشرق العربي ، بل المهاجر العربيّة ، فأقر له بالنبوغ في فن القريض ليس اعلام الادباء المسيحيين فقط ، بل صفوة زملائهم المسلمين .

قال حافظ ابراهيم ، شاعر النيل ، في شأن مطران : « هو في طليعة « اولئك الذين خرجوا عن افق التقليد وصدعوا قيود التقييد ، واوسعوا صدر « الشعر العربي للخيال الاعجمي ، وافسحوا فيه للقصص وتصدير الحوادث ، « وطوّفوا لسرد وقائع التاريخ ، ففتح بذلك فتحاً جديدا ، شن به الغارة « على اهل الحفاظ والتمسك . »

ما الذي جدده مطران في الشعر العربي ؟ كل شيء ، ما عدا الاوزان ؛ جدّد المواضيع والتعابير ، فحسبه بذلك فضلًا بل مجدًا عظيمين ، يخلدان اسمه في تاريخ ادبنا الناهض. نتقصد في هذه العجالة ان نبين بعض الاسباب كيف جدد المواضيع والخيالات الشعرية .

اكب مطران على نظم القريض وهو في شرخ الشباب ، ثم احجم عنه « لانكاره طريقته وجهله حقيقته » ، كما يعترف في مقدمة ديوانه ، « ديوان الخليل » ، المطبوع في القاهرة حول سنة ١٩٠٨ . ثم عاد اليه « وقد نضج الفكر واستقلت له طريقة في كيف ينبغي ان يكون الشعر » ، فاصلحه وانعشه بعبقريته الفائقة وجرأته المدهشة . رأى جل المواضيع الشعرية ، ان لم نقل كلها ، قد انحصرت في دائرة ضيقة ، سافلة ، خانقة ، دائرة التزلف التافه ، والتزلف الى سراة القوم بمدح الاحياء منهم ورثاء الاموات ، والنوح العقيم على اطلال مجد العرب الاقدمين . اين الشعر الحقيقي من هذه الترهات ؟

رأى ذلك الانحطاط المخجل ، فلم يبقَ امامه متوجعاً ، مُطرقاً ، مكبّل اليدين ، بل عقد نيته على اقالة عثرة الشعر العربي . ادرك ان الاصلاح الحقيقي يتناول جوهر الاشياء قبل اعراضها ، فأقدم على تجديد كنه الشعر، اعني مواضيعه.

ما الشعر الامثل ، اذا سبرنا غوره ، سوى فكرة سامية او عاطفة شريفة تجسمت في حادثة او مشهد او خيال ، فأصبحت بذلك التجسد قادرة على هز نياط القلوب بدخولها من ابواب الحواس . كل ذلك قد ادركه مطران بنظره الثاقب ، بل اخرجه الى حيّز الوجود في ديوانه ، فجاء حافلًا باجمل القصائد الروائية والوصفية والخيالية ، منطويةً في الغالب على مبدإ سديد او شعور نبيل ، رقيق .

يضيق المجال عن الخوض في ذلك العباب ذي الهدير الموسيقي المطرب ، فنجتزئ بالاشارة الى بعض امواجه الثائرة ، البديعة الالوان ، تنعكس على جنباتها اشعة الحياة ودياجيها على التوالي ، بتنوع وابتكار عجيبين .

من احسن قصائد مطران الروائية « فاجعة في هزل » و « زفاف ام جنازة » ، تهولنا فيها مفاجآت الحمام لبني آدم الغائصين في لجج المسرات والملاهي ، « نابوليون الاول وجندي يموت » يتجلى فيها تنازل عاهل عظيم ووفاء جنديه الباسل ، « مقتل بزرجمهر » يُرينا استبداد ملك غشوم واقصى دركات العبودية والذل في شعبه . على هذا المنوال قد حاك شاعر القطرين القصائد « ان من البيان لسحرًا » ، « شهيد المروءة » ، « العصفور » ، « وفاء » ، « العقاب » وعشرات من امثالها .

اما وصفه فهو نسيج وحده بدقة التصوير وحرارة العاطفة المندمجة في لحمته وسداه ، سواء اكان مقتبساً من حوادث التاريخ ام من مشاهد الطبيعة ام من الوقائع اليومية ، المبتذلة ، فيصوغ منها الشاعر القدير جواهر قريضه . من طالع وصفه لمعركة واترلو الشهيرة ، فكأنه خاض معمعتها الهائلة بين دوي البنادق وقصيف المدافع . من قرأ « قلعة بعلبك » يُخيَّل له انه يشاهد ابنيتها الجليلة واعمدتها الهيفاء الشاهقة ، هندستها المعجزة ، منحوتاتها الفاتنة ، وما تجسم في كل هذه البدائع الفنية من عظمة الفينيقيين وسمو حضارتهم . في قصيدة « الاهرام » نرى ذواتنا منذ مطلعها قد انتقلنا بغتة ، بقوة مخيلة الشاعر المندفعة بنا كريح هوجاء ، الى ابعد القرون ، التي انبت فيها وادي النيل تلك الجبال الصناعية ، المنتصبة على توالي الاجيال ، شاهدًا رائعاً على كبرياء الفراعنة وذل رعاياهم ،

صُفر الوجوه ، ناديًا جباههم ، كالكلإ اليابس ، يلوه الندى ؛
محنيَّة ظهورهم ، خُرس المطى ، كالنمل دبّ ستكينًا ، مُخلدًا ،
بحجمين ابحرًا ، منفرعين انهرًا ، منحدرين ، صُعَّدًا ؛
اكلُّ هذي الانفس الهلكى غدًا تبني لفانٍ جدثًا مخلَّدًا ؟

ذلك التصوير الحي ، البديع الاشكال والالوان ، المتغلغل في اعماق

النفوس ، كثيرًا مـا نجده في ديوان الخليل ، مثلًا في « تشييع جنازة » ، « وداع وسلام » ، « عود من الصعيد » ، « وفاة الملكة فكتورية » ، ولا سيا في « المساء » التي نعدّها من اجمل ما نظمه نوابغ الشعراء في اشهر لغات العالم .

لا تحتاج مخيلة مطران الجبّارة الى استمداد مواضيع شعره من الحوادث او المشاهد ، فانها قادرة على اخراجه من خزائنها الحافلة بانواع الآيات ، كما ترى في « السور الكبير في الصين » ، « الترجمة » ، « الزُهرة » ، « فنجان قهوة » « الطفلة البُوَيرية » و « مغيب في البزوغ » .

حتى في معالجة المدح والرثاء ، اللذين تدعو اليهما الشاعر بعض الظروف ، نراه يبذل قصاراه لحلّها من ربقة التقليد والابتذال ، محاولًا استخدامهما بقدر الامكان للتعبير عما يدور في خلده من افكار عالية وما يخفق في قلبه من عواطف نبيلة . مثال ذلك ما جاء في آخر رثائه لاسماعيل بك عاصم ، وكان قد مات غريقًا :

وبما تقسنا من صروف زماننا سيُديلنا منها القدير ، الدائمُ ؛
ان الذي وارى شقيقك فاختفى فيه(١) ، ولم ينشُر عليه الراثم ،
سينوله بحر الفنـاء كقطرة ويسيغه العدم الشروب ، الحاضم !

تلك بعض التفاصيل الموجزة في شأن التجديد الرائع الذي احدثه شاعر القطرين في مواضيع القريض ، وما هي سوى حفنة من كثيب . قد رمى اليه بهمة قعسا ، ، تطأ العقبات الكؤود وطأ ، بل بنبوغ نادر المثال ، قد اضطر الدّ الخصوم الى اعظامه ، فحقّ له ان يقول في ختام مقدمة ديوانه : « لذلك عملت وذلك منتهى ما املت ، فان الناس ركب شقاء وسفر هباء ؛ « فما اسعد حاديهم – وهو الشاعر – اذا حدا ، ان يُحس لنغماته ، عند اخوانه « في المسير ، رنة وصدى . »

لم يقصر مطران تجديده الجريء على مواد القريض ، بل قد ادخل في نطاقه الواسع الخيالات الشعرية الرائعة الجمال . يتضح ذلك اولًا في تصويره محاسن

١) يعني البحر الذي غرق فيه المرثي .

الطبيعة بريشة الابتكار والابداع ؛ هاكم بعض الامثلة على نبوغه في ذلك الفن . قال في وصف شمس الخريف :

تبث الشمس باهرات شعاع ٍ تغتذي في انحدارها شبه رُبدِ ؛
فهي في الافق تارةً مسحاتٌ من جمارٍ وتارة نثر وردِ ،
وهي بين الغصون نسجٌ دقيقٌ من نضارٍ يشف عن لازوردِ .

ما اجمل تصويره للشمس الغاربة :

مرت خلال غمامتين تحدرًا وتقطرت كالدمعة الحمراء ،
فكأن آخر دمعة للكون قد مُزجت بآخر ادمعي لرثائي ،
وكأنني آنست يومي زائلًا ، فرأيت في المرآة كيف مسائي !

وما اجدَ وصفه الغروب :

أَوَ ليس نزعًا للنهار وصرعةً الشمس بين جنازة الاضواء ؟

يُعير البحر بل الكون احمع شدة اسى نفسه ، فينشد :

والبحر خفّاق الجوانب ، ضائقٌ كمدًا كصدري ساعة الامساء ؛
تغشى البريةَ كدرةٌ وكأنها صعدت الى عينيَّ من احشائي !

له طرائف فتانة في وصف الليل وبدره ونجومه ؛ دونكم شيئًا منها :

حبـذا البدر مؤنسًا يتجلى كحبيبٍ بعد التغيب قادمْ .

حتى اذا اعتكر الظلام ومُزّقتْ احشاؤه فَدَمِينَ بالاضواء .

وللازاهرِ فكرٌ يرويه عنها العبيرُ ،
والبدر في الغيم يخفى آنًا وآنـًا يثورُ ،
والسُحب شبه جوارٍ لدبـه وهو اميرُ ،
تـدنو اليه فتُلقي تحيـةً وتسيرُ ؛
منـاظرٌ رائعـات ، مرآتهن الغـدير .

قال عن الليل وقد شاهده بعينيه المفعمتين كآبةً :

ضـني مُثقلًا جسمي كبحرٍ ضم في جوفه البعيد غريقًا ؛
احسب السُرج في حشاه قروحًا وارى الشهب في سماه حروقًا !

ما احسن ابتكاره في وصف سرى باخرة :

حرت بنا الفُلْكُ على الدأماء خافقة الفؤاد الوجلاء ،
خفيفةً كالظل في الاسراء ، تبدي اقترارًا في ثنور الماء .
كأنما طرينها مرائي والشُهب فيها اعينٌ روائي ؛
كأنها في سمة الفضاء جنازةٌ لميْتِ الاحياء ،
بمشهدٍ من عالم الاضواء في متراءى البحر والسماء .

ما اكثر الخيالات الجديدة في هذا البيت من قصيدة حاوية وصف روضة :

«ا اقر المياه فيك وما الهب النور وما اجزع الظلال الحوالم !

وفي تصويره فداحة قيظ مصر :

اوقد الصيف في الصعيد لظاه ، فأجف الحقول والآجاما ،
وغدا الناس بين جوٍ كثيفٍ ، مترد من الغبار غماما ،
وفلاةٍ كأنما الرمل فيها شررٌ مدّ لجةً واضطراما

شاعريته الفائقة تشاهد في احقر الاشياء رموزًا مصغرة لاعظم بدائع الكون :

ارأيت صوغ الدر في الغليان ؟ هذا حُباب البن في الفنجان ؛
فلكٌ تمثّل شمسه ونجومه افلاكنا في السير والدوران .
ليلى ، اجيلي الطرف فيه تنظري سر الكيان وآية الازمان !

يمثل ذلك الابداع وتلك الكثرة الساحرة من الخيالات المبتكرة يصف احوال النفس البشرية . يشبّه زوال محنة ثقيلة بسحابة دكناء غشيت البدر ثم انقشعت عنه :

تمر بعيدًا عن معالي سمائه وتمضي عبوسًا وهو جذلان ينثرُ .

يرى عودة الفرح بعد انقضاء دور الاسى :

كشموس ايام الشتاء ، اذا انجلت ، عاد الضياء مضاعف اللألاء .

قال في وصف افناء الامراض والاحزان لبقية قواه :

قلبٌ اذابته الصبابة والجوى ، وغلالةٌ رثّت من الادواء ،
والروح بينهما نسيم تنهدٍ في حالَي التصويب والصُعداء ،
والعقل كالمصباح يغشى نورَه كدري ويُضعفه نضوب دمائي !

وفي وصف سهده :

اری مثل سهديَ في الكوكبِ ؛ احلّ بِه مثلُ ما حل بي ؟
جِسم هيامِيَ من وجده وجرب من مهده مهربي ،
ونجتاز هذا الفضاء الرحيب إلا بنا ، فهو لم يرحُبِ !

وفي تصوير الكلمات الاخيرة على شفاه منازع :

كلِمٌ كستهنَّ الكآبة لونها ، فحكين انوار الزوال غروبا .

وفي هول آلام المريض الذي افل عنه نجم امل الشفاء :

القبر افضل للفتى من مضجعٍ فيه يقلّب موجعًا تقليبًا ،
وجلامد الارماس اهون محملًا من ان يحمّل مثلهنّ كروبا !

وفي ارتياعه من الموت امام قبر جديد :

وقفت على القبر الذي انت نازلُهْ وقوف جبانٍ باديات مقاتلُهْ !

وفي حرص والد على حياة ابنه الشاب المدنف :

أنشِقه روحك وأسقه ما قطّرته مقلتاكْ ،
واجعل ضلوعك دِفأه ، وغذاءه باقي قواكْ ،
وأخبؤه خبء العين في الجفنين ما شاءت مُناكْ !

وفي انعاش اللطف للروح اليابسة :

فيقيم الآمالَ في النفس كالنور يُحيل البزور زهرًا انيقًا .

وفي سحر بيان خطيب مصقع :

رب جمعٍ وقفتَ فيه خطيبًا ، انصتت في صدوره الاكبادُ ؛
هكذا البحر يملأ الحس روعًا وجلالًا دويُّه المدّادُ ؛
هكذا السيل قاذفًا ماءهُ المبيضّ حتى يُظن فيه اتقادُ .

وفي مرح طفلة :

كل مكان تكون فيه يقلقه وثبها مرادْ ،
كأنها طائرٌ حبيسٌ في قفصٍ يبتغي الفرادْ .

وفي ذل شعب مستعبد :

واذا اذبتَ الشحم عن اجسامهم نمبًا ، فان نفوسهم لا تنمو.

وفي رثاء قوم بحضرة ملكهم الغشوم :

يُبدون بِشرًا والنفوس كظيمةٌ يُحملن بين ضلوعهم اجبالًا ،
تجلو اسرّتهم بروقُ مسرةٍ ، وقلوبهم ندمى تجن نصالا !

وفي وصف جندية متنكرة بثوب المحاربين :

لهيب الحروب على وجنتيه والنقع في شعره الاسودِ ،
وفي عينه مثل برق السيوف ، وظل المنية في الأغيدِ .

وفي زحف جيش البُوير الابطال على الانكليز :

أُنظر الى فرسانهم ثاروا كاعاصيرٍ هُجُمْ ،
والى المشاة كأنهم سودٌ يسير على قدمْ !

وفي تراشق عسكري نابوليون الاول واعدائه بالقذائف :

شُهبٌ ضخامٌ آتياتٌ والردى يسيرهن ، ومثلهن غوادِ ؛
تلقي الرجال على الثرى قتلى كما يلقي السنابلَ منجل الحصادِ . . .
واذا التقى بطلان لم يتجندلا الا معًا من شدة الاحقادِ !

وفي منح ذلك العاهل وسامًا لجندي جريح :

وزاد ندًى فقلّده وسامًا وكل جراحة فيه وسامُ ؛
تلقاه وفي عينيه شكرٌ تسلسله مدامعهُ السجامُ .

وفي إقدام الفينيقيين جوّابي البحار :

خضعَ البحر يوم كان عصيًّا ، لم يُسخر لفوقٍ من بحَّارِ !

مقدرة مطران الرائعة على ابتكار آلاف الخيالات تسطع على الاخص في تنوع معالجته لموضوع واحد . اتقاء للاطالة المملة نكتفي بذكر بعض ابياته في قصائد الرثاء الكثيرة في ديوانه . قال وهو يندب راهبًا ورعًا :

صلى صلاة الصبح من عمره ثم على الإثر صلاة الغروب.

وعند موت فكتورية ملكة انكلترة :

كأن نجوم الليل حراس نومها ؛ وانوارها شبه الدموع تسيلُ ؛
كأن بزوغ الشمس بعد احتجابها لتنظر حال الحسن كيف يحولُ ؛
كأن جنود البر سارت بنعشها جبالٌ رمالٍ تنثني وتميلُ !

وفي وصف جنازة مصطفى باشا كامل ، البطل الوطني المصري :

بحرٌ من الاحياء تنشلت فوقه فُلكٌ يظللها اللواء مرفرفاً !

وفي فتاة اذبل الموت زهرة صباها الفاغمة :

اتاها على غير ارتقاب بخدرها سريعاً ، خفيفاً ، خارق الحجب كالفكر ،
وقبّلها فاستل جوهر روحها وابقى على رسم كبعض الدمى النُّر !

وفي وفاة اميرة نقية السيرة :

فقد صعدت نفس الاميرة في الضحى الى الله واستودعتم صدف الدر ؛
تحملها نورٌ الى جنة العلى كما تحمل الانداء اجنحة الفجر

وفي سرعة رحيل احد معارفه الى عالم الابدية :

اقبلَ من عدمٍ ورحت مسلّماً فودعاً فمفارقاً فرميا !

وفي نهم اللحد الذي لا يشبع من التهام ملايين البشر :

وما القبر الا حلق غرثانَ هاضم من الموت ما يُلقى به ، فهو غائلهُ !

خلاصة القول ان خليل مطران ، بتجديده المظيم للمواد والخيالات الشعرية قد ظهر في عصرنا بمظهر راقٍ عجيب القدرة ، قد ضرب بقضيبه السحري آداب القريض العربي ، التي كانت في الغالب عجوزاً شوهاء ، قاحلة ، مغضّنة الخدين ، كدرة العينين ، محنية الرأس ، بالية الشباب ، فحولها الى فتاة نضيرة الشباب ، فاتنة الجمال ، ساطعة المقلتين ، مستوية القامة ، تزيد ملابسها الجديدة الفاخرة المدبجة بازهى الالوان فتنتها للانظار والقلوب .

اخبار العالم

اخبار دينية

مؤتمر برشلونة القرباني : في التطواف البديع المهيب الذي اختتم مؤتمر برشلونة القرباني وجّه الحبر الاعظم باللاسلكي خطاباً جميلاً الى الجماهير المتجمعة لاكرام المسيح في سرّ الاوخارستيا فيه تكلم عن السلام هذا السلام الذي يجهد عالمنا المضطرب في البحث عنه والتوصل اليه دون جدوى فقال : ليس سلام حقيقي الا الذي يأتي من الذي سُمّي رئيس السلام . السلام الذي يصدر كعنصر جوهريّ من الإخاء والحب السلام الذي ينبجس من اعماق كياننا المسيحي .

قبل انتهاء التطواف التحق به الرئيس فرنكو يصحبه وزراؤه وسار وراء القربان الاقدس ثم كرّس بلاده لإله الاوخارستيا .

الكشافة الكاثوليكية والاب الأقدس : في ٦ حزيران صار في روما افتتاح مؤتمر مديري الحركة الكشفية الكاثوليكية الدولي ودام ثلاثة ايام . وقد تشرّف المؤتمرون بمقابلة قداسة البابا فألقى عليهم خطاباً مُرحباً جم مُثنياً على عملهم الكشفي مُشجعاً ناصحاً وذكّر الكشاف بان : الحبّ الذي كان ولم يزل في قلبه لاقنوم ابن الله رئيسه الاعلى الذي هو الطريق والحق والحياة يجب ان يبقى فيه نوراً وسنداً دائماً لجهوده اليومية .

في دير عنايا (لبنان) : في ٧ آب كشف من جديد في دير عنايا عن حالة جثمان خادم الله شربل مخلوف وكان قد مرّ سنتان على فتح قبره آخر مرة في ٤ آب ١٩٥٠

بين الذين حضروا هذا الكشف نيافة الكردينال تبوني يحفّ به عدد غفير من اساقفة الطائفة السريانية الكريمة واصحاب السيادة المطران نجيم القنوص البطريركي الماروني والمطران زياده رئيس اساقفة بيروت والاب موسى عازار رئيس الرهبانية البلدية العام يصحبه مدبرو الرهبانية والاب عمانوئيل ناصيف وكيل الدعوى الكنسية في روما وغيرهم من اعضاء اللجنة والرهبان البلديين .

وحضر الكشف الاطباء الدكاترة تيوفيل مارون وشكري بلان ورشد خاطر ونجيب روحانا والياس جبر والبر حلو ومارون باحوط والمهندس السيد ابلي خوكاز مرافق نيافه الكردينال .

وبعد ان تثبت الفاحصون سلامة اختام التابوت التي وضعت في كشف آب ١٩٥٠ فتحوه فوجدوا الجثمان كأنه قد غُمس بالماء والثياب مبللة بالية الا البطرشيل الاحمر وقد تبلل الحجران اللذان كان التابوت موضوعاً عليهما بالعرق الدموي الجاري من الجثمان .

بناء على موافقة مجمع الطقوس الشرقية المقدس بدأ عرض الجثمان الطاهر بعد ان أُلبس ثياباً جديدة ووُضع في تابوت جديد في دير مار مارون عنايا مدة خمسة عشر يوماً من ١٠ آب الى ٢٥ منه من الساعة الثامنة صباحاً الى السابعة مساء حسب نظام دقيق لمختلف الزوار أُذيع في صحف لبنان فتقاطرت جماهير لا يُعدّ لها عديد لرؤيته والتبرك منه واستمداد الشفاء وقد أتى كثيرون منهم من بلاد قاصية خصوصاً من فرنسا . اما رهبان الدير فقد قاموا خير قيام بالمحافظة على النظام المرسوم والعناية بقاصدي شفاعة خادم الله اخيهم شرف عائلتهم الرهبانية والشرق والكنيسة جمعاء .

اخبار عالمية

عمان : في ٤ حزيران الماضي كانت الحكومة الاردنية قد اضطرت الملك طلال بعد عودته من اوروبا الى تسليم زمام الحكم وقتياً الى مجلس وصاية ينوب عنه حتى تعود اليه قواه العقلية تامة بعناية اطباء اختصاصيين وبعد ذلك يرجع الى حكم بلاده من جديد .

ثم في ١٢ آب اجتمع مجلسا الدولة للمناقشة في امره اذ قد تبيّن لهم جلياً انه لم يبقَ من امل لشفائه فارتأوا وجوب ابعاده نهائياً عن الملك ونادوا به لابنه ووليّ عهده الامير حسين وعُيّن بعد ذلك مجلس وصاية بثلاثة اعضاء للقيام بأعباء حكم البلاد الى ان يتم الملك الجديد سن البلوغ وهؤلاء الاعضاء الثلاثة هم رئيس مجلس الاعيان ونائبان .

كوريا : انتهت سنة اولى وبدأت الثانية على محادثات وقف القتال في كوريا ولم تزل في مأزق لا سبيل للخروج منه من جرّاء معضلة تسريح الاسرى . وقد كانت هذه السنة سنة جدال عنيف ومشاهد مسرحية بمحادثاتها واجتماعاتها الجائشة ومفاجآتها المختلفة العديدة تتبادل فيها التشكيات والمناقضات بينما المعارك الشديدة تشب من زمن الى آخر وتقصف طيارات حربية عديدة باطنان القنابل شتى المواقع والمدن واهم هذه الغارات الجوية الغارات التي ضربت في ٢٤ حزيران مواقع انشاءات توليد الكهرباء في يالو على حدود منشوريا : غارات أقامت وأقعدت الرأي العام في انكلترا خصوصاً وقد انتقد البعض باشمئزاز وجزع هذه الغارات والبعض حبّذوها . يرى الاولون منهم ضرورة تجنّب كل ما من شأنه ان

بوسع ميدان الحرب فيتمسكون بسياسة الاعتدال والتمهل والآخرون يرون ان استعمال الشدة الى اقصى حدودها خير وسيلة لانهاء الحرب الكورية بل هي الوسيلة الوحيدة .

ولمولدات الكهرباء هذه أهمية عظيمة لانارة كوريا الشمالية وجزء من منشوريا واعطاء القوة المحركة الضرورية لمصانعها . وكان اليابان قد انشأوها قبل الحرب الكونية الثانية حيث كانوا يحتلون منشوريا .

مصر : منذ تصادم المصريين والبريطانيين في الاسماعيلية وثورة القاهرة الدامية في كانون الثاني من هذه السنة لم تزل الحالة في مصر حرجة خطيرة لاسباب نعرفها من مشاكل سياسية واجتماعية واقتصادية داخلية يصعب حلّها خصوصاً في اوقات الهيجان والمشاغب . لذلك رأينا في هذه الشهور الاخيرة الوزارات في مصر تتسارع بقيامها وسقوطها لعدم توصلها الى تهدئة الخواطر واعادة السلام والطمأنينة وابلاغ البلاد الى امانيها .

في ٢ اذار استقال من الرئاسة علي ماهر باشا فعقبه نجيب الهلالي باشا فاوقف مجلس النواب ثم حلّه في ٢٥ اذار ووعد بانتخابات جديدة بعد ان يتم اصلاح قانونها واتما ستجري في وقتها حسب دستور البلاد . لكنه في ١٠ نيسان عاد فأرجأها الى زمان غير محدّد . ثم ترك الحكم في اواخر حزيران فخلفه سرّي باشا وانتهى في ٢ تموز من تأليف وزارته وقد انتخب للوزارة الجديدة رجالاً لا ينتمون الى الاحزاب السياسية اغلبهم من قدماء الموظفين وجهد في ايجاد تعاون بين القصر والوفد واهتمّ لاعداد انتخابات جديدة فتعود الى مصر حياتها الطبيعية لكنه لم يلبث ان اضطر هو ايضاً الى تقديم استقالة وزارته في ٢٢ تموز وقد يكون من اسبابها تصلب الوفد في مطاليبه وعدم نجاح المفاوضات مع السودانيين وشدة موقف البريطانيين ازاء الاماني المصرية .

عُهد اذ ذاك الى حافظ عفيفي باشا بتأليف الوزارة فلم ينجح فكُلّف هلالي باشا بذلك عندئذ فوجئت مصر بانقلاب عظيم قام به الجيش بقيادة الزعيم محمد نجيب ذهب بوزارة الهلالي فدُعي علي ماهر باشا الى تأليف الوزارة . ثم اضطر الملك فاروق في ٢٧ تموز الى ترك مُلكه لابنه وولي عهده احمد فؤاد الاول وهو طفل ستة اشهر .

استقبلت مصر الانقلاب وذهاب فاروق بهدوء ورضى وقد وضعت ثقتها بمواعيد الحكم الجديد مواعيد اصلاح جريء تامّ سياسياً واجتماعياً واقتصادياً . حقق الله آمالها ووطّد فيها دعائم السلم والعدل لجميع ابنائها دون تمييز ولا تفرقة .

ايران : ملكان يقاتلان للمحافظة على عرشهما . هذا ما كتبته احدى جرائد لوندرة عن مصر وايران منذ اشهر قليلة . وها قد سقط احد المرشحين .

الحالة في ايران غامضة حرجة خصوصاً منذ اضطر الشاه الى قبول وزارة مصداق الجديدة ونيلها حكم البلاد المطلق .

بعد ان استقال مصداق في ٦ تموز ألح مجلس النواب مطالباً بعودته وكان هو يظهر عدم القبول والاصرار عليه . ثم انه لم يرضَ بتسلمه الا بشرط ان يُعطى لمدة سلطة الحكم المطلق . فأبى له الشاه اولاً ذلك ودعا في ١٩ تموز السيد غوام سلطانه الى تأليف الوزارة الجديدة ففعل . حينئذ هاج الشعب وبدأت المظاهرات والمشاغبات الشديدة الدامية خصوصاً في طهران وكرمنشاه وعبدان مطالبة بمصداق . فأجبرت وزارة السيد غوام السلطنة على الاستقالة ودُعي مصداق من جديد الى الحكم في ٢٧ تموز وفي ٤ آب منحه مجلس النواب السلطات المطلقة التي طلبها ومثله اضطر مجلس الاعيان ان يفعل في ١٢ منه متردداً مرغماً .

بعد هذا النجاح حاول حزب توده المائل للشيوعية ان يستغل الظروف ويستفيد من الاضطرابات القائمة لمصلحته فصار يهيج الجماهير وينظم المظاهرات العنيفة في ٢٠ و ٢١ و ٢٣ تموز فصمدت الحكومة امامه وقمعت اعماله بشدة عظيمة . وقد يكون مصداق ازاء هذه الحوادث وما قد ينتج منها لبلاده من الاضرار قد فطن الى مصدر هذه الاضطرابات وغاياتها لذلك اعلن حالة الطوارئ وكأنه منذ ذلك يتطلع الى القصر كالى حمى الاستقرار الضروري لخير بلاده واستتباب السلام فيها وما كان الى ذلك الحين ينظر اليه الا بشيء من النقمة والعداء .

مطبوعات شرقية

كتاب التشبيهات لابن ابي عون

عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان

طبع في مطبعة جامعة كمبردج سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م.

« E. J. W. *Gibb Memorial* » Series, new series, XVII

مما يجمل من هذا الكتاب وسيلة من خير وسائل العمل توطئته باللغة الانكليزية وفهارسه العديدة والهوامش الرصينة التي علقها في نهاية الصفحات. اما الكتاب الذي طبعه عبد المعيد خان فهو من مؤلفات ابن عون المشهورة الذي يحوي منتخبات شعرية كثيرة استمدّها ممن سبقه من الشعراء.

ونستطيع ان نقع في هذا الكتاب فيما يختصّ بالمنازع الادبية وضروب الشعور الانساني على استشهادات من اوزان عديدة هي خير أو من خير ما جاء عند شعراء العرب.

والذي لا شك فيه ان الناشر قد دأب في العمل اذ كان عليه ان يطّلع على شتى المستندات في مختلف كتب المؤلفين التي اشار اليها وعلى العديد من نسخ مخطوطاتها حتى جاء موفقاً في عمله.

وانا لنستميح للنفس ان نوجّه له نقداً بسيطاً وهو اننا كنا نروم من المؤلف ان يكون اشد توسّعاً في وصف المخطوطات التي عوّل على استخدامها اذ في ايضاحه هذا كان بمقدوره ان يمهد امامنا الطريق لنكون حكماً على قيمة المخطوطة التي اختارها.

ومهما يكن من امر فالطبعة على ما هي عليه ممتازة ولا يقلل نقدنا لها شيئاً من قيمتها.

ا. ع. خليفه

مقالة في اليزيدية — كتاب تذكرة الكحالين

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

ظهرت تباعاً في مجلة المشرق سنة ١٩٥١ و ١٩٥٣. المطبعة الكاثوليكية. بيروت

لقد اصدر حضرة الاب المحترم الذي يدأب منذ سنوات عدة في البحث

والتنقيب عن المقالات والنصوص الشيّقة القيّمة التي ينشرها في هذه المجلة مؤلفين يدلّان على غزارة علمه وطول باعه .

ومن المستحيل اذا ما قرأنا كتاباته ان نمسك النفس عن الاندهاش حيال ما تحلّى به من ثبات وجلد لتدوين ابسط الشؤون فهو الذي احب العلم للعلم والاداب السائرة دائماً صعداً في تقدمها .

ولقد انتهج حضرة الاب شبلي نهجاً علمياً في بحوثه اذ لا يقدم على نشر امر من الامور ما لم يشبعه درساً وتمحيصاً وكفى باسلوبه هذا ليحبّب الى ذوي الاحتكاكات الدقيقة مطالعة كتاباته . فكتابه الذي موضوعه اليزيدية من المؤلفات التي يجد فيها مؤرخو الاديان ما يحملهم على التفكير والاطباء الذين يرغبون في التعليل الرصين الواضح والعلاجات التي كان يصفها من سبقوهم يجدون في تذكرة الكحالين ما يبيب بهم الى الاقتباس والاعجاب . ا. ع. خليفه

الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكو لانزا

عربها عن النص الايطالي القس روفائيل بيداويد

مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٥١ ، ٧٨ صفحة

على رغم صعوبة الترجمة فقد وُفّق الاب بيداويد في عمله اذ وضع في متناولنا ترجمة قصة رحلة لانزا الدومينيكي بلغة لا تشوبها شائبة من حيث الوضوح المستوفي . فهي حوليات تبعث تاريخ الموصل حيّاً للقرن الثامن عشر اذ رواه شاهد عيان . ولئن طفح هذا المؤلف بنفسية المؤلف فهو ينفحنا بمجموعة تفاصيل الحوادث . ولا يسعنا الّا تهنئة المترجم على اتحافنا بمثل عمله وتشجيعه على الاستمرار في الترجمات التاريخية التي تزيد في ثروتنا وتعرفنا الى مناطق نكاد لا نعرفها حتى المعرفة حتى الآن . ا. ع. خ

ديوان شبلي الملاط

الجزء الثاني . طبعة ربيع عام ١٩٥٢ ، ٥٢٢ صفحة

يا لها من مادة غزيرة ! ويا لها من موضوعات في محلها !

اجل ان الملاط شاعر الارز قد جعل نفسنا تستشعر اذا ما قرأنا ديوانه

نفس التأثير الذي تستشعره اذا ما نظرنا الى ارز جبالنا الخالد: تستشعر اتساعه ونداوته وعمق جذوعه . كاتساع افاق الشاعر ونديّ قصائده ، هذا الشاعر الذي لم يستغلق عليه باب من ابواب القريض ولم يقصر في توسيع موضوعاته وتعميق شعوره ليهزّ اوتارنا .

بَلَهَ كل هذه هي شاعر الارز الملاط . ويا لها من حماسة كانت تلهب من الضلوع عندما قرأنا قصائده وتحسسنا تلك الحياة بنبضاتها وتقلباتها التي نسج منها بردة ديوانه حتى كاننا نتأثر التاريخ خطوة فخطوة ، لا تاريخ رجل فحسب ، بل تاريخ حقبة عظيمة الاهمية في حياة لبنان . ومنذ زمن بعيد امتزج هذا الرجل بتاريخ بلاده وخدمها باظهار عبقريتها وما لها من قيمة حتى لا يمكننا فصله عنها ولا بدّ له من الخلود. ولا شك في ان احفادنا سيتغنون بقصائد هذا الشاعر الفيّاض القريحة ليعرفوا ان لبنان لم يفتقر الى الشعراء ليخبروا بعظمته ويبيّنوا جماله عبر تاريخه الطويل. ا. ع. خليفه

الى الشباب. اراجيز في احدث وسائل النجاح من الاخلاق والآداب

خليل مطران

المطبعة البولسية – لبنان – ١٩٥١ ، ١٢٥ صفحة

طاب للشاعر الكبير خليل بك مطران ان يضع في متناول الشبان الذين احبهم نصائح شعرية توخّى بها تقويم سلوكهم ونجاحهم في حياتهم فلم يضن عليهم باسدائهم المبادئ الاخلاقية الاجتماعية والفردية المفتقرة اليها ايماننا اشد الافتقار ولاسيما بعد ان اظهر ابناء عصرنا رغبة في الانصراف عن الاخذ بها تزداد يوماً عن يوم.

ونحن لا نستطيع ألا ان نتوجه بشكرنا لجامع هذه الاراجيز السيد البير مطران وناشرها. ا. ع. خ

الوعد الحق

طه حسين

دار المعارف بمصر ١٩٤٩

الوعد الحق رواية تاريخية للاديب الشهير طه حسين . طُبعت صفحاتها المئة

والستون خلال سنة ١٩٤٩ على مطابع دار المعارف بمصر . إنتهج طه حسين في هذه الرواية منهج جرجي زيدان في رواياته التاريخية . وما الوعد الحق سوى رواية نشأة الدين الاسلامي ونطوره في بعض عائلات مكية . صرف المؤلف جهده عن الطبقتين الشريفة والمتوسطة الى الطبقة المسترقة المستعبدة . فعرض منها رسوماً فردية وصوراً عائلية ومشاهد اجتماعية يبدو فيها الانسان الرقيق معدوم الارادة مهضوم الحق مقهور النفس والجسد . كقول الرق رباح مخاطباً مولاه خلفاً :« متى ينقضي هذا الليل ومتى يسفر عن الصبح المشرق؟... هذا الليل هو الدهر الذي نعيش فيه والذي يُسوّى فيه بين الارقاء وتُغدَق فيه الحرية بين الاحرار . أمّا الصبح فهو الزمان المقبل الذي يُسوّى فيه بين الاحرار والعبيد ويتمايز الناس فيه بأعمالهم وبلائهم لا بمنازلهم وحظوظهم من الثراء » . فهذا الصبح الذي يرقبه رباح ليس إلّا دين محمد ووعده الحق . واجتهد الكاتب في تصوير هذا الدين الجديد الذي لا يفرق بين الحر والرقيق ولا يميز بين الناس إلّا بالتقوى وبما يعملون من صالحات . غير ان ذاك الانعتاق وتلك المساواة لا يتمان بلا نزاع وصراع . فنشهد في الوعد الحق حرباً عنيفة بين بعض العبيد واربابهم وبين المسلمين المحدثين وابناء قريش الوثنيين . وسفرت تلك الحرب عن انتصار الحق على الباطل بسدّ الحريّة مسد العبوديّة .

ان اسلوب طه حسين القصصي الرائع والنَفَس الحنون الذي بثه في « الوعد الحق » يستران ما فيه من غموض في التصميم وتفكك زهيد بين المشاهد والفصول . ونلحظ بعجب عدد الاخطاء المطبعية الطفيفة التي سها عنها ملتزمو طبع الكتاب ونشره.

ص. تعمه

اعلام الاسلام ـ ابن رشد الفيلسوف

للاديب محمد يوسف موسى

دائرة المعارف الاسلامية بمصر

اصدر الاديب محمود يوسف موسى في مجموعة اعلام الاسلام كتاباً عنوانه : « ابن رشد الفيلسوف » . ارانا الكاتب ابن رشد في عصره وموطنه وأسرته ثم بسط لنا شيئاً من علمه وفلسفته . ولخص رسالته الادبية بجملة :« الانتصاف

للفلسفة ورد اعتبارها لها واحياؤها بعد ما لقيت من الغزالي ، والتوفيق بينها وبين الدين والشريعة ». لا ريب ان صفحات الكتاب المئة والخمس عشرة تضيق جدًا باستقصاء سيرة ابن رشد وفلسفته . ويبدو جليًا ان الكاتب ما طمح الى ذلك . لكنه اراد تلخيص بعض مظاهر حياة الفيلسوف وعرض نقاط فلسفته الاساسية دون تنقيب وتمحيص . نظنه قد وُفق الى ذلك تمام التوفيق . إلّا ان وسع الموضوع وضيق المجال لديه حتما عليه حصر افكاره فجاءت بعض جمله غامضة معقدة.

ص. نعمه

الازائية الانجيلية

نظّمها باليونانية والفرنسية الابوان لاكرانج ولافيرن الدومنكيان

نقلها عن نصها الفرنسي الى نص عربي الاب مرمرجي الدومنكي

مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونيه — لبنان ١٩٤٨ ، ٣٦٦ ص

لقد كان الباحثون وعلماء الكتاب المقدس ينتظرون بفارغ صبر ومنذ زمن بعيد كتاباً شديد الجدوى كمؤلف الاب مرمرجي الذي صارحنا بانه قد اختار فيه ترجمة المطران داود للانجيل لان هذه الترجمة واضحة ودقيقة وقريبة جدّ القرب من النص الاصلي .

وهذا الكتاب مزيل بفهارس تسهّل استشارته وتحمل من يودّ الالمام بلحظة واحدة باحد نصوص الانجيل التي رواها الانجيليون الثلاثة على ان لا يستطيع الاستغناء عنه. لان الكتاب جدير بكل انسان اقتناؤه .

ا. ع. خ

سر المحبة

الاب بطرس ساره

بيروت ١٩٥٣ ، ٢٥٨ ص

انها النفس المفعمة بالمحبة ، محبة الباري فترجمت مؤلف نفس ثانية ملؤها الله واعني بذلك ان الترجمة الرائعة التي نفحنا بها الاب ساره لتساعد النفوس المتعطشة للسرمدي على ان تأتي اليه وترد منه الحياة . — وتردان هذه الترجمة بشعائر تقوية الممارسة من شأنها ان تأخذ بيد المؤمن في ورعه وتعبّده.

ا. ع. خ

كتاب استغاثة الانفس المطهرية لشهر تشرين الثاني

اعتبارات تقوية في حياة العذراء المجيدة

وضعها قدس الابائي المحترم اغناطيوس داغر التنوري

بيروت ١٩٥٢ ، ١٢٩ و ١٥٩ ص.

هما كتيبان يطفحان بنفس هذا الراهب الكبيرة الذي آثر حياة العزلة حاملاً النفس الى مناجاة ربه. وقد اتحفنا بهذه الوزنة مع كل ما لها من عذوبة وما فيها من تقى.

والكتيبان جزيلا الفوائد وعميا الخير للنفوس التي تبحث عن النور في مسالك هذه الحياة الصعبة. ا. ع. خ

P. Joseph Nasrallah. — *Saint Jean Damascène, son époque — sa vie — son œuvre*. Harissa, 1950, XV - 200 pp.

ليس تدوين تاريخ القديس يوحنا الدمشقي من الامور السهلة ومع ذلك فقد وُفق المؤلف باتحافنا بها فاحيا امامنا اولاً البيئة التاريخية التي كينت عقلية يوحنا لينتقل بعد ذلك الى محيطه العيلي الذي تلقى فيه الفضائل وتميز فيما بعد ومن ثم الى التحدث عن ذلك القديس في خدمة الخلافة ووفائه لها فانتقاله الى دير القديس سابا ومن ارهاف عبقريته ومناضلته لمذهب محطمي الايقونات واخيراً عن موته.

وقد خصص القسم الاخير من كتابه بدراسة مؤلفاته وتراجمه العديدة ونفوذه. ويطيب لي ان اثني على ميزة هذا العمل العلمي كالطريقة المضبوطة التي تقيّد بها المؤلف وحافظ عليها الى درجة التطرّف احياناً بالتقيّد.

ولا يسعنا الا ان نهنئه على ذلك كما نشكره ايضاً على ارتياده المصادر وجمعها ليتحدث عنها تحدث المطلع العارف بيـد اننا كنا من الراغبين في ان يرشدنا الى النقاط الجدلية في حياة القديس يوحنا الدمشقي. ولقد اشار اولاً الى اصله واتّهم بالتحيّز الذين يجعلونه من اصل سرياني. ومما يبدو لنا ان ثمة نقاطاً اخرى كان حرياً درسها وهو لم يشأ درسها تفادياً عن مناقشات لا طائل تحتها.

والذي كان موضوع رغبتنا بخاصة هو وقوف المؤلف قليلاً بعد ان تحدث عن مختلف البيئات التي المنا اليها ليعطينا صورة عن نفسية القديس الدينية اشد تفصيلاً ويرينا اياها مع كل ما كانت تختلج به من خلال كتاباته العديدة.

فالطبعة الثانية ستسد هذا الخلل ، ان شاء الله . اما المؤلف فقد شجع اخوانه الشرقيين على بحث تاريخ رجل واحد بحثاً لا يقل علماً عن هذه « الحياة » .
وهكذا يكونوا خدموا التاريخ والادب والكنيسة . ا. ع. خليفه

ABBÉ G. RÉMY. — *De la création à l'ère atomique.* — *Autour de la Bible.* — Bonne Presse, Paris, 1951, 209 pp.

ما اجزل الفوائد التي يسديها هذا الكتيّب للطلاب ورجال العلم اذ يجدون فيه المبادئ لحلّ المصاعب التي يصطنعها غير المؤمنين ضدّ اقوال التوراة . فهو خير مرشد للمؤمنين لانارة طريقهم وتلقينهم كيف ينبغي لهم ان يطالعوا الكتاب المقدس ، اما مستندات المؤلف العلمية فبغاية الضبط وعصرية . اما كتابه فجدير به ان يكون واسع الانتشار بالنظر الى الخير العميم الذي ينجم عنه . ا.ع.خ

R. P. A.-S. MARMARDJI, O. P. : *Textes géographiques arabes sur la Palestine.* XVI.I — 270 pp. gr. in 8° — Coll. *Etudes bibliques*, Gabalda, Paris, 1951.

النصوص الجغرافية العربية التي تتناول فلسطين

اننا نقع في هذا الكتاب على ترجمة مجموعة نصوص جغرافيي العرب المتعلقة بفلسطين التي مهّد لها المؤلف بلمحة لا بأس بها عن الجغرافيين المشار اليهم . اما اسماء الامكنة فمرتّبة وفق الابجدية العربية. اما ما يتعلق بالمسجد الاقصى فقد جعله في آخر الكتاب .

وثمّة ثبت جغرافي بالابجدية اللاتينية يسهّل ايجاد الموضوعات .

وتماشي هذه الترجمة التي قام بها استاذ دراسات التوراة الكبير النصوص العربية بحذافيرها وهي التي جمعها المؤلف وطبعها في كتاب على حدة .

وانه لمؤلف جليل الفائدة العملية بمراجعه التي تخولنا ان نجد في بضع ثوان الفقرات التي كنا نقضي وقتاً طويلاً لايجادها في المصادر الاخرى المطبوعة . ه. شارل

HENRI ARVON, *Le Bouddhiome.* Coll. « *Que Sais-je ?* ». Presses Universitaires de France. Paris, 1951.

حسنات هذا الكتاب المختصر هي خاصة الوضوح مع ان الموضوع عويص متشعب .

. فبعد ان يُظهر الكاتب روح الفيدية والبرهمية التي أنجبت البوذية، يعرض العقيدة الاصلية لهذه الديانة ويتكلم بلمحة تاريخية عجلى عن انتشارها في كل اسيا الشرقية والجنوبية وعن التطور الذي طرأ عليها .

كنا نودّ لو أسهب المؤلف في كلامه عن عقيدة النرفانا التي هي اساس البوذية ، وفي شرحه لمظاهر التصوف العقلي الغربي بالنسبة الى فكرة الهند الروحية (A. Schweitzer) فهذا ما يستحق فصلًا مستقلًا كالفصول الجميلة على قصرها التي خصّ بها الكاتب تنافر البوذية مع اراء كونفوسيوس وتقوبيا من الديانة الشنتوية

ه. شارل

GEORGE DRAGUE, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*. 332 pp. in 8°, écu, avec une bibliographie, deux index, VIII tableaux et 2 cartes h.-t. — Peyronnet, les Cahiers de l'Afrique et de l'Asie, prix : 800 francs, Paris, 1951.

لمحة عن تاريخ مراكش الديني

من الملحوظات التي ابداها السيد مونتان (Montagne) في توطئة الكتاب ان ظهور جمعيات سياسية في الاسلام الشرقي منظمة على طريقة الاخوان هو من الامور التي ينبغي لنا ان نعلق عليها الاهتمام في المغرب وقد يعتري شكل هذه الجمعيات القائم الحول ولكنها تمثل على كل حال قوة دينية ستظهر يومًا بصورة او باخرى .

ومهما يكن من امر فان هذا الملخص الكبير الفائدة ليضعنا حيال موضوع شديد التعقيد . اما الفصلان النهائيان اللذان يوضحان بجلاء هذه النقطة فتليهما ستة ابواب تتناول بالتفصيل خصائص اهم هذه الجمعيات .

ه. شارل

VINCENT MONTEIL, *Contribution à l'Étude de la Faune du Sahara Occidental*, 172 pp. in 4° avec 2 simligravures, de nombreux index et une bibliographie d'ensemble complétée de références particulières selon les chapitres, t. VIII des *Notes et Documents* de l'Institut des Hautes Études Marocaines de Rabat, Larose, Paris, 1951.

في سبيل دراسة حيوانات الصحراء الغربية

لقد صدق اعتقاد المؤلف في كتابه انه جزيل الفائدة والنفع ودنت لاشتماله

على مختلف ضروب الاختصاص : من علم الحيوان واللغة واجناس الشعوب .

ويجد القارئ ما عدا اسم الحيوان العلمي وما يسمّى به في اللغتين الفرنسية والاسبانية المصطلحات المتعلقة بمختلف احواله وفق شتّى اللهجات المستخدمة إبّان توزيعها الجغرافي .

وبعد استيفاء المؤلف تعريف الحيوان ودراسة حياته يتحفنا بفقرة تتناول الاراء والمتعقدات والحيوانات المحرّمة .

واننا لنشكره على عمله القيّم الكبير الجدارة كما نتمنى ان يذيّله بثبت يسهّل مراجعته .

ه. شارل

The Master of Belhaven (L^t-Col. A. HAMILTON), *The Kingdom of Melchior*. In-8° de X-212 pp. Avec 18 h.-t., 2 cartes, 1 index, et un appendice donnant le thème de 10 mélodies arabes. John Murray, London, 1949.

انها قصة جندي اصبح رجلاً سياسياً في عدن . فهو يسرد لنا مغامراته في جنوبي غربي البلاد العربية ، على حدود اليمن والربع الخالي ، بين تلك المدائن المدهشة الغريبة ، كانها اخواتٌ او بناتٌ لمدائن ملكة سبأ او ملكار الملك المجوسي .

فريشة الكاتب السيالة ترسم لنا المشاهد شعريةً ملونةً ، وتخطط باسلوب حيٍّ رشيق وجوه الاشخاص الذين يظهر بعضهم من خلال صور شمسية جميلة .

نذهب مع الكاتب الى اكتشاف صنعاء. ويعرّفنا الامام يحيي وحاشيته المخلصة او المتصنعة الاخلاص في جوٍّ من التكاسل والتردّد السياسي . ونشهد منه قمع فتنةٍ او استسلام نبيٍّ فضّل الخضوع والاركان الى السكوت .

ونفهم بعد قراءة الكتاب ان اكتشافات اولئك الجنود المرسلين الذين تعودوا هم ايضاً الغزو لحاجةٍ مادية او لجولةٍ رياضية لم تكن دائماً مبنيةً على اساس التفاهم الانساني الصادق الثابت . وهكذا نشرح الألم الممزوج بشيء من القنوط الذي يعتري نفس « مستر Belhaven » مؤلف الكتاب. فهو يشعر بالوحشة في بلادٍ تعرّف اليها وبين شعبٍ خالطه وعاش في جواره قطعة من الحياة .

ه. شارل

Eugène Guernier, *La Berbérie, l'Islam et la France.* Deux volumes in-8° de 416 et 400 pp. avec 29 h.-t. en similigravure, 3 cartes, des bibliographies et un index. Edit. de l'Union Française, 3 Rue Blaise Desgoffe, Paris, 1950.

في هذين المجلدين المطبوعين طبعة جميلة يقدم لنا الكاتب « دون ادعاء علمي محاولة لأحياء روح شعب البربر .»

وزاء يحاول ان يحلل ، خلال الألفي سنة الحالية ، النفسية الاجتماعية التي توحد بين الشعبين البربري والفرنسي ، فيتكلم عن العقلية والديموقراطية الفردية التي تتآخى بين الشعبين .

بعد ان انضمت بلاد البربر الى اوربا الجنوبية سنة ١٥٣٠ بواسطة فرنسا ، على الفرنسيين ألّا يفرّقوها وينزعوا عنها شخصيتها بل عليهم ان يساعفوها لتجد طريق ذاتها عن طريق اتحاد اوسع ، هو الاتحاد الفرنسي .

ويعتبر الكاتب ان الاسلام هو الحاجز الاكبر الذي يحول دون هذا الانضمام . اما الحلّ الذي يقدمه لهذه المشكلة التضامنية فيبدو باطلًا من اساسه لان التوحيد العقائدي الديني هو خيانة لكل دين . فالدين هو حياة وتعبير ايضاً ولن يُعبّر عنه الا من الداخل . وعدا عن ذلك فمشكلة الدين والتعبير عن بواطنها تعود الى اختصاصي او لاهوتي . فالسيد Guerrier يخرج عن صلب موضوعه عندما يحيّل نفسه في « هذه المحاولة البسيطة » حلّ معضلة كهذه متشعبة عويصة . وعلى كل حال لنحتفظ من كل هذه الصفحات التي يكرسها الكاتب لدرس هذه القضية بالامل الذي يجعلنا نرجو ان يهتم المسيحيون والمسلمون بديانة جارهم فيتعمقوا في درسها ويحاولوا فهم افكار متصوفيها ومفكريها .

وهناك موضوع آخر يبحث فيه الكاتب بعض الشيء . وكان من حقه ويوسعه ان يتعمق في تفرّعاته ويجد لها حلًا اكثر مما فعل : ألا وهو موضوع العرب والاستعراب . في بلاد البربر « لا تزال » اكثرية السكان عربية (١٣ مليوناً من اصل ١٩) . والبربريون رغم ابتعادهم عن الديانة الاسلامية جُعلوا مسلمين ، مع ان الاسلام ليس فقط ديانة بل شريعة وتيوقراطية . فاسلام الذي هو ديانة مفتوحة للجميع نجدها احتكاراً — الّا في الهند وفي افريقيا الوسطى —

في صالح العرقية العربية . وهذا ما يجعل كل محاولة لمنفعة البربر في افريقيا الشمالية غاية في الدقة والخطورة. فكل محاولة من هذا النوع تعتبر مظاهرة ضد العرب والاسلام. وهذا ما حدث سنة ١٩٣٠ في مراكش، مع ان الخمسين بالمئة من المراكشيين هم من محبي البربر ومناصريهم .

فعلى فرنسا اذاً، بالنظر الى ثقافتها وتقليدها المسيحي الموروث الذي اعدّها لهذه المهمة ان تحاول توحيداً ليس دينياً بل انسانياً . فنتيجة هذه المحاولة مع النتائج الاخرى التي عقبتها من قديمة وحالية نقرأها في القسم من الكتاب الذي يحمل عنوان : « فرنسا وبلاد البربر .» اما القسم الرابع فهو جميل يوحي الشيء الكثير ولكنه نظري اكثر مما هو واقعي . يتكلم فيه المؤلف عن « الحلول الممكنة » من حيث العلاقات بين الاوروبيين وسكان البلاد البربرية ومن حيث الشؤون الاقتصادية والتعليم الزراعي خصوصاً والاثر الثقافي والاجتماعي والتجانس المتدرّج رويداً رويداً . فهذا الفصل يساعد كل الفرنسيين على ان يتخذوا لهم فكرة واضحة عن رسالة بلادهم في افريقيا الشمالية وان يتدبوا منتقين من هم اهلاً للقيام بهذه الرسالة بشجاعة وعقل ثاقب . ه. ش

GEORGES MARÇAIS, *Tlemcen*, 104 pp. in 4° avec une bibliographie et 60 héliogravures h.-t. et 9 dessins au trait dont 2 plans. — Laurens, Les villes d'art célèbres, Paris. 1950.

ان المؤلف لصديق حميم من اصدقاء لابنة المغرب الاوسط المدين لها بدعوته كفنان وكعالم علامة من علماء الحضارة الاسلامية وقد احيا لنا هذه المدينة وحببها الينا كما عرفها هو . اما لغته ففعمة حيوية وتنعشها رسوم فنية تطبع فينا اناقة الفن الاسلامي وبهجة حدائق البحر المتوسط .

ولقد جاء هذا الكتاب كما دار في خلد المؤلف خير تقريظ له لانه كان ابرّ بواعيده من التجواب وهو على كل حال من فضلى الذكريات . ه. ش

الاسلاف وعلومهم لا يبرح نورها مشعاً في ميادين الادب والفلسفة والمناظرات الدينية . لقد قيل ان التاريخ يعيد نفسه وربما كان لنا من عبر الماضي ثروة تحدو بنا الى تقفي الحاضر وادراك معضلاته : كل هذا فهمه الاب شيخو حق الفهم وادرك الامور التي يضحي بها ليكون طليعة المفتشين والمنقبين الاول . ومن تلك الامور النهج العلمي والدقة في التنقيب .

وهل كان في عصره منهج علمي صحيح . أولا نحكم على الماضي بالنسبة الى المعارف التي احرزناها في حاضرنا ونحن لم يتأتَّ لنا احرازها الا بعد استهلاك الزمن الطويل في سبيلها ! ألسنا نحكم على غيرنا بحسب اساليبنا الخاصة فنستحق ان يقال فينا اننا في افتقار الى ابسط المناهج العلمية ؟ اجل ان الواجب يقضي علينا بان نفهم كل عصر بجميع ما احاط به من الدلائل التاريخية والنفسانية والا كنا عرضة لارتكاب اعظم اخطاء التاريخ وذلك اذا ما قسنا الماضي على الحاضر كما لا يزال يفعل في غالب الاحيان العدد الكبير من اصحاب العقول القوية ... المتبجحين بالعمل العلمي في يومنا الحالي.

ولئن كان من السهل اذاً الانتقاد فان التغني بالظفر على السهولة نفسها .

لقد عرف الاب شيخو انه كان يضحي بشهرة العلّامة التي اطلقوها بحق عليه كما نعتقد لانه كان رجل الطليعة الذي فتح طرقاً فسيحة امام الباحثين في عهده وامام من يجيء بعده . ولا يسعنا الا ان نستتر من المعجبين به ومن الذين يفخرون بآثره العظيمة واخلاصه الصحيح لخدمة التاريخ والشرق ، ولا بدّ لمن يطلع على مؤلفاته وما كتَبَهُ من ان يكنّ له في قرارة النفس احترام ذكراه والرغبة في تكريمه .

وما قصر الاب شيخو عمله على مجموعة فقط فانه قد كان مفطوراً على نبش الكنوز الادبية فاقدم اقدام الواثق بعصاميته وحدسه على كشف ما كان كبير القيمة ، وقلّما اتيح ان يجتمع مثل تلك المقدرة على العمل والدقة في الاختبار في رجل واحد . واذ شاء ان يكون طليعة المنقبين فقد ادرك الامور التي ضحى بها فلذلك لم يساوره قط التردد والاحجام . اما اذا رأيناه يسرع احياناً بعض الاسراع في ما يكتبه فما من داع يحملنا على الدهشة

ويحدو بنا لترفع المقبرة ضد ذكراه لان ما كان يكنه صدره من معارف واسعة ولان الطرق التي شقّها امام البحث والآفاق التي اوضحها للباحثين في المستقبل لتعوّض كل التعويض عن عثرات لم تكن لتعدّ عثرات في زمانه .

ولئن اخذوا عليه تلك السرعة الكبيرة ونقدوه لكونه قال ان كثيرين من اولئك الادباء الذين كانوا قبل الاسلام وبعده من المسيحيين فان ثمة دراسات اشد تدقيقاً قد اعطت كلا منهم حقّه . اما اجتهاده الشخصي الذي كان في ارض بكر فقد بثّ في الكثيرين – ما عدا تذوق آداب تلك العصور السحيقة – الرغبة في تفهم شعرها والايغال في البحوث الاخرى والقيام بها .

وما اصدق هذا القول على كثير من مآثر الاب شيخو الذي اسدى للنهضة الادبية العربية خدمات جلّى لم يتفق لاحد قط ان اسداها مثله وذلك بصفة كونه رجل الطليعة ومهّد الطريق وزعيماً في ارض بكر في نهاية القرن التاسع عشر .

لا نجعلنّ لنا رائداً عدا الاخلاص . فلذلك متى وقفنا في تاريخ الادب على اسماء كل الذين ساهموا في النهضة الادبية لا نرى بينهم الا النفر القليل الذي كان على غراره يتحلّى بتلك الثقافة الواسعة وذلك الفكر الذي استهواه حب الاطلاع على فروع عديدة وهي لم تكن عديدة في نظره لانه وجد بين جميعها لحمة القرابة .

واولئك الذين ساهموا في النهضة قد راضوا النفس على قرض الشعر وعانوا التاريخ والمسرح والنقد الادبي وسائر الابواب الاخرى ، ولكن قلّما كان بينهم من جمع في نفسه حذق الحاضر والعمل الصائب البصير وتقديس الماضي كالاب شيخو .

ولا يستطيع احد – مهما بلغت به المكابرة – ان ينكر عليه هذا الامر الذي امتاز به .

ولقد قلنا ان الاب لويس شيخو كان يعرف انه رجل الطليعة ويعلم بانه يضحّي باختصاصه الضيّق ، ذلك الاختصاص الذي سيميّز العصر التالي .

ومهما يكن من امر فنحن مدينون لذكراه لنجهر بالقول انه قد نفح

عصره بقدوة الجلد على الدرس وبنشر مخطوطات الكتب التاريخية وبعثها مجلببة بروح الناقد البصير وبالتحليل العميق جدّ العمق وبالمقارنة بين النصوص والمؤلفين وما ذلك جميعه الا الخصائص التي يمتاز بها خير علماء يومنا .

◆

كان شيخو مؤرخاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى وهو جدير كما نعتقد بهذا اللقب . فقد كان يهمه بحث حياة الانظمة وتطور الادب وتقدم الدول في كل عصورها . وكان يُعنى بدراسة عوامل البيئة وقرائنها برمتها اي كان يُعنى بجميع ما حفّ بحياة الادباء الذين تصدّى لتأريخ حياتهم واختار شيئاً من مآثرهم في كتاب المجاني الذي لا يسدّ مسدّه اي كتاب آخر .

اجل كان الاب شيخو من مؤرخي اللغة العربية التي اخلص لها الحبّ ، ونشره المخطوطات اللغوية برهان قاطع على صحة ما قلنـاه بصدده . واذا لم يؤلف تلك الوحدات الضرورية التي كان اعدّه لها ما نشر من مخطوطات فمن الاكيد انه كان ينتوي ان يدرس يوماً كيفية تطور الكلمة والعبارة والقالب التركيبي تطوراً معنوياً ويمكن لغيره في هذه الدراسة .

ولئن تناولنا في كلامنا المجاني فانه يبدو لنا كأنه سوق قد عُرض فيها الادباء الذين لم يذكرهم الّا وفاقاً لفكرة منهاجية بعيدة الغور ، واذا ما ذكر ذلك العدد الكبير منهم فلكي يدلّ على اهتمامه ببث محبة الاقدام على تقليب الصفحات ، التي علاها الغبار ، في افئدة من لا جرأة لديهم ليكشفوا ما فيها من كنوز دفينة ويبعث فيهم حركة اختيار الموضوعات غير المطروقة وتحسس حركة التقدم الذي تحقق قرناً فقرناً والالمام بهجسات النفس ودراستها دراسة نفسانية .

ولم يضع شيخو المجاني وحده . فهناك المخطوطات التاريخية التي نشرها . وايم الحق ان جلده في اختيار مختلف القراءات ورواياتها لباعث على الدهشة . واذا ما خُيّل الينا اننا واجدون في ما اختاره أهمية من أمهات الاطفال وان انتخابه لها كان انتخاباً اعتباطياً فالامر على نقيض ذلك تماماً ... فلكي نأمن العثار علينا ان نرجع الى ما كان يجول في عقل ذلك الاديب وما هي الظروف التي كان يعيشها لنقول ان تلك القراءة لا تنطبق كل الانطباق على عقلية

الاديب الذي ندرسه ولا على نفسية زمان كتابتها لان للكلمات تاريخها ولا نقوى على اختيار ما نريد منها بدون ترويض النفس للوم . اما الهوامش التي ذيل بها تاريخ بيروت لابن يحيى مثلاً فمن الحيف ان نبخسه حقه من التقدير على ذلك التردد الطويل حول كل نقطة قبل الشروع بعمله حتى أمن الزلل باسناده الى الذرائع التي يسلّم بها العقل ووالى طريقه مطمئناً .

وتاريخ بيروت هذا . . . الذي اقتضاه ترويض نفسه على ادق روح نقدية قد استلزمه بذل جهد مستمرّ في التنقيب بين الاساطير تقصّياً للنقاط التاريخية التي لا يأتيها الشك ولا تقبل جدلاً .

واني اعتصمت بالصمت عن الكلام على مؤلفات شيخو التاريخية الاخرى فاني اودّ الالماع الى احدى ميزات طريقته التي كشفها تارد (Tarde) في نهاية القرن التاسع عشر وتبنّاها قبله الكاتب الكبير ابن خلدون: اي على انتهاجه نحوًا واحـدًا فلم يقف حائرًا مترددًا حيال نصوص شتى المؤلفين التي تتناول الحادث نفسه ليقارن بينها ويستخرج ما استبطنته من عنصر نفساني لكي لا يحتفظ الا بالعنصر الموضوعي منها فيشير اليه ويبحثه كحادث تاريخي .

ولسنا نتصدّى للتحـدّث عن جميع ما نشره شيخو من دواوين عُني بها الاعتناء نفسه ودقّقها التدقيق عينه وانا نود ان ندلّ في هذه الملحوظة على ميزات طبائعه الخاصّة به .

ومما نقدوه عليه ارتكابه سهوًا بعض الاغلاط في الكتب التي اصدرها ، اغلاط لا تتفق والطريقة العلمية الصحيحة، فما كانت تلك الطريقة العلمية في عصره !

اننا لا نغالي ايّما مغالاة اذا قلنا ان الاب شيخو كان اكبر اولئك المساهمين في ايجاد تلك الطريقة التي كانوا لا يزالون دائبين في البحث عنها . فالانتقاد الذي يرجّبونه اليه في هذا الصدد لا يستطيع ان يثبت على قدميه .

◆

كان شيخو مناظرًا صارم القول شديد الحملة لكنه كان يتقصّى الحقيقة دائمًا ولا يخرج عنها وكان يضمر في اشدّ حملاته احتراماً لشخصية خصومه الذين كانوا يحترمونه احتراماً عميقاً .

الخزانة الشرقية

المقدمة

بقلم حبيب زيات

اشتهر العرب في الشرق والمغرب والاندلس بالاجادة في التشبيهات وهي عندهم فن من فنون الشعر الذي كانوا يستجدون به الملوك والامراء ويناكمون عليه الخاصة والاغنياء . وقل ان يحضروا مجلساً من مجالس الكبراء دون ان يقترح عليهم فيه وصف ما يستحسن من الطُرَف والغرائب . ولهم في كل ذلك القصائد الطويلة والمقطعات العديدة . ولبعضهم فيها مؤلفات مفردة على مثال كتاب « الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه » لصلاح الدين الصفدي من مخطوطات خزانة باريس (رقم ٣٣٤٥) . ولكنهم قصروا غاية التقصير في شرح ما كان يحيط بهم من مظاهر المدنية وخصائص المساكن والابنية ومرافق الحياة وعادات المجتمع وتفاصيل الملابس والازياء وضروب الصناعة والزراعة والتجارة . مما تتألف منه جملة تاريخ الحضارة . وغاية ما انتهى الينا من اقوالهم فيها عبارات موجزة لا تشفي غليلاً ولا تغني الباحث الا قتيلاً . ولا نعلم ان احداً من المنشئين والمؤرخين المتقدمين تنبه قط لتصوير ما كان حوله وعاينه في زمانه من احوال التمدن واخباره تصويراً يشاركهم في فهمه ملياً وادراك كنهه من يأتي بعدهم من الخلف . ولذلك فاتنا معرفة ما كانت عليه الحضارة العربية في ازهى عصورها في الخلافة العباسية منذ قيامها في بغداد الى حين انتقالها الى القاهرة وزوالها منها بسقوط دولة المماليك في اوائل القرن السادس عشر . وبسبب هذا الاهمال اصبحنا اليوم نجهل كثيراً من حياة اجدادنا وما تقدم لهم من محاسن او مساوئ في هذه الديار الشرقية

وحسبنا شاهداً على هذا الجهل والقصور ان المتوكل على الله العباسي بنى وحده تسعة عشر قصراً من قصور الخلافة ساق الشابشتي اسماءها في كتابه

« الديارات » . وروى انه انفق عليها تقدير اربعة عشر مليوناً من الذهب . ومع ذلك لم يحفظ لنا احد ممن ادركه او جاء بعده نعت قصر واحد منها . فلا ندري لوقتنا شيئاً من نوع بنائها وهندستها ولا ما كان فيها من الزينة والحلي وادوات الترف والنعيم التي تقتضيها جلالة الخلافة . وكان الرشيد قبله قد اتخذ في بغداد قصرًا عظيماً قيل انه جمع نيفاً عن اربعة آلاف من الخدم بين وصائف زبيدة امرأته ووصائف عليّة اخته عدا من كان فيه ايضاً من الحصيان والفراشين . وقد سكت عن وصف هذا القصر كل من تكلم على خلافته فلا ندري كيف كان هذا الجيش العرمرم يأوي في هذه المقاصير والدور . وهل كانت تعلوها بعض الطبقات وما كان فيها من فرش ورياش وآلة وآنية وتحف وطرف . ولا يخفى على احد ما خسرته اللغة من اسماء هذه المصانع والمرافق والمقتنيات السلطانية . وقد فقدنا بذهابها اثمن مؤونة لسد عوَز الاقلام في هذا العصر الذي تعدّدت فيه المستحدثات وطما بحر الاختراع والابتداع .

ومن مدهشات القدر والقضاء انه لم يسلم لنا من امّهات هذه الحضارة العبّاسية الفائقة او بالاحرى من ُبنيّاتها الا اوصاف مجالس اللهو والشراب والغناء حسبما نقرأها في امثال كتاب الاغاني للاصبهاني وكتاب الديارات للشابشتي . مع ما يتصل بها ويدخل فيها من صفات الاطعمة والاشربة التي كانت تتخذ للخلفاء والوزراء كما عددها لنا لحسن الحظ « كتاب الطبخ واصلاح الاغذية المأكولات » للمظفر بن نصر بن سيار الوراق . وهو غاية في التوسع والاحاطة بالموضوع وفيه ادلة كثيرة على ما كان مستفيضاً حينئذ من لطف المذاق ومزيد التأنق في ملذات المائدة . ومن مراجعته اليوم يسهل علينا احياء ما مات من الفاظ الطباخة التي تخلو من معظمها معجمات اللغة

وبعد كل ما فاتنا من مفاخر الحضارة واوصافها لم يبقَ لنا الا تلقط ما غفل عنه الدهر من الآثار التي تنبئ عما غبر . وان نجمع من هذه اللُّمع المتبددة ما ينبعث منه نور كاف لاضاءة بعض الظلمات المكتنفة تاريخ الحضارة العربية . وهو ما عكفنا عليه في السنين التي تفرغنا فيها من التجارة وقضيناها في التردد على دور الكتب في دمشق وحلب وبيروت والقدس والقاهرة . ولما قلّ في

نظرنا ما جنيناه منها دفعنا حب التوسع والاكمال والطمع في المزيد الى تجشم عناء الرحلة الى الديار الغربية لمطالعة ما انتقل اليها من المخطوطات العربية التي فاقت بها الخزائن الشرقية . وظللنا عدة سنوات نتردد بين باريس ولندرة واكسفرد وروما وميلانو وليدن . انقطعنا فيها للبحث والتنقيب والتغلية عن كل ما يشير ولو بطرف خفي الى شأن من شؤون الحضارة الماضية وخصائصها في الادب والشعر والتاريخ . وفنون الصناعة . والتجارة . والملاحة . والزراعة . والبناء . والانسجة والالبسة والازياء . والمآكل والمشارب وآداب المائدة . ومواطن اللهو والسكر والطرب وخلوات الملوك والامراء . ومجون القضاة والوزراء . وبدع المتصوفة والفقراء . . وبدائع القيان والجواري الى سائر ما تفردت به المعيشة في عهد بني عباس من المزايا والخوارق التي بز بها الشرق الغرب في اشهر ممالكه وابهى عصوره

وكنا على أهبة متابعة الطواف على بقية الخزائن الاوربية حين فاجأتنا الحرب المشؤومة سنة ١٩٣٩ وحالت دون النية وبلوغ غاية الامنية . فقفلنا مكرهين بما اجتمع لنا في الدفاتر من القيود والتعليقات عن الاصول المخطوطة والمطبوعة . واستخرنا الله في نشر هذه الدروس والفصول على تصرها احياناً وقصورها . وارصدنا لها هذا المجموع الذي دعوناه « الخزانة الشرقية » لاقتصاره على ما يخص الشرق وحده والشرقيين في القرون التي سبقت دولة الاتراك العثمانيين . دون اقل تعريب عن الاصول الاوربية . او اقتباس ممن تقدمنا من الكتبة والمؤرخين . ووقفنا بالاجمال عند القرن السادس عشر ولم نتجاوزه الا مرة واحدة في كلامنا على خطايا اهل حلب لتحققنا ان ما نقمناه عليهم راجع في الواقع الى زمن سابق .

وستظهر هذه الطرائف والمبتكرات على هينتنا في اوقاتها . دون ترتيب لها او ملاءمة بينها حسبما اتفقت لنا في اسفارنا وتهيأ درسها في حينها . وحيثما وجدنا غزارة في المادة ومجالاً واسعاً للوصف افردنا لكل مظهر تجلى لنا من مظاهر الحضارة كتاباً برأسه ننشره على حدة على نحو ما بدأنا به في كتابنا « الديارات النصرانية في الاسلام » . وهو غير مقتصر على شرح احوال

الديارات وحده ولكن يتضمن ايضاً اهم اخبار زوارها والمتطرحين فيها من المجّان والشعراء عشّاق الخمور النصرانية . فهو مرآة صادقة لما كان يجري قديماً من الخوارق والمنكرات وراء جدران هذه الابنية الدينية . وصورة جليّة من اغرب صور الحانات ومحافل الطرب والسكر في الخلافة العباسية

ومن اهم ما استدعى نظرنا لبيان مفاخر الحضارة التفتيش والاستقصاء عن كل ما يمثّل ماضي الصناعة والتجارة قديماً . وفي مقدمته نعت الملاحة الشرقية وما بلغته من المكانة والتقدم في خدمة البحار والاقطار . فجمعنا في الدلالة عليها جزءاً سردنا فيه « معجم اسماء السفن والمراكب في الاسلام » . وقد كلفنا الكشف عنها والامعان في استقرائها لخلو كتب اللغة من معظمها . اشد ما يعانيه الرائد في نفض القفار وقيافة الآثار لنشدان ضالته والظفر ببغيته .

ومن ارفع ابواب الصناعة التي قامت عليها تجارة الادب . واسمى الخِدم الدينية واللسانية . علم « الوراقة » ونسخ المخطوطات وبيع الكتب والمصاحف والدواوين . وقد اولىناها حقها من الأثرة والعناية ونشرنا في معناها رسالة أُنُفاً لم يتقدمنا لاحد كلام فيما دعوناها « الوراقة والوراقون في الاسلام » وجمعنا فيها من المُلح والفوائد ما تصبو الى معرفته نفس كل اديب وسنتبعها في اول فرصة تتيسر لنا بكتاب استوفينا فيه تاريخ « صُحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام » وفيه رواية كل ما عثرنا عليه بعد التنقيب الشاق والمطالعات العديدة من اقوال المؤرخين والادباء واوصاف البلدانيين في ما اتفق لهم ذكره من انواع الكاغد والرق وعملها في الديار الاسلامية . ونشرنا منه سنة ١٩٤٧ فصلاً منه في مجلة الكتاب (يولية ص١٣٥٨ — ١٣٦٦) بعنوان « الجلود والرقوق والطروس في الاسلام »

ومن اطيب الدروس الباقية واطربها وصف « المرأة الغلامية في الاسلام » وفيه من نعوت الجواري والنساء وحكاية ما اغربن فيه من الاخلاق والازياء . وما ابتدعْنَهُ من فنون التزين والتبرج . واحتلْنَ به من اساليب الفتنة والفطنة لاجتذاب القلوب وإثارة الاشواق . ما لا يخطر نظيره في الظن وما تكاد

تقصر عنه جرأة المرأة الغلامية في الامصار الغربية . وستظهر هذه الرسالة على حدة في ميقاتها

وسوف نتبعها بخاتمة الطاف وبتيمة هذه الالطاف وهي وصف « اللحى في الاسلام » . وفيه كل نادرة يُقضى منها العجب وغريبة يحلو لسماعها الطرب

ومن لوازم الحضارة العربية هذه الالفاظ المولدة والمسمّيات الدخيلة التي دعت اليها حاجة العصر بعد الهجرة للدلالة على المعاني والاعيان الطارئة . نشأت على حاشية لغة البداوة كالطراز في اطراف الثوب الفاخر . واختُصّ منها كل فن من الفنون وكل صناعة من الصناعات باوضاع ومستحدثات اخلّ ارباب اللغة بالتنبه لها وتدوينها واستعصى علينا اليوم فهم ما يقع الينا منها لغياب كل ما يعين على تفسيرها وتحقيقها بعد ضياع هذه الفنون والصناعات القديمة باسرها واسرارها وآلاتها . وفي الكتابات العباسية بقايا من هذه الالفاظ الحَضَرية غلبت عليها العجمة ولا مناص للاديب من حل الغازها اذا شاء ادراك ما يقرأه من النصوص والاخبار . ومع ان النظر في هذه الالفاظ المولدة منوط بارباب اللغة ولسنا من المتفرغين لها . رأينا ان لا ندع تقييد ما يمر بنا منها عفواً وعَرَضاً اذا تحققنا فائدته وخلو المعجمات من تفسير له شاف او وجدنا في ايراده استدراكاً عليها . او تكملة لها . بالاستناد الى الشواهد الناطقة بالمعنى الصحيح . وربما يجتمع لنا اثناء المطالعة مؤونة كافية لنشر جزء خاص بعنوان « لغة الحضارة » لا تخفى الحاجة الى مثله اليوم يكون كالذيل على تكملة المعجمات العربية لدوزي .

وكان اكبر همٍ لنا في زياراتنا دور الكتب مطالعة مخطوطاتها ولا سيما ما كان منها دفيناً منسياً لم يتنبَّه له احدٌ ككتاب الطبخ السابق الذكر للمظفر ابن سيار . ولذلك توسعنا جداً في تعريفه وسردنا كل ابوابه لقيمته الغالية وعلو شأنه بين تركات الحضارة العباسية . ووصفنا كذلك كل ما ظفرت به يدنا من امثال هذه الذخائر والنوادر في فصول اطلقنا علينا عنوان « دفائن الخزائن »

وربما استوقف نظرنا احياناً نقد بعض المخطوطات المطبوعة حديثاً مما اشتمل

على بعض اخبار الحضارة لاستدراك ما وقع فيها من اغلاط القراءة او الطبع كالجزء الاول من مسالك الابصار للشهاب العمري وهو كل ما ظهر من هذا الكتاب . وكالجزئين الثامن والاول من نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي . فضلًا عن بعض دواوين الشعراء الشاميين كديوان ابن الساعاتي في جزئيه المطبوعين . وقد اطلنا جدًّا في التعقب عليهما لعلاقتهما بتاريخ دمشق ومتنزهاتها . وافرزنا لهذه النقود والاستدراكات بابًا خاصًا استعرنا له عنوان « التنبيه والإشراف » .

وفي النية ان لا نقف عند الجزء الرابع من هذه الخزانة الشرقية التي تأخر ظهور الجزء الاول منها بعد الثلاثة التالية له لاسباب لا حاجة لذكرها . واذا اعان الله وفسح في الاجل ووفقنا في هذه الايام القلقة العصيبة لزيارة دور الكتب التي لم نتمكن بعد من الرحلة اليها على اثر الحرب نظير خزانة كمبريدج وخزانتي برلين وفينَّة وغيرها من اصونة الذخائر العربية سنوافي الادباء باوصاف عيون ما نجد فيها من تركات الحضارة العباسية . وقد اسعدنا الحظ اخيرًا بالاطلاع على بقايا خزانتي الاسكريال ومدريد في اسبانية . ونقلنا منها كل ما وجدنا فيه فائدة وذخرًا من دفائن الكنوز الاندلسية .

وانما حملنا على التطوع مدة سنوات طويلة لهذه الخدمة الشاقة على قلة الشاكر عليها والمقدّر لها . مع معرفتنا بعقبها وبُعد كل رجاء للثواب عليها واليأس من كل مكافأة لها لقاء ما تقتضيه من ثقل التكاليف ورزء النفقات الباهظة التي يعجز الفرد المستقل بها . رغبتنا الشديدة المخلصة في الاعانة على نشر العلم الصحيح في الشرق . وان نقوم بقسطنا من مجاراة الغربيين في تعريف سكان مطلع الشمس بجانب من حضارتهم القديمة وما تحلت به من مفاخر ومآثر . وقد جمعنا منها في هذه الدفاتر ما تكبدنا من اجله عناء الاسفار ووصلنا في سبيله سواد الليل ببياض النهار . فما احق كتابنا هذا ان يُختم بقول ابي الضياء الحمصي من شعراء تتمة اليتيمة :

هذا كتاب فوائد مجموعة ... جُمعت بكدّ جوارح الابدان
وبدائم الإدلاج في ظُلَم الدجى ... والسير بين مناكب البلدان

نيس (فرنسة) ٣١ ك١ ١٩٥١

اخبار العالم

اخبار دينية

مؤتمر رهباني عالمي في روما : في الاسبوع الثاني من ايلول اجتمع في روما مؤتمر عالمي للجمعيات والمؤسسات الرهبانية النسائية المتعلقة مباشرةً بالكرسي الرسولي وعددها ثمانية وثلاثون وقد مُثلت فيه خمسمائة عائلة رهبانية : مثتان منها مثّلتها رئيساتها العامة .

كانت غاية هذا المؤتمر التوفيق بين الحياة الرهبانية وظروف العالم الحالية ، وهذه المرة هي الاولى في التاريخ لانعقاد مؤتمر من هذا النوع .

اهمّ الامور التي تداولتها المؤتمرات اربعة : تقديس النفوس وتهذيب الراهبات والعمل الرسولي والتعاضد بين العائلات الرهبانية . وقد القى الاب الاقدس على المؤتمرات خطاباً تكلم فيه بالخصوص عن الثياب الرهبانية فهو يريدها اولاً معبّرة عن تكريس الراهبة للمسيح وثانياً مناسبة لمقتضيات الصحة فانها ضرورية للعمل . . . وقد تكلم ايضاً في خطابه عن علاقات الرئيسات مع الراهبات فقال بانه من الضروري ان تكون علاقات امّ مع بناتها فالراهبة قد ضحّت حياتها العائلية لتتكرس للمسيح . فيجب اذن على الرئيسات العامة ان ينقلن في حياة الراهبة الاجتماعية اطيب العواطف العائلية واحرّها وان يكون تصرفهنّ تصرّف امّ في اقوالهن ورسائلهن ولو تطلّب ذلك منهن التغلب على نفوسهن . . .

الاضطهاد في الصين : في ربيع هذه السنة من ٢٧ اذار الى ٧ حزيران كان قد زار الصين الشيوعية بعثة ثقافية هندية برئاسة السيدة شريماتي بنديت اخت البنديت نهرو رئيس وزارة الهند . لما قابلت السيدة بنديت شوان لي رئيس الوزارة الصينية أعربت له عن رغبتها في تفقد معاهد ومستشفيات وسجون وكنائس كاثوليكية والتمكّن من محادثة راهبتين كاثوليكيتين فرفض محتجاً بعدم قانونية طلبها . وقد جهد بعض الكاثوليك في التوصل اليها ومحادثتها لكن عبثاً ابعدهم عنها مراقبون كانوا يرافقونها اينما حلّت بعلّة المحافظة على سلامتها . وحاول بعضهم الاتصال بها كتابة . منهم عدد سلّم الى الجرائد رسالة ارسلها اليها ولم يكن متأكداً من وصولها . من هذه الرسالة نقتطف فقرات قليلة :

ايتها السيدة . . . اننا لا نقدر هنا ان نخبرك مفصلاً عن الاضطهاد الديني الهائل المتحكم في الصين . . . نكتفي بان نلتفت بنظرك خصوصاً الى شناعة المعاملة التي بها يعامَل سجناؤنا .

انهم قد سيقوا الى السجون بالمئات بحجة ارتكاب جرائم ضد الوطن لكن بالحقيقة من جراء عقائدهم الدينية . . . عن هؤلاء المسجونين لا يقدر انسباؤهم ان يعرفوا شيئاً . . . تدلّ الادلّة ان بعضهم هم في الحياة لكن اين يكونون واين الباقون منهم أفي القبور ام في السجن الصيني الذي يربو هوله على اهوال القبور . . .

اننا نمثل في الصين اكثر من ثلاثة ملايين من الكاثوليك وان مئات الملايين من البوذيين ينظرون الينا بمودة وعطف ومعنا يتألمون لهذه البربرية الفائقة . اننا بالحاح نتوسل اليك بان تذيعي في الهند وفي العالم باجمعه اذا امكن ذلك اخبار الجرائم الفظيعة التي ترتكبها ضد دياناتنا في وطننا اقليّة تدعي بانها تمثل الشعب : اقلية لا ترى في الشرف الانساني الا لفظة لا معنى لها وانما لتلاشت سريعاً لولا الجاسوسية الهائلة التي تستخدمها .

٥

اخبار عالمية

لبنان : في اليوم الثامن عشر من ايلول اضطُر السيد بشاره الخوري الى الاستقالة بعد اعتصاب شعبي دام ثلاثة ايام كانت احزاب المعارضة قد دعت اليه واتحدت لتحقيقه رغم تباين مبادئها وغاياتها . وكان السيد بشاره الخوري قد انتخب رئيساً للجمهورية للمرة الاولى سنة ١٩٤٣ .

والرئيس بشاره قبل استقالته اصدر قراراً قُبل به استقالة السيد صائب سلام من رئاسة الوزارة وعيّن الزعيم فؤاد شهاب قائد الجيش اللبناني رئيساً للوزارة ووزيراً للداخلية والدفاع الوطني ومعه عيّن وزيرين ليسا من النواب هما ناظم عكاري وباسيل طراد : وزارة ثلاثية انتقالية مهمّتها السهر على الدستور والمحافظة على النظام واعداد انتخاب رئيس الجمهورية الجديد

وفي ٢٣ ايلول انتخب المجلس اللبناني باجماع الاصوات السيد كميل شمعون رئيساً للجمهورية وبعد الانتخاب قدم الزعيم فؤاد شهاب استقالة وزارته وبدأ الرئيس الجديد استشاراته لاقامة وزارة جديدة لكنه لما رأى بعد مداولات طويلة عقيمة بين الاحزاب تعذُّر اتفاقها عيّن وزراء ثلاثة اشخاص من خارج المجلس يمكنهم اجراء الاصلاحات العديدة التي اصرّت المعارضة الشعبية على المطالبة بها ومن اهمّها النظر في قانون الانتخابات العمومية والبلدية . ولم يرَ المجلس بدّاً من اعطائها حق إصدار المراسيم التشريعية لمدة ستة اشهر حتى تستطيع اتمام هذه الاصلاحات . وتتألف هذه الوزارة من المير خالد شهاب رئيساً والسادة موسى مبارك وجورج حكيم وسليم حيدر .

مصر : منذ ٧ ايلول بعد استعفاء السيد علي ماهر من رئاسة الوزارة المصرية صارت السلطة كلها بيد الزعيم محمد نجيب ويظن البعض ان هذا الامر لم يتم الا بالاتفاق سري بين الوزير المستقيل والزعيم لكي لا يبقى بعد للاحزاب المعارضة ادنى امل للعودة الى الاستيلاء على السلطة بانتخابات جديدة . كان يوم ٧ ايلول للانقلاب مرحلة جديدة في تقدمه الى الامام فيه أوقف عدد من الشخصيات المصرية المعادية وأعدم شنقاً محكوماً في كفر الدوار وابتُدئ بتنفيذ قانون توزيع الاراضي .

فالحالة اذن في مصر لم ترجع بعد الى مجراها الطبيعي وقد تبقى زمناً طويلاً على ما هي من الترجرج وعدم الثبات الى ان تنشأ في القاهرة سلطة راسخة تقوم بدور الحَكَم بين الاحزاب المختلفة والمطامع المتناقضة مثلما كانت سلطة فؤاد الاول مثلاً وهذا يتطلب سنين عديدة فالملك احمد فؤاد الاول هو في شهور حياته الاولى .

الملك احمد فؤاد الاول هو ثالث ملوك مصر المصريين فالعائلة المالكة في مصر تنتسب الى محمد علي (١٧٦٩ – ١٨٤٩) الذي حكم في مصر كنائب مالك باسم شاهاني صدر سنة ١٨٠٥ مع حق الوراثة ولُقّب خلفاؤه باسم الخديوي . ثم سنة ١٩٢٢ صار اعلان فؤاد ابن الخديوي اسماعيل ملكاً على مصر بفضل مداخلة بريطانيا العظمى .

ايران : في ٢٥ تشرين الاول اعلنت الحكومة الايرانية قطع علاقاتها الرسمية مع انكلترا لعدم التوصل الى اتفاق في قضية الشركة الايرانية الانكليزية . ثم في ٢٦من الشهر عينه اصدر مصدق قراراً بحل مجلس الاعيان الايراني حيث لا يزال يصادم اكثرية مخالفة لسياسته . فلا يزال اذن مصدق صاحب السلطة المطلقة التامة في ايران يضطر الشاه نفسه الى الانقياد له وليس في بلاده من يجرأ على مجابهته رغم ما يواجهه من صعوبات مالية شديدة . وسلطته هذه تقوم على رضى الشعب وتمسكه به وقد يكون وراء الشعب قوة خفية تقوده وبه تقود البلاد حيث تشاء او لا تشاء .

المانيا : للمرة الاولى بعد سنة ١٩٤٥ جرت مقابلات رسمية بين شخصيات من المانيا الشرقية والغربية في ٢٠ و ٢١ ايلول . وكان استقبال الشعب الغربي للبعثة الشرقية الرسمية اسوأ استقبال خصوصاً في بون ودوسلدورف . فكان بين المتظاهرين المبدون من المانيا الشرقية والهاربون منها وبالخصوص اهالي السجناء المدنيين والعسكريين الذين لم ترضَ بعد السوفيات بردّهم الى بلادهم . وكان المتظاهرون يطالبون باصوات صاخبة بعودتهم لان ابقاءهم في الاسر السوفياتي جور وظلم .

مطبوعات شرقية

من السماء

بقلم احمد زكي ابو شادي

مطبعة جريدة الهدى اليومية بنيويورك ١٦٠ صفحة . متوسط

يطلعنا هذا الديوان الذي استمد عنوانه من احدى قصائده على نفس مرهفة الحس بجمال الطبيعة وببؤس مواطنيها . فقد حاول الشاعر ان يودع ديوانه او ما ظلّ منه خير مكنونات صدره فلم تستهوه موسيقى الالفاظ ليقف عندها ولا يتعداها بل نظر الى تكاليف الحياة التي يحياها هو وذووه .

وقصائد الشاعر ليست وقفاً على شخصه ولا على مصالحها بل تتناول تكاليف غيره لانه يعرف حق المعرفة ان في مقدور الشعر ان يغير القلوب وان يجد بفعله السحري حركة فكرية تعجز اغلظ الاكباد عن مقاومتها .

وتتأثر هذه النفس الحساسة بأقل الامور لانها تقرأ ما يراه غيرها امراً تافهاً مبتذلاً وما ذلك الا ميزة الشاعر .

ولقد وفق الشاعر التوفيق كله بان جعل الفاظه لا تزيد ولا تنقص عن الفكرة التي اراد الاعراب عنها فهو لم يخاطب فاطمة كما يخاطب الفاروق والنحاس باشا ولم يعمد الى استخدام الالفاظ الفضفاضة في مخاطبة فتاة صغيرة بل يحدثها بلغة الواقع التي يستعملها في المناسبات الرسمية .

ولئن زانت الديوان رسالتا تقريظ من خليل بك مطران فلا يسعنا الّا ان نضيف اليها تقريظنا مع بعض التحفّظ لما بدا هنا وهناك من تطرّف في التعبير عن الهيام والقلب المصدوع بالحب.   ا . ع . خ .

قلب يغنّي

بقلم وديع ديب

دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٥١ .

هو كتاب شعري صغير الحجم يقع في ثمانين صفحة قدم له ناظمه بتوطئة قصيرة الى « اخيه القارئ » فاستماحه عذراً عن بعض «الاخطاء البيانية واللغوية

التي وقعت له وهو يجهل مكانها او يتجاهل عرفانها . ولقد اكّد الناظم ان « حلاوة الموسيقى في الشعر وروعة التصوير والتلوين فيه شرطان اساسيان ».

لا شك في ان موسيقى «قلب يغني» حلوة رائقة تستسيغها الاذان وتصويره ملوّن برّاق ولكننا لا نستطيع ان نؤكد حقيقةً ان تلك الموسيقى وهذا التصوير يخلقان جوًّا جديدًا. انهما صادران عن شفة القلب لا عن اعماق اعماقه. ولذلك فنحن لا « نعجب بهما كل الاعجاب كما لا ننفر منهما كل النفور » كما ينتظر منا الاستاذ ديب ذاته في توطئته.

على ان هنالك حقيقة لا بد من لفت النظر اليها: هي في تواضع الاستاذ الذي لا يريد ان يكون غير نفسه فلا يحاول ان يخفي عمق شاعريته او سطحيتها بسيل من الكلمات المصنوعة التي تتجاوب ولا تتنادى عند بعض شعرائنا العصريين ، بل يظهر لنا كما هو في « قلقه » و « ضلاله » و «حذره» و « تصوفه » ويُرينا الحياة في واقعيتها فيجفل ونجفل معه من « غرور » الغواني ومن كل تلك الرقعات البالية التي يحاول بها ابناء الدهر ان يربأوا اطمارهم . على ان الاستاذ يعود بعد تصوّفه العابر الى دعوة ابنـاء الجيل السادس عشر الفرنسي : شراب وتغريد وقطف ازهار الحياة .

فشل ام نجح الاستاذ ديب في ديوانه ، ذلك ما لا نستطيع البتّ فيه. على اننا نقف معه بين النجاح والاخفاق . كاد ينجح لو لم يخفق وأخفق لو لم ينجح هنا وهناك . ولعله يرضى عنا اذا قلنا انه على مفترق الطريقين . عسى للأستاذ شعر آخر يقوله وعسانا نستطيع ان نحكم على شعره العتيد بوضوح اكثر .

ا. ع. خ.

NAZIM HIKMAT : *Poèmes*. Traduits du Turc, intr. de TRISTAN TZARA, notes par HASAN GUREH. — Les éd. franç. réunies. — 33, rue St André-des-Arts. Paris, VIe, 180 pp.

قصائد ناظم حكمت : قرأنا هـذه القصائد التي انبثقت في السجن من نفس نبذت كلّ شيء الّا الحياة . فهي ان نمّت عن شيء في صيحاتها فانما تنم عن الثورة واليأس والصخب والغضب . اما اذا لاح منها وميض امل من وقت الى آخر فما ذلك بأمل الشاعر في الحيـاة الثانية التي يجدها في دين تركيا الاسلامي بل في ان يعيد الى الارض وجهاً افضل بالتعليم الشيوعي .

ويفتخر الشاعر بادية لا حدود لها تطفح في كل قصائده التي لم يدفعه الى نظمها الّا الاسباب التي ادلى بها: وهي الاستعمار والرأسمالية وتوغل الاوروبيين في الشرق توغلًا حرموه معه حريته وامتصوا خير ما فيه من مادة حيوية . اجل انها المادية . واي قلب هو ذلك القلب المرهف الحس الكريم الذي يشف من وراء هذه القصائد! انــه لقلب حكمت الذي شهد البؤس ورأى الخبز المفقود الذي ذهب بفقده امل الفقراء في الحياة فثار . ان حكمت لا يريد ان يؤمن بالمسيح ولا بمحمد لانهما لم يفعلا شيئاً ، متناسياً ان التعليم الالهي على رغم ما فيه من جمال لا يغيّر ارادات البشر التي لا تريد ان تتغيّر . الم يبدّل تعليم يسوع المسيحي اوروبا عندما أخاص البشر عملهم بوجبه ؟ اولم يكن هـــذا التعليم في اساس مبرّات كثيرة ومنظمات كانت التعبير عن اعمـــال المحبة التي فجرتها في الافئدة كلمة المسيح الحارة.

ان محبة الانسان للانسان لن تغيّر شيئاً في العالم ما لم يشعّ فيها ضرب اخر من المحبة ، محبة إله افتدى البشر وجعلهم اخواناً بدمه وصيّر بينهم وبين الاله الذي اهانوه سلاماً .

ومعنى المساواة والصداقة هذا الذي تطفح به قصائد حكمت لا بدّ له من ان يقوم على امر آخر غير التساوي بالثروات لان هذه المساواة لم يقدّر لها قط ان بدّلت الافئدة اذ ان الشعور العميق لا صلة له بالخيرات الارضية الا صلة ضئيلة كل الضؤولة.

ولقد افضت بحكمت ثورته الى الشتائم، ليتكلم كافرًا، قد اطلق العنان لفؤاده . ولا شك في ان اقامته الطويلة في روسيا لم تذهب عبثاً اذ تعلّم فيها هذه اللغة التي لا تحلّ معضلة وان يتأتى لها ابدًا ان تحلّ شأناً حلًا حاسماً.

ولئن استثمرنا مثل هذه النفس في ترجمة قصائده من التركية الى الفرنسية وان كانت ترجمة لا غبار عليها فما تكونه هذه النفس في لغتها الاصلية بما فيها من صور وتراكيب وقوالب خاصة وشوايب.

وعلى رغم التحفظ في حكمنا هذا فلا يسعنا الّا الاعجاب بعبقرية الشاعر ومقدرته على التأثير واجتذاب الناس.

ا. ع. خليفه

فهارس المشرق

للسنة السادسة والاربعين

١٩٥٢

فهرس اوّل

لمواد اعداد السنة السادسة والاربعين من مجلة المشرق ١٩٥٢

(٢٧٥–٢٨٨) = من مآثر مرقس الناسك نشرها الاب ا. عبده خليفه اليسوعي (٢٨٩ – ٣٠٨) = كتاب مختصر تاريخ جبل لبنان (تابع) نشره الاب اغناطيوس طنوس الخوري اللبناني (٣٠٩–٣٣٤) = التشريع والقضاء في عهد الامراء لميشال شبلي (٣٣٥–٣٤٨) = تحويل المادة الى طاقة والطاقة الى مادة في المختبر والكون للاب فرنسوا دوبره لاتور اليسوعي (٣٤٩–٣٥٨) = الاميرة ميفاء والامير فخر الدين الكبير (تابع) للاب مبارك ثابت اللبناني (٣٥٩–٣٦٨) = العروض . درس وتحليل للاب فرنسوا قندلا اليسوعي(٣٦٩– ٣٧٨) = الاخبار المالية (٣٧٧–٣٧٩) = الكتب (٣٨٠–٣٨٤) .

الجزء ٤ — (تموز – آب) : تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي للاب اسحق ارملة السرياني (٣٨٥–٤٠٠) = الورد وماء الورد بدمشق لحبيب زيات (٤٠١–٤١٨) = نص قديم بالعربية لمجمع قنوبين ١٥٩٦ للخوراسقف مخايل الرجي (٤١٩–٤٢٤) = انجيل خطي قديم للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٤٢٥–٤٣٢) = كتاب مختصر تاريخ جبل لبنان (تابع) نشره الاب اغناطيوس طنوس الخوري اللبناني (٤٣٣ – ٤٤٦) = تيّارا فلسفة الحقوق للاب فليكس سوانيون اليسوعي (٤٤٧–٤٥٨) = الاجرة العدل للاب بطرس مازاس اليسوعي (٤٥٩–٤٧٤) = نشيد الرسل القديسين للشاعر رومانس المرنّم ترجمة الاب نيقولاوس قادري قب (٤٧٥–٤٩٢) = بحث عن القبيلة في الشرق الادنى لبطرس رونده (٤٩٣–٤٩٨) = الاخبار المالية (٤٩٩–٥٠٠) = الكتب (٥٠١–٥١٢) .

الجزء ٥ — (ايلول– تشرين الاول) : تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي للاب اسحق ارملة السرياني (٥١٥–٥٢٤) = كتاب مختصر تاريخ جبل لبنان (تابع) نشره الاب اغناطيوس طنوس الخوري اللبناني (٥٢٥–٥٧٠) = انجيل خطي قديم (١٥٦٥) للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٥٧١–٥٩٦) = الاميرة ميفاء والامير فخر الدين الكبير للاب مبارك ثابت اللبناني (٥٩٧–٦١٦) = تجديد خليل مطران للشعر العربي للاب رفائيل نخله اليسوعي (٦١٧–٦٢٥) = الاخبار المالية (٦٢٦–٦٢٩) = الكتب (٦٣٠–٦٦٠) .

الجزء ٦ — (تشرين الثاني – كانون الاول) : الاب لويس شيخو (١٨٥٩–١٩٢٧) للاب ا. عبده خليفه اليسوعي (٦٤١–٦٤٨)=الخزانة الشرقية : المقدمة لحبيب زيات (٦٤٩– ٦٥٤) = الاخبار المالية (٦٥٥–٦٥٧) = الكتب (٦٥٨–٦٦٠) = الفهارس (٦٦١– ٦٦٦) .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة السادسة والاربعين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ – الكتب الشرقية

٢ — مطبوعات اوروبيّة

فهرس رابع

لجميع مواد السنة السادسة والاربعين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

اصلاح بعض اغلاط وقعت في المشرق

ص	سطر	خطأ	صواب
٧٨	٢٣	. ليس	لبس .
٢٧١	٢٢	للخراز	للحزاز
٢٧٢	١٨	دم	يجب حذفها
٤٣٠	١٨	١٣٧٧	١٦٧٧
٥٥٢	٢٢	استطون	استوطن
٥٨٠	٨	وضبطِ	وضبطٍ
٥٨٠	٢٠	مجدا	مجدًا
٥٨١	٣	بي	في
٥٨١	٢٣	وامّا غاوينه	وامّا عناوينه
٥٨٨	٢٨	لاستناد	لاستنادها
٥٩٣	١١	ولم يُنشيد	يُنشِّد
٥٩٤	٦	الاب عمانوئيل	الاب عمانوئيل
٥٩٤	١٩	كثرة	كثيرة
٥٩٥	٦	وهو اسم	وهو على اسم